عاشق النور

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١١/٣/١١٤٦)

الطبعة الأولى: رمضان ١٤٣٢هـ

رواية

عاشق النور

سيرة السيد الحسيب النسيب

الشيخ حسني حسن خير الدين الشريف

تأليف

د . حكم الأسود

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي محتوى هذا الكتاب إلى حضرة النبي ﷺ وإلى آله الطاهرين . . .

عنوان محبة ومودة

وأهديه إلى الصحابة الكرام الذين نقلوا لنا هذا الدين بجهد وأمانة . . .

عربون وفاء

وإلى شباب الأمة، الذين يعيدون الأمل ويرسمون المستقبل الجميل . . .

ليكون لهم سنداً لعزيمتهم وسميراً في طريقهم

حكم الأسود

مُقَدِّمَة

أحمد الله تعالى أن هداني للإسلام، فله المنة والفضل، وأن هداني لركوب سفينة آل البيت الأطهار، ومنحني عطفهم ونظرهم ورعايتهم، وأحمده تعالى أن وفقني لإتمام هذا العمل، أسأله تعالى أن يقبله مني خالصاً لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مما أسعدني وأفرحني، أن الله تعالى وهبني نعمة عظيمة، وهي كتابة سيرة رجل من آل بيت النبوة الأطهار، عايشته عن قربٍ، ورأيت تميزه، بل وتفرده في عصرنا الحالي، وقد كان السيد الشريف لي نِعمَ الأبّ الروحيَ، والمعلمَ والمربيَ، بل ونعم الشيخ الحاني، مما يضيف لهذه السيرةِ، كثيراً من المصداقية المطلوبة في كتابة سيرة الرجال الأعلام...

وقد انتهجتُ في كتابة هذه السيرة، أسلوبَ الكتابة الوجدانية والشاعرية، متعمداً إظهار الجانب الوثائقيَ أحياناً، والحوار الفكريّ أحياناً أخرى، والجانب العاطفيّ فيها أحياناً كثيرة أخرى... حتى أنبهَ القارئ إلى ضرورة تحريك مواجيده ومشاعره تجاه أعلام آل البيت الكرام، الذين ظُلموا كثيراً من أتباع جدهم، وأظنّ ان الظلم الذي وقع عليهم في معاداتهم أحياناً وملاحقتهم أحياناً أخرى، وابتعاد الأمة عن التأسي بهم، وعدم تلمس مودتهم، وعدم تربية أولادنا على حبهم، كل

ذلك وغيره قد أوصل الأمة إلى ذلّ وهوان، ولا بدّ لنا ونحن نعيش أصداء صحوة إسلامية عامة، وتحرك شبابيّ راشد، من العودة للتصالح مع ربنا ونبينا، بالتودد لآل البيت الأطهار، فهم مركب النجاة مما نحن فيه...

وأعتقد أنه من الممتع لنا تلمس حبهم ومودتهم، بل واتباع منهجهم، وركوب سفينتهم، لضرورة شرعيةٍ أولاً، ووفاءً لجدهم ﷺ ثانياً، ولمساحة مضطربة في قلب المؤمن لا يملؤها إلا حُبهم ومودتهم... ولا أرى نفسي قد تجاوزت حدود المنطق في البوح بما يحمله قلب العاشق من بعض حُبهم ومودتهم، ولا أعتقدُ أني تجاوزتُ التعقل، حين تركت الكون وما فيه من نباتات وأفلاك وجمادات، يتناغم مع هذا البوح، ويبثُ للفضاء المحيط به، ما ينعكس من العاشق من مكنون الحب والعشق والغرام، لأن هذا الغرام هو جزءٌ من التناغم الطبيعي بين المؤمن وما حوله من جمادات، والعاشق يصبغ الكون بلونه وبعشقه، ومعزوفة لحنهِ أحياناً، ألا يرى القارئ معي أن الجبال والشطآن والرياض، تكون أجمل في عين العاشق حين يستغرق فيها! لأنها تتوافق معه في أحاسيسه ومشاعره، وتعكس إلى قلبه وروحه صدى عشقه!.

لقد تركت صاحبي عاشق النور يبوح ببعض مكنون حبه، ولواعج شوقه، ولم أدعه يسترسل كثيراً حتى لا تخرج هذه السيرة عن مقصدها، ولأنّ مكنون الحبّ لا تستوعبه الكلمات، بل إنّ الكلمات أحياناً تذهب بجماله وتحدُ من فضاءاته...

انطلقت في هذه السيرة بمسارب متعددة، بدأت فيها كما البدايات دوماً، من حين بداية أحداث المولد، لكنني عند المنعطفات المهمة في حياة السيد الشريف، وكل حياته أحداثٌ مهمة، كنت أتجاوز الزمن حتى

تتضح معالم الأحداث وتكتمل الصورة، وستتشكل لدى القارئ في النهاية، صورة واضحة عن حياة السيد الشريف ومفاصلها المهمة، وسيرى من خلال الأحداث كيف أثبته الله من البداية نجماً مضيئاً في طريق المشيخة والدعوة، وهيأه تعالى ليحمل اللواء بعزيمة واقتدار.

لم أقل في هذه السيرة كل القصة، ولم أسرد كل التفاصيل، لكنني ذكرتُ فيها أهم الأحداث والتفاصيل، التي تهمّ القارئ الكريم، وذكرتُ فيها ما ينفع القارئ الراغب بالفائدة والاقتداء، وحلقتُ في فضاءات رحبة من المواجيد، للباحث عن المتعة والأنس بالإصغاء لنبض قلبه ووجدانه...

هي إذن سيرة حُبٍ، لبضعةِ النبيّ ﷺ، وسيرة نتعلم منها بعضاً من الحبّ الواجبِ لبضعةِ النبي ﷺ، وسيرة نرى فيها مواطن الحبّ والعشق والغرام فيما يُحيط بنا، وتسمعنا للحب صوتاً جميلاً يصدح من داخلنا، ونشمّ فيها عطر الحب يفوح من داخلنا، ونحسُ فيها بنبض آخر للحياة، يعزف في قلوبنا لحن العاشقين... وما كانت المودة التي طلبها تعالى من الأمة لأل البيت الأطهار، إلا ليفتح في قلوبنا نحن أتباع نبيه ﷺ نوافذ أخرى تكتمل بها حلقات الإيمان، ونُطل من خلال هذه النوافذ على جمال الإسلام وروعته، وجمال العطاء الرباني بهذا النبي الحبيب وآله ومِنح ربنا العظيمة، بل وترتقي بنا إلى دروبٍ رحبةٍ وسامية في الحب الإلهي...

يسرني أن أشكر كل من وقف معي، وساندني في عملي الممتع هذا، وأذكر منهم سيدي محمد الشريف أبو الحسن الذي راجع النص وأبدى عليه ملاحظاته اللغوية، وكذلك سيدي حسين الشريف أبو محمود وسيدي محمد الشريف أبو حسني اللذان أتحفاني بكثير من التفاصيل عن السيد الشريف، كما أشكر سيدي الدكتور رسمي الملوحي أبو شاكر

الذي كان له الفضل في إظهار عاشق النور للوجود، والذي استطعت إلباسه ثوبه المناسب له ليظهر بهذه الحُلة، وأشكر أخي الدكتور سلطان أسود أبو أشرف الذي زودني بكافة متطلبات العمل الفكرية من دروس وخطب للسيد الشريف، وقام بتجهيز وإعداد الكتاب للطباعة.

أرجو الله تعالى أن يتقبله مني جزءاً يسيراً من الوفاء والمودة لسيدنا الحبيب المصطفى ﷺ، وأن ينفع فيه المسلمين إنه نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

الولادة والإعداد

الباب الأول: السيد الشريف
الباب الثاني: النور وعاشق النور
الباب الثالث: وادي السير: بداية الرحلة
الباب الرابع: الوالد الشريف: مربياً- معلماً - ملهماً
أولاً: التعلم بالحال (باللحظ)

- الوجع للأمة
- قدر ومكانة آل البيت
- حال الأبوة
- حال الصبر

ثانياً: التعلم بالحال والمقال معاً (اللحظ واللفظ):

- القرآن الكريم
- العبادات والطاعات
- العلوم العينية

الباب الخامس: مرحلة المدرسة: بداية التألق

- تألقه في تلاوة القرأن
- تألقه حين رفع الأذان

- الضيافة والكرم

الباب السادس: مرحلة الدراسة الثانوية. التكوين الفكري

- بداية خطبة وصلاة الجمعة

الباب السابع: الوصل والوصال: الجدّ والحفيد والسند الشريف

الباب الثامن: وآتيناه الحكم صبياً

الباب التاسع: الخدمة العسكرية: دعوة - معاناة

الباب العاشر: عام الحزن - فراق الأحبة

الباب الحادي عشر: خاتمة فترة الإعداد

البَابُ الأَوَّلُ

السيد الشريف

إنها قصة نورٍ يحمل سراً...
روحٍ تتحرق للملأ الأعلى...
قلبٍ يحمل ألماً، يحمل وجعاً، يبكي أمّة...
جسدٍ يتقلب على جمرٍ أشعلهُ همُّ تردّي العزّة...
نورٍ يشرقُ حيناً... ويذبحُ حيناً، ويهربُ أخرى...
هي قصة شريفٍ من بيت النبوة... هنا في أكنافِ بيت المقدس، ربانيّ الخلق، يعشق التحليق في فضاء الحرية والمعرفة، ويهبُها لمن يطرق بابه...
قصة مشعلٍ ينير الدروب ويتقدم الصفوف بعزمٍ وثباتٍ ومضاء...
قصة مرشدٍ ينبض حباً، ويعيش حباً، ويمنح حباً...
قصة شيخٍ ذي عزيمةٍ ووفاءٍ، وجدٍّ ومضاء، مُسدّدِ الخُطى، واثقٍ من نُصرة ربّ السماء ومدد أهل الله...
قصة سبطٍ من بيت النبوة، نرقبُ فيه سيدنا محمداً ﷺ، في السيرة والعطاء...
قصة الرجل الأسوةِ الذي انتظرناه كثيراً وكثيراً... لكنه أخيراً جاء...

البَابُ الثَّانِي

النور وعاشق النور

بينما كنت أغفو إذ لاح لي نورٌ، بل شعاع نور في الفضاء، يبرق بعيداً... بعيداً هناك في أقصى الزمان وأقصى المكان، نور يتقلب ساجداً بين الرجال، أو يسجد متقلباً في الرجال، لم أتبين الحال تماماً، فبين الغيبة والصحوة تضيع تفاصيلُ الأشياء، لكنه نورٌ وضاءٌ، يحملُ سراً من السماء، أو نورٌ مصدرهُ السماء، أو نورٌ يأتي من فوق السماء... نورٌ تترقبه العيون الوالهة، تبحث عنه بين قلوب الرجال... تعرف مبتدأه ومبتغاه، ولا ترى له انتهاء... وأراه هناك سرى بين الزمان، أو خارج الزمان، حتى ظهر فكان الصادقُ الأمينُ في قلب مكة بين الركن والمقام، هناك... في أرض الأنبياء، وللأرض قصة مع السماء، نورٌ له اشتهاءٌ، ويصدحُ بمكنونِ رحيمٍ ودودٍ، يرفع عن المحبين كل ظلمةٍ دهماء...

أرى الكون تراقصَ لذاك الشعاع، فهناك في كبدِ السماء بين النجوم والغيوم، أرى بدراً يداعبه ويناغيه، وهناك في المسجد بين المصلين، أرى الجذع يحنّ إليه ويرتجيه، وعند تلك التلة... ألحظها بوضوح تامّ... شجرةٌ تعرفه وتميزه وتسجد له... وعلى الطريق إلى منى أسمع بعض الحصيّات، تسبحُ الله وتسلمُ عليه بحبٍ وغرام... وهنا

أرى يثرب، كلّ يثرب وقد أضاءت واستنارت بهذا النور، بل قد عمّ النور كل الفضاء والأكوان...

في لحظة صفاء بين القلب والسماء، أشم للنور رائحةً تفوح فتعطرُ كلَ المحبين، تسكبُ عليهم من أطايبِ الزهورِ نفحةً من طيب، ولأنه نورٌ من عطرٍ أو عطرٌ من نورٍ علوي، ينساق إليه من كان له قلبٌ أو شهد التعطير ونفحة الطيب... وهنا بين الخيام أرى طيفاً مضيئاً من المحبين... إنها هي مرضعتهُ حليمة، أراها فرحة بالنور في أحضانها، فرحةً بشمةٍ من طيبهِ بين العطور، وهنا أرى بعضاً من الرجال العظام يسرقون النظر من طرفٍ خفي إلى هذا الشعاع. يالروعة المحبين والعاشقين حول النور المطيب، ويا لسرهم المفضوح.

و**عاشق النور** قد يكون قمراً أو شجرةً أو غمامة، أو دقة قلبٍ أو ضحكة طفلٍ أو هديلَ حمامٍ أو خريرَ ماءٍ أو بشراً سوياً... فكل الخلائق تعشق النور، وتبحث عنه وقد ترمقه من طرف خفي...

وها هو **عاشق النور**... إني أراه هناك بين شعاب مكة وعلى تلالها، وفي بساتين المدينة وأزقتها... أرى عاشقَ النور في القمر حين ينشق بإشارة من النور، وأرى عاشقاً آخر هناك في المسجد النبوي... جذعاً يبكي ويئن من الشوق والحنين، وأراه غيمة تظلله بحنانها، لتحميه من حرّ الشمس ووهجها، وأراه صدقاً عفوياً يبوح به العتيق، وأراه هناك حياءً ونبلاً في شغاف قلب ابن عفان، وأراه جوداً وإنفاقاً للدعوة عند ابن عوف... وأراه إرثاً نبوياً عند أبي السبطين... عاشقُ النور له في كل حين شكل وثوب، لكنه أبداً عاشقٌ ولهانٌ، دموعه لاتخفى عن العشاق، وآهاته نسمع صداها في الأسحار وبين الركوع والسجود، عاشق النور يتلو ويتلو فيحرق الألباب وأفئدة المقربين... عاشق النور أبداً يلهث وراء شعاع النور...

وأرى هذا النور ينطلق في الرجال والزمان، ومعه عاشقه يلازمه في الحل والترحال، أراه نوراً متوارثاً بين ضلوع الأحبة من آل البيت الأطهار... أراه نوراً نبوياً يحمل سراً، ويحمل همّاً، ويحمل ولهاً وآهاً، ويحمل وجداً وحباً، ويحمل للناس أملاً ووعداً... سرى ليلاً إلى الكوفة فاستقر زمناً هناك، فأضاء وأنار ثم في داخل المحراب خنقوهُ، ذبحوهُ شهيداً طاهر النسبِ، فبكى عاشق النور حبيبه المغادر غدراً... وما زال يبكي فجيعته دمعاً وغصةً في القلوب...ثم ارتحل إلى كربلاء نوراً أحمر من دماء... معطراً بعطرِ الكبرياء، مضيئاً ليل المتعبين... يا لذياك النور الخافق في كربلاء... جاءهُ من ليس له قلبٌ لينحر النور ويُعلن ولادة الظلام... لكن الحسين فدى النور وأسلمه ولده علياً ثم ارتحل! نعم... رحل الحسينُ فبكى عليه كل العشق، وكلُ الكل في الأرض والسماء... وها أنا أسمع من هنا نشيجَ بكائهم يبكونه سيداً للشباب... عاشق النور أيضاً بكى في كربلاء، بكى كثيراً... وما زال البكاء.

ما زال الجرح ينزف آهاً مما نال النور في كربلاء... ألماً يعصر في الفؤاد فأتلمسه نبضاً يهز في الأضلاع... يصرخُ صمتاً، ما أصعب أن تصرخ صامتاً ألماً ووجعاً، يا أرض كربلاء المفجوعة! كيف سمحت لعشاق الظلام أن يطؤوا أرضك، ويشربوا ماءك وينحروا ضيفك؟ كيف ذبح هذا القربان النور على أرضك؟ وكم رجفتِ مما فعلوه بين تلالك؟ لهفي عليك مما نالك واعتراكِ. لهفي عليك من عاشقةٍ للنور أنتِ... مذبوحةً ملطخة الخدين بدم من تحبين أنت. يا لعاشق النور كم يقاسي ويكابد... وما زال النور يرتحل ويسري في الرجال... وعاشقه يرتحل معه في الآفاق حباً ولهفاً عليه...

البَابُ الثَّالِثُ

وادي السير: بداية الرحلة

حتى وصل النور عمان، هنا في أكناف بيت المقدس، على أعتاب القدس وتخوم أغوار الصحابة، حيث معبر النصر القادم للعز والإباء، في وادي السير، إلى الله... أو السير إلى الفلاح... أو السير إلى العزة والرفعة للأمة... هنا لاح برقهُ سيداً شريفاً من نسل الشرفاء، واكتمل حمله تسعة أشهرٍ، وتمت ولادته حفيداً للنبي ﷺ والأولياء، في بيتٍ شريفٍ وأم عفيفةٍ... ومرتعٍ خصيبٍ بالحب والرعاية والمنح الربانية...

في الزمن الصعب، حيث الإعراض عن منهج الله، وسنن الله، وحيث كثرت الهزائم والإنهزامات والإحباطات، وضاقت الأرض بما رحبت في أعين المسلمين، وضاقت وهانت عليهم أنفسهم، ويئسوا من أي ملاذ، كالغنم بلا راع في الليلة المطيرة، واستكان أغلب الناس للذلةِ والمسكنةِ... ظهر النور المحمدي في البقعة الأقرب للقدس الشريف، ومن داخل بيتِ النسل الطاهر الشريفِ، ومن قلب السند الروحيّ الموصول بالحضرةِ النبويةِ، لمع نور البرق الشريف مؤذناً ببدايةٍ للفرج والفجر القادم... إنه نور **السيد الشريف**...

وعاشق النور كان هناك، وعرف عنه كل التفاصيل، بحثتُ عنه لأقتبس منه بعضَ التفاصيل وأسمع صوت نبضهِ الوالهِ... جميلٌ أن نعرفَ التفاصيلَ عن النور، بحثتُ عنه في العيون الناعساتِ حباً وشوقاً، وفي القلوبِ اللاهفاتِ وجداً وأرقاً، بحثت عنه بين الغيوم في

الأيام الشاتيةِ، بحثت عنه في تغريدِ الطيور وشدو البلابل ودقة قلبٍ والهة، بحثتُ عنه في السهول وفي الهضاب وفي قمم الجبال العالية، بحثت عنه في الشمال والجنوب والأغوار والصحراء اللاهبة، بحثت عنه في مؤتة والشونة وقرب أمين الأمة وبين الأشجار الباسقة، رمقتُ القمر ونجمَ السماء علّي أرى طيفاً لعاشق متيم للنور هائماً... صحبتُ الورود ونحلَ الحقول وريمَ الفلا، عساني أسمع منهم جواباً شافياً... سمعتُ السنونو وصوتَ الرعود ونغيَ الصبيّ وبسمَ الأمل... وكلهم رأيتُ فيهم عاشقاً لنور الحبيب وضوء الأمل... فاتخذته صاحباً وخليلاً، وطالت صحبتنا وكثرت حكايانا...

وقي ليلة باردةٍ من شتاء عمان، جلستُ وعاشق النور في شرفةٍ على أكتاف وادي السّير، ونسائم الأرض المباركة تنفح علينا طيبها، حيث يحلو السهر والسمر، نتجاذب أطرف القصص عن السيد الشريف، وفجر النور القادم، وعندما طال بنا الوجدُ حتى لم نعد نرى له انتهاءً، قال لي صاحبي: تعال نحلق معاً في فضاء الزمان والمكان إلى وادي السّير، إلى يوم الثلاثاء ٢٥ شباط ١٩٦٤م الموافق ١١ شوال ١٣٨٣هـ إلى بداية القصة... تعال معي إلى هناك، إلى ساحة البيت المتواضع حيث يجري الآن حدثٌ مهم، عنوانهُ الفرح والسرور بضيفٍ جديدٍ، بل بفجر نورانيّ قريب، فقد وُلد للشيخ حسن قدست أسراره الآن غلام وأي غلام! بدرٌ في كمالهِ، ونورٌ في إشراقه، من رآه من الأهل والجيران أحبه وانجذب إليه، تعال وانظر هنا، إلى ذاك الشيخ الجليل مبتسماً متألقا كعادته، يُزهر وجهه بكل ألوان الورد، فرحاً وسروراً بإطلالة هذا الطفل الوليد... لكنني أراه يكتم غصة حرّى، أحسّها الأن مع دمعة ثكلى، أسمع رجع ألمها، لعله كان يعرفُ حجم المهمةِ التي سيحملها ولده من بعده، فولادة الشريف في أواخر شباط يعني أنه سيكون فيه أملٌ، بربيع قادم تزهر فيه شمس طريقة الأشراف من جديد،

وأنه سيكون هو العنوان لهذا التغيير من حالةِ السكون والنوم الشتوي للمسلمين، إلى الربيع والأمل... بولادتهِ سيكون للأشراف عهدٌ جديدٌ، فيه عودة الحق من جديد، ياله من والد وشيخ رصين، يعرف عن ربه، ويقرأ إشاراته ثم يكتمها قلبه ولا يبدها لهم، نعم حمل ألمه بمفرده عبر السنين... وبعد أن أتم صناعة ولده على عينه، أخذه الآلم ورحل معه... هكذا هي أحوال العارفين تجمع الأمر وضده، تجمع الفرح والحزن، تجمع القبض والبسط، تجمع الغيبة والصحوة، تجمع الحمد والصبر...

كانت الولادة في بيتٍ متواضع بوادي السّير، في ظروف صعبةٍ من الناحية المادية، بالكاد كانت الموارِدُ المالية تكفي الأسرة حاجاتها الأساسية، لكنها من طرف خفي كانت ظروفاً مريحةً وراقيةً من الناحية الوجدانية، للعائلة عموماً وللطفل الشريف خصوصاً، وهذا ساعد في صقل وجدان وروح الطفل الشريف فيما بعد، وكانت توطئة لصناعةِ الطفل الشريف على عينيّ ربه، وبرعايةِ والده الربانيّ، فنشأ السيد الشريف ربانيَ الخلق، يعشقُ التحليقَ في فضاء الحرية والمعرفة...

ومما أسرّه لي عاشق النور ونحن هناك، أن الطفل الشريف سماه والده (حميد) ابتداءً، وبقي هذا الاسم ملازماً له لمدة شهر تقريباً، ثم جرى التغيير إلى (حسني) الذي عاش معه بطلبٍ من خؤولته، ووفاءً من الوالدِ الحنون لوالدتهِ العفيفة، ونسبة لجده لأمه الذي حمل الاسم نفسه. ومما لاشك فيه أن الوفاءَ خلقٌ نبويّ أصيلّ، في جبلةِ الوالد الشريف، ولأنها الزوجة الصابرة والمكافحة والباذلة من حنانها ودفئها وجهدها لمن حولها بلا حدود، كان لابد من إكرامها ووفائها، فكان حسني، لكنّ اسمه ما زال حميداً في أفعاله وتفاصيل حياته، حميداً فيما هو قادم في قابل الأيام، لأنه محمودُ الذكر والفعل في الأرض والسماء، وكذلك فإن فيه معنىً عميقاً للدور المحوري له فيما بعد، في حمل راية

التوحيد والدعوة والتغيير، فإن الإسم وإن تبدل ظاهراً، فإن المعنى لا يزال موجوداً ومستتراً في المهمة المناطة بهذا النور المحمدي، نور السيد الشريف...

للسيد الشريف أخوة وأخوات قاسموه حنان الوالدة ورعاية الوالد، سبقه أربعةٌ من الأخوة الذكور محمد وشريف وحسين وحمدي، توفي شريفٌ في عمر الثالثة عشرة عام ١٩٦٨م واثنتان من الإناث سهيلة ولطيفة، ولحقه اثنان من الذكور حامدٌ وأحمدُ، واثنتان من الإناث لطفية وفائزة.

وقد ذكر لي عاشق النور هناك همساً: ضمن هذه الأسرة، وفي تلك الأجواء المفعمة وهذا الإزدحام الشديد على أبواب قلبيّ الوالدين، استطاع الطفل الشريف من لحظةِ بكاء الولادة، أن يخترق شغاف قلب والده إلى حيث لم يصل سواه، ويملكَ عليه قلبه وروحه، فيُلازمه ملازمة الظل للجسد، وملازمة النور للشعاع، وملازمة الأسماء لمسمياتها، وهامت روحه الشريفة بوالده قبل الإدراك، وتعلق قلبه بقلبه حتى صارا روحاً واحدة بجسدين، وانقاد الشريف لأبيه انقياد المحب الواله، وانقياد العاشق المتيم، فأصبح يتنفس برئتي والده، ويعيش حُلماً ورديا بقربه لا يريد له انتهاءً، وهذه العلاقة الوجدانية بينهما جعلت الوالد الجليل يتقنُ صناعة طفله كما يريد رب العالمين لهذا الشريف، وليكون فيما بعد جاهزاً لمهمةِ الرجولةِ القادمةِ المناطةِ به، وشغله هذا الهُيام والوجدُ بأبيهِ عن الشعور المبكر بأمه، فأفقده الكثير من حنانها وحضنها الدافئ، والذي ما زال يفتقده ليومهِ هذا، لكنّ الحالة الوجدانية الراقية التي كان يعيشها مع أبيه الجليل عوضته كثيراً من حنان والدته وحضنها. لكن كما تعلم يبقى دفء صدر الأم حاجة ملحة، ومهما كبر أولادها، هناك رغبة عارمة تنتاب الجميع وفي كل الأعمار بالإرتماء

على صدرها، وهذا يظهر جلياً في شعور السيد الشريف مع والدته العفيفة واندفاعه لراحتها وإسعادها وتلبية متطلباتها، ورغم أن والده الجليل قد فارق الحياة جسماً منذ ستة وعشرين عاماً، فما زالت أمه حية أطال الله في عمرها تمده بفيض حنانها ويفزع إلى صدرها عند الكربات.

عدنا إلى حيث كنا من ذاك الزمان والمكان بعد معاينة أحداث الولادة وأفراحها، وجلسنا على الشرفة على تخوم وادي السّير، وأخذ عاشق النور يحدثني عن التعلم بالحال من دون المقال، أو اللحظ من دون اللفظ، أو التعلم بالمجالسة وبالمصاحبة، لأن الطباع تسرق من مُجالسها، وهذا ما نلاحظه من مجالسة الصالحين، فنتشبه بهم ونسرق من أخلاقهم وطبائعهم، وأن هذا التعلم له مفعول السحر والقوة والرسوخ داخل القلب وفي أعماق الوجدان، بحيث يتحول إلى عقيدة مخلوطة في الأحشاء، وأن هذا التعليم هو ما أفاد الصحابة في صحبتهم لسيدنا الحبيب ﷺ أكثر من أقواله، ولأن السيد الشريف لازم والده العظيم حتى وفاته قدست أسراره، فقد أخذ منه كل أنواع الخير من العلم والهمّة والإشراقات والتربية والألم لحال المسلمين، أخذه قولاً ومسارقة، فأكمل السيد الشريف من حيث انتهى والده، وهذا أحد الأسباب المُهمّة في تألقه، بالإضافة إلى الرعاية الربانية التي سددت له الخطى منذ البداية...

البَابُ الرَّابِعُ

الوالد الشريف: مربياً ومعلماً وملهماً

أولاً: التعلم بالحال (باللحظ):

الوجع للأمة:

قال محدثي منتشياً وهو يرشف فنجان القهوة، أتقن الوالد الجليل نقل حاله إلى ولده الشريف، وبرع في ذلك، بل أفنى عمره وهو يُهيء ولده، ويهبه كل ما لديه باطناً وظاهراً، ولأن السيد الشريف ذو حساسية عالية، وحسّ كبير بما حوله، فأولَ ما لمسه في بداية وعيه وهو بعد طفلٌ صغير، شعوره المفرط تجاه والده العظيم، فقد تفتحت عيناه على واقعه الماديّ الصعب، وتحرّك وجدانه على سُمو روحه، ورفعة قدره، فكان يرى فيه رجلاً بأمة، ويرى من جهة أخرى في هذه الأمة أسباب الإنكسار، وقلة الحيلة لدى شعوبها، وقبل أن يعي شيئاً من تفاصيل أمور الحياة، أحسّ من خلال والده حال هوان الأمة وضعفها، وكأن نفسُهُ حملت همّ الأمة وهمّ المسلمين وهمّ قضاياهم قبل بروز الأسنان اللبنية لديه، فعاش القلقَ والحُرقة والهمّ صغيراً، واستمر معه حتى لنلحظه اليوم في... حرقته على تردي حال المسلمين، وانهزاماتهم المتكررة أمام أنفسهم وأمام أعدائهم، ونشمُ رائحة قلبه المتحرق على هذه الحال، وتعطشه لفرج قادم يُزيح عن الأمة هذا الإنهزام والذلّ، ونرى قلقَهُ الدائمَ على المصائبِ التي تحل بالمسلمين هنا وهناك، لكنه قلقٌ محرك، فلا يكتفي بالألم والقلق والاحتراق، لكنه يحوله إلى فعل

يتحرك، ويحرك فيه أتباعه ومحبيه باتجاه الدعوة، كل في موقعه لنصرة دين الله والمستضعفين.

وهذا الهمّ المقلقُ كان يسري بين القلبين، الوالد وولده من دون كلام أحياناً كثيرة، فيُشعلُ الوجدان بمعانٍ وعلوم لدُنّية، تحرك الأشواق للملأ الأعلى، وتحرك الجسد للعمل والدعوة بين الناس، وقد سقاهُ والده همّ الأمة ووجعها كما أرضعتهُ أمه حليب الجسد، فعاش ونما بغذاءين، وكان يُعايش آلام الأمة من خلال قامة والده السامقة العالية حتى لقد كانت تطاول السماء في عزها ومجدها وعنفوانها، وهي التي عايشت بألم هزائم الأمة في أوطانها وأحلامها وأخلاقها وتراجع دورها.

يقول لي عاشق النور طرباً: هل تسمع معي همس السيد الشريف عن مكنون حبه؟ أصغ إليه يبوح ببعضٍ من حبه لوالده: **(تعلقت بوالدي كما تعلق بي، وكان يصحبني قبل أن أدرك وبعده، في كثير من زياراته وأسفاره، فلم أكن أقوى على فراقه وأظنه كذلك، وكأنّي أسابق الزمن وأستغل ساعاته وأيامه قبل أن يدنو الفراق، ولأنهل من أنواره وأسراره ما أجعله ذخيرة لأيامي وآلامي)**. هل رأيت كيف تعلق الاثنان بعضهما ببعض؟ وكيف كان الحال القلبي بينهما؟ هل تسمع ذلك اللحن الشجي بينهما؟ أسمع نغماً قلبياً، يرق ويرق حتى يأخذ بالألباب، أظن أننا لن نفهم تلك العلاقة الوجدانية وذلك الانسجام الروحانيّ بينهما، فهما شعاعان يلتقيان في بحر من النور والعرفان، لكننا على ضعفنا نحوم حول الحمى علّنا نشمّ شيئاً من طيبهما، أونرشفُ وجداً قليلاً من نورهما... أو نسمع شيئاً من موسيقى عشقهما...

قدر ومكانة آل البيت:

يقول عاشق النور متابعاً، والحال الثاني الذي تلقاه السيد الشريف من والده الجليل كان معرفته قدر أجداده من آل بيت النبوة، ومع أنه كان

يحمل ذلك النور الساري، وأنه كان يحمل سراً خفياً من عبق العترة النبوية بين جوانحه، إلا أن معرفته بقامة والده العظيم عند الله تعالى، وملاحظته السرّ الذي يحمله ذلك الشيخ الشريف، وملاحظته صبر والده وتحمله الشدائد والآلام في سبيل رسالته ودعوته، وملاحظته حجم الظلم الواقع على والده الصابر المحتسب من قريبٍ ملّكهُ أمرَهُ، كل ذلك أشعل فيه جذوة التوقير والإكبار لوالده ولآل البيت الأطهار حتى كأنه كان يرى في والده محنة سيدنا الحسين، أو كأنه بين يدي الحسين بن علي ﷺ في صبره وجلده، وفي قوة جسده وتحمله، وفي قوة الظلم الذي تعرض له، ممن اعتدوا على حقه في ميراث أجداده الروحي في طريقتهم ومصدر نورهم، فغمطوه حقه أمام الناس، ولكن لم يغمطه حقّه ربُّ الناس.

ولأن الوالد يحمل سراً من أجداده ومن خلال حاله الراقي رحمه الله، تعرف السيد الشريف على حال جده الشيخ خير الدين الشريف، وسرى إليه ذلك الحال بين جوانحه، فرأى فيه شخصَ الحسن بن علي ﷺ، حيث عاش محنة مشابهةً من نفس القوم، وقضى كما قضى الحسن بن علي ﷺ.

يا أخي... للأولياء من أهل البيت أحوال خاصة، ترحل إليهم من أسلافهم من آل البيت، وترشح إليهم أحياناً كثيرة عبر الأثير، فيمتلئ الخلف منهم من خير وأحوال من سبقه، ويُزاد عليه من حاله ومقامه، وهذا ما حصل مع السيد الشريف بصحبته وملازمته لوالده الجليل، فمن خلاله رشحت إليه أسرار وأنوار من سبقه من أجداده العظام، حتى اجتمعت عنده حزمة أنوارهم جميعاً، فصار السيد الشريف بعدئذ شيخاً جامعاً لعلومهم، ومصباحاً لأنوارهم، فحمل اللواء عن جدارة واقتدار، فكان الأمين على أسرارهم وقطبيتهم.

يا أخي كما ترى... شيخٌ جليلٌ شريفٌ، في الزمن الصعب من تاريخ المسلمين، وبين جبال عمان بعيداً عن عيون المتطفلين، والمتسلقين، وعلى تلال الوادي الفسيح، وفي خلواتهما داخل المسجد وفي أسفارهما وخلال الزيارات الاجتماعية، نقل الشيخ بأمانة وعزيمةٍ وإصرار، إلى ولده الشريف الغالي على أهل الأرض وأهل السماء، كل ما يحمله بين جوانحهِ، من أنوار وأسرار ومنح ومواهب وعطايا، ووهبهُ من العلوم والمعارف ما يعينه على رسالته لأدائها بالذي يرضي رب العالمين، وتم ذلك خلال عشرين عاماً أمضياها معاً، ثم مضى ورحل مطمئناً وقلقاً... مطمئناً على قدرة ولده وفلذة كبده، وعلى براعته في حمل الأمانة وأدائها كما يجب، وكما يحب رب العالمين، وقلق على ولده، قلق الأبوة، وقلق المعلم، وقلق الشيخ المربي، وقلق المحب على حبيبه... كعادة الأولياء والمحبين.

حال الأبوة:

يقول عاشق النور: ومن خلال صحبته للوالد الجليل رشح إليه حال الأبوة المفعم الذي عاشه الوالد الشريف مع الجميع، فكان يألم لآلام المريض، ولجوع الفقير، ولتشرد اللاجئين، ويئن لأنين قلوب المتعبين، ولفراغ قلوب الأيتام والأرامل والمحبطين، يهتم لأحوال المريدين والأتباع والمحبين، فتشربَ السيد الشريف معاني الأبوة الحانية هذه حتى الثماله، لما عاينه في والده من التفاني والإيثار والعاطفه الجياشة، وكان يراه يحترق كالشمعة ليضيء من حوله، وكان يراه يموت ببطء ليحيا مَن في كنفه بسعادة، وكان يأخذ من راحته ليريحهم، ويأخذ من كنفه ليدفئهم، ويأخذ من دمعه ليسقيهم... وحالُ الأبوة عند السيد الشريف لا ينفك عن درب ونهج الوالد الشريف أبداً، فهو يتعامل مع الجميع بمفهوم الشعور الراقي والمتفاني، بهمه وألمه وفرحه، كما أنه يشعر

نفسه بموقع المسؤولية لجميع الخلق، بمنطق الأبوة وحنانها، فيغدق عليهم العون والمدد الحسي إن أمكن له والروحاني كلما احتاجوا له، وإحساسه رفيعٌ، تجاه أمة الدعوة وأمة الإجابة بالبعد الإنسانيّ السامي، الذي يحب الخير للجميع، ويُشفق على الجميع، وهذا إحساسٌ مرهفٌ لا يتقنه إلا الكُمّل من البشر، وللسيد الشريف حظ وافر من هذا الكمال.

حال الصبر:

يقول عاشق النور: أما الصبر! فله عند أهل الله وعند آل البيت قصة أخرى تختلف عن صبر البشر، ولا يقوى عليه بمعانيه الوجدانية وإحساسه الراقي إلا آل البيت الأطهار، لأنهم عنوانه والأسوة فيه، ولأنهم يتوارثونه بينهم نفساً ورشحاً وشمّاً، من خلال الأرواح والأنوار القدسية، فها هو الشيخ الجليل، وبعد أن بلغ ولده (شريف) الثالثة عشرة من العمر يختاره تعالى إلى جواره، بعد معاناة مع المرض، ويصبر الوالد صبر الرجال العظماء لفقد فلذة كبده، وبصبر على البلاء ويحتسب الفقيد عند الله تعالى، ولا يزيده الصبر إلا حلماً ورضىً، وكان درساً عملياً للطفل الشريف يقف خلاله والده الفاقد أحد أولاده بثبات ورصانة، ويُغسّل ولده (شريف) غُسل الموت، ثم يكفّنه بيديه في صبر عزّ نظيره، وتسليم مطلق لقضاء الله وقدره، وأستاذيه خارقه قل نظيرها. ويتعلم الطفل الشريف من والده الأستاذ والمؤدب والمعلم والمربي، معاني الصبر على البلاء والشدائد والمحن، ومعاني الرضى لقضاء الله تعالى، فيكون درساً عملياً لاينسى، في مقام الصبر والرضى، يحلق فيه الشريفان معاً إلى فضاء أرحب، في العلاقة مع الله تعالى وقدره، وإلى إشراقات وتجليات رحمانية، حولت المصيبة إلى حال راقية، ودرس عمليّ من أستاذ حرفيّ ماهرٍ في الصبر والرضى.

ثانياً: التعلم بالحال والمقال معاً (اللحظ واللفظ):

واستطرد عاشق النور يروي مفاصل مهمة في تعليم وتهيئة الطفل الشريف بمنهج مميز وأسلوب نادر هذه الأيام، قال لي: التعلم باللحظ واللفظ اندرس اليوم أو كاد بعد ظهور الجامعات، إذ اقتصر التعلم والتعليم فيها على اللفظ، أو الحفظ من دون التعلم بالحال، فصارت العلوم أحكاماً تنسخ أو تحفظ والعبادات حركات تؤدى، ولم تعد العلوم أنفاساً تنفخ أو قلوباً مفعمة بالحب والاتباع والاقتداء، وهذا سبب مباشر لانعدام روح الأعمال في حياة المسلمين اليوم، فضعف التأثر والتأثير وضعفت الهمّة للدين، وكلما كان المعلم صاحب حال ومراقبة بالإضافة للعلم الشرعي كانت الفائدة منه أفضل، لأن الأرواح تتشام كما تتشام الخيل، ومسارقة العلوم عن طريق الأرواح حالاً، أقوى مفعولاً من أخذها حفظاً... وقد تصدى الوالد الجليل في تعليم طفله الشريف منذ البداية العلوم الشرعية من خلال النصوص والأحوال، وهذا منهج ساداتنا على مرّ التاريخ...

القرآن الكريم:

يقول لي صاحبي، القرآن الكريم له مع السادة الأشراف قصة وأي قصة، فقد ارتبطا معاً منذ البداية، ونور القرآن لايقوى عليه الجميع، في استقبال أسراره أو فهم معانيه أو الترنم فيه، لأن قلوب آل البيت وعاء له وواعية له، فهم الأكفأ والأقدر على الغوص في أسراره والتملي من أنواره، ونور القرآن أصل الإرث النبوي الذي سرى فيهم، فإذا سمعه المسلم من حناجرهم أو من خلفهم وهم داخل المحراب، تواردت عليه معانٍ للآيات جديدة، وشعر المسلم أن القرآن رطب نديّ وكأنه يتنزل الآن من السماء، وسرت فيه نشوة المناجاة لله تعالى، فالقرآن من حناجرهم يفتح للمصلين خلفهم مدارج السماء لعروج

الروح، وهذه العذوبة مصدرها ذلك التناغم بين النص القرآني وروح وقلب حفيد الرسول ﷺ، فمن أحب سماع القرآن دافئاً كما أنزل فما له سوى سماع أحد فرسان آل البيت في المحراب. وقد أخذ السيد الشريف من والده الجليل نبض الآيات وروحها وجداً وغراماً منذ صغره، فقد كان البيت والمسجد الذي يؤم به الوالد الجليل في وادي السير جيراناً، ويفصل بين البيت والمسجد، زقاق يطل على المسجد من خلال شبابيك ترتفع عن أرض الزقاق قليلاً، وعندما كان الطفل الشريف في الرابعة من عمره، كان يقف على هذه الشبابيك، يستمع من خلالها لأعذب الألحان، التي يؤديها والده الشريف في المحراب من آيات تتلى آناء الليل وأطراف النهار، فقد كان والده يقف في المحراب كالملاك الطاهر، يحلّق فيه، وهو يخاطب ربه بآياته وسور قرآنه، فكان القاصي والداني يتهافت إلى مسجده لسماع القرآن من فيهِ الطاهر، حتى زاره مرة أحد الأولياء، فقال له والطفل الشريف يستمع: أقسم أنني رأيت الملائكة في منامي تقرأ القرآن في الملكوت الأعلى كما تقرؤه يا شيخ حسن... وهو ما زاد الطفل تعلقاً بالقرآن الكريم وسماعه من والده كما تقرؤه الملائكة، ومن يومها اشتد تعلقه بوالده وازداد حبه لسماع القرآن بصوته، وكثر اصغاؤه للقرآن يعطر به الشيخ محرابه يومياً، وواظب على الوقوف على شرفة المسجد ومن ذاك الزقاق، وهو يتشرب آيات الله سماعاً ووجداً وفهماً، من أحد أوليائه الذين يمشون على الأرض، وهكذا ومع مرور السنين تعلم قراءة القرآن سماعاً حتى صار فيما بعد إماماً في المحراب نفسه، وها هو السيد الشريف يبوح ببعض سره في جلساته، ويقول مفتخراً بوالده: **(لم أجلس يوماً طيلة عمري أمام معلم يعلمني أحكام القرآن، بل تعلمته سماعاً من والدي في محرابه وخلواته).**

العبادات والطاعات:

للعبادات والطاعات عند الوالد الجليل معانٍ راقية، فالعبادة صلة وتقارب روحي مع الخالق، وانجذاب للملأ الأعلى، وتقلب للقلب في السماء يبحث عن المستقر حيث الراحة والإطمئنان، وهي لحظات للتجليات والإشراقات، ولا تخلو العبادات من تفكر وتدبر وتلقٍ لإشارات وواردات السماء... وقد تعلم الطفل الشريف من والده قولاً وعملاً هذا التبتل والتعبد، فالعبادة ليست واجباً للأداء فقط، كما يفهمها معظم الناس، ولكنها لحظات للأنس والقرب وعروج للروح، فازداد تعلقاً بالعبادات والطاعات والقربات، وكان من توجيه الوالد رحمه الله لطفله الشريف، الحرص على أداء الواجبات الدينية وهو في عمر مبكر حتى تترسخ في وجدان ولده هذه المعاني الراقية والسامية ويتربى وينشأ عليها، فقد صام رمضان كاملاً وهو ابن ست سنوات، وكان رمضان أيامها يأتي في عز الحرّ والقيظ، يقول لي صاحبي عاشق النور: اسمع السيد الشريف وهو يتحدث عن ذلك الزمان... انظر كيف يتلألأ وجهه سروراً حين يروي عن والده: **(أنا اذكره وهو يصبّرني على عطش النهار وجوعه، ويتعاهدني بالسؤال طوال النهار حتى إذا رآني وقد أنهكني العطش، وبدلاً من أن يقول لي قم واشرب فانت صغير وغير مكلف، يقول لي: اذهب وتوضأ من جديد وتمضمض، وبالغ في المضمضة).**

العلوم العينية:

كان الوالد الشريف قد اتخذ لنفسه خلوة بالمسجد، وكان بين الحين والحين، يدعو ولده الشريف لخلوته، فيمكث معه الليالي الطوال وهو في ابتهالاته وقيامه وركوعه وسجوده وقراءة أوراده، وتلاوة كتاب الله، وفي النهار كان يعلمه أحكام الدين من عقيدة وفقه وسيرة وغيرها من

مبادئ وأخلاق الإسلام. يقول لي صاحبي: اسمع معي همسه الرقيق، فهو الآن يحادث أحبابه ومريديه عن تلك المرحلة فيقول: (**صار المسجد هو كل حياتي، وأنا على الدوام أرقب الفارس في محرابه، ومن على منبره**)، وبسبب اهتمام والده الجليل المباشر له، تعلق قلب الشاب الشريف بالمساجد، وصار المسجد ساحة أنسه ومعراج روحه ومرتع شبابه، وملجأه إلى مخدع محبوبه ومعشوقه والده العظيم، حيث دفء الأبوة والسكن الروحي له بكنف أستاذه وشيخه ومعلمه، وقد دفعه والده نحو القراءة بالكتب المتنوعة، فتنوعت ثقافته وتنامت مواهبه وتوسعت مداركه في علومٍ وآدابٍ شتى، وهذه المطالعات المتنوعة واندفاعه الشديد لها وتعطشه للمعرفة بشتى صنوفها، شغلته عن اللعب مع الأطفال ممن هم في مثل عمره، فلم يلعب مع من يلعب، ولم يلهُ مع من يلهو، بل كان هناك أمر ما يقلقه ويشده، وكأن القدر كان يعدّه لأمر ما جلل!. اسمع معي إلى صوته النديّ يحدث عن تلك الفترة باعتزاز: (**لا أذكر أن اللعب كان يستهويني، فلم ألعب كما يلعب الأطفال، بل ظننت أنني لم أخلق لهذا، كان اهتمامي ينصب على العلم والتعلم، فكان الكتاب ضالتي المنشودة، وكنت على الدوام أرقب مواعظ والدي وخطبه، وكم كنت أتألم بأحواله وانفعالاته وعواطفه الدينية الجياشة**). كان منذ صغره رجلاً على بصيرة وهداية ورشد، يتعلم بمنهجية واضحة المعالم، ودراية لما هو قادم في قابل الأيام، كل ذلك بإرشادٍ من والده الشريف.

البَابُ الخَامِسُ

مرحلة المدرسة: بداية التألق

دعاني عاشق النور إلى جلسة سمر خاصة يضيء فيها بعض الجوانب الجميلة والأنيقة، من بدايات التألق الظاهري للسيد الشريف خلال مرحلة دراسته الابتدائية ومرحلة الشباب، حيث بدأ نجمه يسطع بين أقرانه، ولفت نظر معلميه له حتى صار في المدرسة رائداً ومقدماً في كل نشاط، وصار نموذجاً لحسن الخلق والعشرة... كما اندهش لخُلقه وعلمه وصوته الجميل في القرآن والأذان جيران الحي ورواد المسجد وضيوف والده... ومما رواه لي عاشق النور مبتهجاً...

تألقه في تلاوة القرأن:

في المدرسة كان الشاب الشريف يفتتح الإذاعة المدرسية في كل يوم بتلاوة آيات من القرآن الكريم، وكان صاحب صوت نديّ، ولصغر البلدة (وادي السير) آنذاك، كانت بيوت البلدة كلها تستمع لتلاوة ذاك الشاب الشريف، من مكبر الصوت الصادح من المدرسة، وكانت هذه التلاوة من فمه الزكيّ كافية ليكون يوم المدرسة مميزاً وجميلاً له ولكل الحاضرين.

تألقه حين رفع الأذان:

ثم صار الشاب الشريف يرفع الأذان بالصلاة، على مكبرات الصوت في المسجد، وكان كثير من أصحاب البيوت في البلدة

الصغيرة، كانوا يفتحون نوافذ بيوتهم عند الأذان لسماعه، كان للآذان منه ولا يزال سحرٌ خاص يأخذ بالألباب ويمنح المؤمن السامع له جوّا خاصا من الطمأنينة والسلام، والرغبة في أداء الصلاة، فإذا دخل السامع للأذان الصلاة، رق قلبه وسمت روحه وغدا يقارب السماء في وجدانه وعروج روحه. وأذكر يوماً أن أحد المصلين المعمرين، دخل المسجد والشاب الشريف يؤدي الأذان في غرفة صغيرة، كان يرفع الأذان منها، وما إن خرج من الغرفة، حتى رمقه بشرر عينيه قائلا باللهجة العامية: (وَلْ! شو هذا الصوت مثل الجرس) وبعد أداء الصلاة بمعية والده الشيخ الجليل، ذهب الجميع إلى البيت، وجاءهم للبيت ضيف هو سيدي كمال، والموعد موعد غداء، فأشار الوالد للشاب الشريف أن ينزل إلى السوق لشراء اللبن، وما إن شرع بالنزول، حتى وقع في منحدر كان يفصل البيت عن السوق، وتهشم وجهه، وسال منه الدم، فخرج الوالد على بكائه العالي، وهو يقول: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞ ﴾.

قال عاشق النور متألماً وهو يتذكر ذلك الدم الطاهر المسال: لقد عانى الوالد الشريف كثيراً في رعاية وحماية ولده الشريف، قبل وبعد هذه الحادثة، فظهور أحوال ولده قبل أوانه وقبل زمانه كان يوقعه في حرج وخوف عليه، وكم سهر الليالي يناجي ربه متضرعاً كي يحمي له ولده، ويعينه على رعايته وكلاءته، وعانى كثيراً أيضاً في التستر عليه من عيون المتطفلين ومن عيون الحساد، وهم كثر، لأن تألق الشاب الشريف كان من التميز بحيث كان يلفت النظر إليه، وقد يزيد حساده أو حاقديه، لكن رعاية الوالد المتميزة ودفء أفراد أسرته، وعطاءهم

وحنوهم، ومن خلفهم حفظ الله تعالى له، كان السبب في رعاية الشاب الشريف وحفظه كما أراد له أبوه، فكان السيد الشريف متفرداً بين أقرانه وجيله، ويُعدّ كما أراد له تعالى، وكان والده يأخذ من راحته ووقته الكثير ليمنحه للشاب الشريف، لمعرفته المسبقة بالدور المتميز القادم لولده الشريف. تلك أمة شريفة بعضها من بعض...

سألت عاشق النور: إذن كيف كانت علاقة الشاب بوالده؟ قال لي: كان الرباط الوجداني بينهما كبيراً جداً، لا نعرف مدده ومداه، ولا نحيط بمكنونه أبداً، وكان المدد الروحي الآني الذي يناله الشاب الشريف، والتدفق النوراني الذي يهبه له والده، كفيلان بتوهج نار الحب والشوق لديه، وكان الشاب الشريف يعاني كثيراً عند ابتعاده عن والده لأي سبب، لأنه كان كالمريد بين يدي شيخه أو أكثر، وهذا الفراغ الروحي لبعد الشيخ لا يدرك معناه إلا المحبون أو العاشقون، ولا يسد لواعج هذا الشوق إلا مجالسة الشيخ الحبيب، أو رمقه بنظرة شوق تطفئ لهب النار في القلب، أو سماع حسّه ولو من بعيد، أو الغيرة والألم من كثرة المحبين حوله.

ولأن الوالد الجليل كان يعاني من مرض القلب بسبب ثقل أحماله، وبسبب إصراره على طمس دوره الرباني القادم عن عيون وقلوب الناس، وانطوائه على مهمته الربانية، وتحمله الأذى أحياناً كثيرة وهو يرى إرث طريقة الأجداد من آل البيت يعبث به العابثون، ولأنه كان كثيراً ما يسافر للعلاج في مصر، أو كان يغيب عن الأسرة وعن المسجد وعن ولده الشاب الشريف، مقيماً في المشفى بسبب نفس المرض، فكان الشاب الشريف عند غياب الوالد يشعر باليتم المضني، وكأن مستنده الروحي تركه أو قلاه، أو كأن الكون قد تآمر على الهجر والبعاد، فيعاني كثيراً من ألم الفراق ولواعجه ولا يحس به أحد ممن

حوله مما يجد ويكابد، حتى إنه كثيراً ما كان يمرض لمرض والده بسبب هذا التناغم الكبير بينهما، وبسبب الحس الوجداني العظيم الرابط بينهما، وكان يبحث عن بديل يداوي كلومه وجراح قلبه الدامية والموجعة، فكان يلجأ حيناً الى والدته العفيفة والمربية، الصابرة والمتفانيه في خدمة أسرتها كملاذ مما يجد، فيرأف لحالها لآنه لا يذكرها في طفولته إلا ترضع أو تغسل أو تنظف الأواني أو تطهو الطعام أو تكنس البيت وتلم شعثه، فقد عاشت سني عمرها في شقاء وضنك وعطاء، وها هو إني أسمع حسه المرهف عنها يقول: **(كنت أرأف لحالها وهي تؤازرني، وتشد في عضدي، وتشجعني، على ما أنا فيه)**... وحيناً آخر كان يلجأ إلى أخته الكبيرة سهيلة، التي كانت أماً ثانية له، التي كانت تلاطفه وتعلمه وتطعمه وتعتني به أحياناً كثيرة. في الوقت الذي كان فيه أخوه الكبير سيدي محمد مسافراً لتحصيل علومه الشرعية في دمشق، ومن ثمّ في القاهرة وطرابلس، حيث مثّل له حين عودته، وبعد وفاة والده ومرشده، سنداً وظهراً صلباً أمام نائبات الأيام.

الضيافة والكرم:

يقول محدثي تعلم الشاب الشريف من والده كثيراً من أخلاق الأولياء وأخلاق السادة رجال السند وآل البيت، من خلال الممارسة اليومية أمامه، والتوجيه المباشر أحياناً حتى صارت تلك الأخلاق مع الأيام جبلة في كيان الشاب الشريف، فرغم مرض والده الشديد والمستمر، ورغم معاناته مع الألم، فقد كان بيته باباً عالياً لأرباب الهموم والمشاكل والكرب بأنواعها المتطلعين للحلول الملائمة، والتي كان يبذل لها الوقت المضني أحياناً في سبيل إسعاد الآخرين وتفريج كروبهم... بل كان كثيرا ما يذهب الى بيوت الناس لاصلاح ذات البين وحل المشاكل بين الأزواج، وكان يتكلل جهده بالنجاح بفضل الله تعالى،

كما كان والده مضيافاً من الطراز الرفيع تيمناً بجده سيدنا إبراهيم الخليل أبي الضيفان عليه السلام، فقلما كان البيت يخلو من الضيوف، زواراً أو مقيمين لآجال طويلة أحياناً، وفي الأحداث المؤسفة في العام سبعين كان البيت ملاذاً لكثير ممن شردتهم الأحداث، عاشوا معهم ليلاً ونهاراً طيلة الأحداث، وهو ما أكسب الشاب الشريف شعوراً دائماً وإحساساً مرهفاً بهمّ المهمومين، وكرب المكروبين وساعده فيما بعد على مد يد المساعدة للمكلومين والمحتاجين.

سألت عاشق النور، كيف تنامى عند الشاب الشريف همّ الأمة؟ وكيف صار إحساسه بأوجاع الأمة مقضاً لمضجعه؟ قال لي: يا صاحبي! لقد عايش هذا الهمّ وانتقل إليه ذلك الألم باحتلال فلسطين من والده الجليل حامل الهمّ الكبير، وكثيراً ما كان يشده اهتمام والده بالأحداث وتفاعله معها، ومتابعته لتفاصيلها، ومما أذكره جيداً قلق والده المتواصل في أحداث حرب عام ١٩٧٣، والمهم هو انتقال هذا الهمّ وهذا القلق إلى الشاب الشريف رشحاً من والده، اصغ جيداً معي إلى ذلك الإحساس المرهف والدرس العملي الذي حازه الشاب الشريف من والده وهو يروي بعضاً منه إذ يقول: **(... إلا أن المؤشر الكبير الذي لفت انتباهي وأذكره جيدا، هو بكاؤه يوم مقتل الملك فيصل ملك السعودية ورأيته وهو يضرب كفا بكف، ويقول: قتلوه لأنه أوقف النفط عن الغرب في الحرب)**، والحقيقة أن جميع إخوانه في البيت قد توارثوا نفس الشعور بهمّ الأمة، وصار ديدنهم قضايا الأمة وجراحها، وأذكر أن أخاه الكبير سيدي محمد، تم اعتقاله إثر خطبة جمعة ألقاها في المسجد ينتقد فيها أوضاع الأمة ويشكو آلامها وأحزانها، حيث كان قد تخرج من الجامعة بتخصص الشريعة، وكان يخطب في مسجد والده ومساجد أخرى.

يقول صاحبي عاشق النور: في صحبة الأولياء والصالحين، وعند صحبة الرجال الكبار من آل البيت، تنمو عند المريد أحوال النفس اللوامة، وتنمو لديه أحوال المراقبة والخشية من الله تعالى مما يساعده كثيراً في تعديل مسلكه وتقويم سلوكه، ومما لاشك فيه أن الشاب الشريف تطورت أحوال النفس عنده وتسامت سريعاً ومبكراً، وهو في عمر الزهور، بصحبة والده الشيخ الشريف والمربي الفاضل الذي نذر نفسه لولده، وأعطاه جل وقته وجهده، لنستمع الآن لصوته الرخيم يحدث عن نفسه بصحبة والده الشريف، إذ يقول: **(أصبح لي سميراً من نفسي يحاكيني، يرقبني، يناديني، يؤرقني، يحاسبني، يؤنبني، ومن دون شعور مني نمت في وجداني، وبين دفتيّ، وفي مجاري دمي أحوال النفس اللوامة، وفوجئت بالطفل الذي أسيره، أنه قمع كل أدوات النفس الأمارة، فلم آبه باللهو ولا بلعب الأطفال ممن هم في عمري، ولم تستهوني نزعات الهوى، وتطلعات أقراني...)** وهذا يعني أن الشاب الشريف كان كبيراً في اهتماماته، وعظيماً في تطلعاته، ومتميزاً بين أقرانه وأترابه، وإلا فأنّى لشابٍّ في عمر العاشرة، أن تشده أحداث الصراع الإقليمي والدولي وأمور السياسة وهموم الناس، بل وكثيراً ما كان يبكي تفاعلاً وحرقة على الآلام التي تنزل بالمسلمين؛ أو لحدث ما حل بالمسلمين أغضبه وأثاره، أو أسعده وأفرحه، كل ذلك بمعيار الهمّ العام للأمة وليس لمعيار ذاتيّ أو شخصي، بل إن الهمّ العام لأحوال المسلمين كان ولا يزال مؤشر الفرح أو الحزن لديه، فقد بكى كثيراً لبكاء والده يوم مقتل الملك فيصل، وبكى يوم مقتل السادات في اللحظات الفاصلة بين إصابته وإعلان وفاته... وهذا البكاء لم يكن حزناً أو ألماً من الفقد، لكنه كان دمعاً لحدث كبير يحدث في الأمة، ويدخلها في المجهول.

هكذا هم أهل الله دوماً، يحملون الهمّ الكبير صغاراً، ويكبرون به، ويكونون ذخراً للأمة وأماناً لها في الكربات والملمات والأزمات، وغالباً يأتي الفرج على أيديهم وبسببهم...

وقد يتبادر للذهن بعض الأسئلة، مثلاً: كيف كان انعكاس الوضع المادي الصعب للعائلة على الشاب الشريف؟ وكيف كان يتدبر شؤونه ومتطلباته؟ يقول عاشق النور مبتسماً: إن أهل الله ومن هم على دربهم، وكذلك آل البيت الأطهار، يندفعون باتجاه مسؤولياتهم وأدوارهم من دون الالتفات للدنيا وحوائجها، وذلك ليس زهداً فيها فقط، ولكن تحقيراً لها، وإدارة الظهر لها، ولذا لم يكن الشاب الشريف يحب التعاطي مع النقود ولا يستهويه صرفها في غير طائل كما يهوى الشباب في مثل سنه، وكل ما كان يحصل عليه من والده أو ممن كان يشجعه على التزامه الديني والخلقي كان يدّخره لوقته، وعند بدء العام الدراسي أو عند قدوم أحد العيدين كان يستخدم ما ادخر من مال لشراء الثياب وما يلزمه من متطلبات، ليس رغبة في الثياب بل إشفاقا على والده الجليل من أن يلبس ويتنعم بثياب مشتراه من عرقه وكده، وكم كان يتألم لحال والده الشريف وشظف عيشه، وهاهو أنا أسمع صوته المخنوق يحدث عن ألمه لحال والده المقتر: **(كم كانت تذيبني وتحطم قلبي حبات العرق الطاهرة، عندما أراها رقراقة سيّاحة تتهادى من على جبينه)**. وكان يعمل في العطلة الصيفية، فقط حتى يتمكن من شراء ملابس وحاجيات المدرسة وملابس العيد أيضاً، وكثيراً ما كان يشارك إخوته تصنيع الظروف الورقية من ورق أكياس الإسمنت، لبيعها لمحلات الخضار والفواكه، كما عمل في بيع حاجيات وحلوى الأطفال في الصيف من بسكويت وحلويات... وحتى القشطة بالعسل كان يبيعها ليؤمن احتياجاته، ولا يدع والده يقدم له مصاريف تلك الاحتياجات، ثم لما اشتد

ساعده عمل عاملاً في حمل الباطون حتى تمزق كتفه فنهاه والده عن هذا العمل.

يقول عاشق النور متذكراً تلك الأيام: كان الشاب الشريف يلاحظ كثرة التزامات والده الشريف الأسرية، ويرى ثقل عبء المصاريف الأسرية الكبيرة مقابل الدخل البسيط، كما كان يراقب والده الجليل وهو يدفع صدقات للمحتاجين من الأقرباء أوالغرباء رغم ضيق الحال الشديد، كما كان والده الجليل يولم كثيراً لمن يطرق بابه من الأصدقاء والمحبين وهم كثر، كل ذلك كان يدفع بالشاب الشريف للعمل والتكسب، كي يخفف عن والده أعباءه، ولكي لا يجعل من نفسه وحاجاته ومتطلباته ثقلاً إضافياً عليه.

هذا الإصرار على العمل من طفل ثم شاب شريف، يهيؤه رب العالمين لدور كبير قادم في دنيا الناس، ليدل على عزة نفسٍ مبكرة ظهرت لديه، وتؤكد شدة إحساسه بمكنون قلب والده المتفطر لإسعاد عائلته وتأمين العيش الكريم لهم، والذي كان مستعداً لتقديم عمره وعرقه لإسعاد أولاده وأسرته ومن يؤم بيته، وتشير إلى معارف جديدة تضاف للشاب الشريف ستفيده لاحقاً عندما يتقدم الصفوف مربياً ومرشداً وداعياً إلى الله على بصيرة، وتشير إلى طفل شريف حرٍ عزيز النفس، متوقد القلب شديد الإحساس، رهيف الصدر، محبٍ من الطراز الرفيع لوالده وشيخه ومربيه، متفانياً في سبيل تجهيز نفسه بما يلزم من أسلحة العلم والعرفان وخدمة المجتمع...

قلت لعاشق النور: مما يلفت النظر أول ما تقع عيناك على السيد الشريف اليوم، ذلك التأنق مع التألق في طلته وملبسه وحديثه ومجالسته، وكأنه مكنون من الدرّ مرصع بعناية، فحيثما يقع النظر عليه فهو جميل أخّاذ، ترتاح لرؤيته لأنه مظهر الجمال الرباني، ومظهر

العناية الرحمانية، تَحارُ في وصف جماله ودلاله، مشيته كأنه الملك في سلطانه، ملبسه كأنه الملاك الطاهر، حديثه بليغ كأنه حديث الأنبياء، نوره كأنه البدر في سماء صافية...إذا تكلم لا يزعج سامعه ولا يؤذيه، بل يشد من يسمعه للإصغاء إليه بلهفة واستزادة، لا يمل منه مُجالسه ولا مُحدثه، سألت عاشقه المتيم به: متى بدأ الجمال يخطو إليه؟ ومتى تفتق محياه عن ذاك البهاء؟ ومتى بدأ يتلمس مواطن الجمال مما يحيط به؟.

قال لي بعد شرود وغياب في عالم الملكوت، وكأنه يحلق في فضاء الكمالات النورانية: بدأ شعور الجمال داخل الطفل الشريف ينمو ويزهر قبل أن ينطق أو يتعلم السير، وقبل أن يميز كالأطفال كان يلفت نظره مظاهر الجمال في محيطه... كانت تعجبه ألوان الزهر في حديقة البيت، أو كان يعجبه تناسق ألوان فستان أمه وأخته سهيلة، وكان يُفتن بعمامة والده الجليل، ويرى والده في عمامته وكأنه يحمل تاج عزّ وفخار، وكان يعجبه الطعام الزكي الطيب ويميزه عن الرديء، ومن حيث لا يشعر بدأ ينمو في داخله حب الجمال ومظاهره في الكون ومفرداته، بل صار في مقام الجمال وهو بعد يحبو ويحمل قلباً طفولياً، وكأنه أول مقام طرق باب قلبه الصغير أنذاك فدخل وتربع فيه، ولم يكن يعلم ولا يعي بعد مقامات الجمال والجلال، ومع أن مقام الجلال تفتق في وجدانه بعد شقيقه الأول مقام الجمال، وتفتق مقام الجلال جياشاً هادراً كما سنتحدث عنه في ظروفه، لكن مقام الجمال ما زالت دواعيه تحبو إليه إلى يومنا هذا، وقد علّم مريديه ومحبيه التقاط مفرداته قي الكون، فعَشق الجمالَ كلُّ من عرف السيد الشريف أو قاربه من محبيه وأتباعه ومريديه، فتمثل حب الجمال بحب الطبيعة ابتداءً ومحاكاتها انتهاءً، أحب الطبيعة بجميع أطيافها وألوانها شجراً وحجراً، سهلاً وجبلاً، براً وبحراً، خضرةً وصفرةً، وما زالت الطبيعة تستهويه ليومنا هذا، بل هو عاشق للطبيعة

من الطراز الأول والرفيع، حتى تجلى ذلك الحب بتناغم بينه وبين الكون، فصار ممن يتقن لغة الكون ويتقن الإصغاء إليه. تعال معي لنسمعه وهو يتحدث عن حبه للطبيعة والجمال: **(ثم صرت أتدرب على محاكاتها وفهم أسرارها حتى أدركت التناغم فيما بينها لاحقا، وفهمت لغتها وكيف تسبح خالقها وبارءها، وكيف تطيع الله فيما أمرها وكيف تعتب على بني آدم حينما يخالف ربه الذي أوجده وأسجد الملائكة له وسخر كل ما خلق لخدمته ومتعته، وكيف تمسك عن التعاون معه وتعرض عنه عند عصيانه، وأدركت الصلة بين أهل الله وبقية المخلوقات وآلية التعاون بينهما).**

يتابع صاحبي حديثه مفعماً بحسّ الجمال العالي عند السيد الشريف: ظهور حب الجمال مبكراً عند الطفل الشريف، كان بداية لمعارف تتلى عن خالق الجمال في الكون ومعارف سامية في قلبه عن مظاهر هذا الجمال الرباني فيما أبدع في الأكوان، جعله يسعى دائماً لتلمسه في كل شيء، ومن هنا كان اهتمامه الحثيث بهندامه ومظهره. كان يحب لبس الثياب الجميلة والمرتبة والنظيفة، وكان ولا يزال شديد الحرص على تناغم الألوان في ثيابه؛ فالله خلق الكون متناغماً في نظامه وحركته وألوانه، يقول في أحد جلساته مخاطباً مريديه: **(وكم يمتعني النظر إلى الطيور الملونة وأنا أرى تناسق ألوانها وحسن خلقتها، فالله جميل يحب الجمال في سلوك الناس وأخلاقهم وألسنتهم، وما زلت لليوم أكره القبيح في المشهد والقول والمنطق والخُلق والسلوك، بل وأبغض النشاز في كل شيء؛ لم لا والله خلق كل شيء بميزان).**

قال لي عاشق النور وهو في نشوة السكر من انعكاس حب الجمال عند السيد الشريف عليه وعلى الأكوان: انظر ترى الجمال يشده هناك في بدر السماء، أو في نجوم المساء، وهناك خلف أوراق الشجر وعلى

تخوم الصحارى وعلى قمم الجبال، ويشدّه في ضحك الصبايا وانحناء العمر عند الكهول، وفي خفقان القلوب وبرق الرعود وقطر المطر... أنّى التفتّ ترى نور الجمال يشده، وإطلالة الحُسن تسعده، ونغمة الصوت تطربه، ولحن الوله في أوتار قلوب العاشقين تسكره...

نعم... نورُ طلته ينير درب الثكالى واليتامى وكل المتعبين، في ظلام المآسي وقفر الليالي وشح الأمل، نرى الجمال وضيئاً، وحيناً مضيئاً، وأخرى نراه في بسمات الأمل.

الباب السادس

مرحلة الدراسة الثانوية: التكوين الفكري

في شبابه... توجه السيد الشريف للقراءة المتنوعة والمتأنية، فاتجه إلى قراءة ما يصل إليه من كتب أدبية وقصص ودواوين شعر، وكان الإنتاج الأدبي العربي كبيراً في ذلك الزمان، وكان تذوقه المبكر للنص القرآني واللفظ القرآني، سبباً مباشراً لميوله الأدبية، فصار يهوى النصوص الأدبية المختلفة حتى نما عنده الحس الفني وتطورت لديه الصور الأدبية والبلاغية في سن مبكرة، وصار يجيد الكتابة وفن الإنشاء وفن الخطابة، وتميز بين أقرانه في الصف ثم في المدرسة، وصار يتقدم رفاقه في الكتابة والخطابة، يقول عن تلك الفترة المدرسية: **(لم أتخلَ عن صحبة الكتب والقراءة، صرت أقرأ في كل الاتجاهات**

وأنا أتابع تحصيلي في المدرسة، وصرت أكتب فلمعت فيّ كتابة الإنشاء، وكنت في المرحلة الثانوية الطالب الوحيد الذي يقرأ موضوع الإنشاء على طلاب الصف ابتداءً، ثم على الإذاعة المدرسية لاحقاً).

ويتابع عاشق النور بفرح وحبور: ثم ونتيجة للوعي الأدبي ثم الفكري لاحقاً والذي أضافته له مطالعاته المتنوعة، ونتيجة لتأجج مشكلة فلسطين والقدس الشريف، ونتيجة للآلام التي يراها أمامه في محنة اللاجئين والمهجرين، ونتيجة لحسه المرهف لانعكاسات أوجاع الأمة الإسلامية عليه وما يعانيه من وجع وألم... بدأ يفكر في الحلول الممكنة لخلاص الأمة من محنها، وكان في مقدمة هذه المحن احتلال فلسطين، وهو ما زال في المرحلة الثانوية، وقد تفاعلت الأوجاع داخله وأقضت مضجعه وأخذه حماس الشباب كثيراً، حتى إنه كان يفكر في بلاد الأندلس!... كيف سلبت من المسلمين؟ وأنّى لهم أن يعيدوها؟ وشعر أنه في موقع المتألم على قضايا المسلمين وهمومهم وهو في تلك السنّ والمرحلة الدراسية، كل ذلك كان انعكاساً لهموم والده وأسلوب نشأته بين يدي ذلك الشيخ الجليل... وفي ذلك الزمن من عمر الأمة الإسلامية.

أما صناعة الفكر والمنهج الصوفي السليم والراقي في ذات الشاب الشريف، فقد أخذ من والده الجليل العمر كله، وهو ما عاش عليه ومضى مطمئناً إلى حُسن الغراس والنتاج المرجو منها، يقول السيد الشريف عن ذلك: **(كان والدي رحمه الله قد اطمأن لِما غرسه فيّ من فهم للتصوف الذي هو منهج الآباء والأجداد، ويرى عاطفة الإيمان وقد خالطت لحمي ودمي وعقلي وفؤادي)**، وكان والده يمنّي النفس أن يكمل ولده الشريف تعليمه الجامعي الشرعي؛ استكمالاً لما بدأه معه خلال سني عمره من علوم وفهوم إسلامية صافية، وقد جاءه من يعده

بتأمين مقعد في الثانوية الشرعية لولده، ثم متابعة التحصيل في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة على هيئة منحة دراسية، إلا أن الوالد الجليل رفض ذلك وأصر على تحصيل ولده للشهادة الثانوية في الأردن، وهذا ما كان...

كان هذا الرفض من والده مدعاة له للتفكر بالحركات الإسلامية العاملة على الساحة، ودراسة فكرها ونهجها، فراح ومن دون علم والده يقرأ ويدرس في الفكر الوهابي عبر الكتب والكتيبات التي كانت توزع مجاناً، فعرف الكثير عن نشأتها وحياة مؤسسها، وعرف تفاصيل منهجها ورؤيتها ونظرتها لغيرها من الحركات الإسلامية على الساحة، ثم قرأ ودرس ما يصل إليه وإلى غيره من الناس من نشرات حزب التحرير، وعرف نهج هذا الحزب ورؤيته لنهضة المسلمين، ورؤيته للخلافة وغيرها من أصولٍ قام عليها فكر الحزب، ثم قرأ في فكر الشيخ حسن البنا؛ ليتعرف على منهجية حركة الإخوان المسلمين، وأسس هذه الحركة وتطلعها لنهضة الأمة الإسلامية، ودرس سيرة الإمام وتطبيقات فكره، وانتشاره في العالم الإسلامي، ثم مطاردات رجال هذا الفكر، ودراسة نجاحاتهم وإخفاقاتهم، ثم اطلع على فكر جماعة التبليغ وأسلوب عملهم ونهجهم في سبيل نشر الإسلام...أما بقية الحركات اليسارية والعلمانية والتي انتشرت وعمت البلاد العربية والإسلامية في تلك الحقبة من الزمن، فلم يعرها أي اهتمام، يقول في هذا الشأن لاحقاً: **(لأنه ترسخ في أعماقي منذ الصغر أن هذا الكون لله وأن الحل هو بشرع الله، ومع ما لدي من رصيد سابق تشدو طيوره في أعماقي وتفيض عواطفه من جوانحي من مشاعر إيمانية وعواطف ربانية، ومما قرأته في فكر الحركات الإسلامية، تبين لي أن الحل هو في ما لدى جميع المدارس الإسلامية من إيجابيات، وأن المشكلة تكمن فيما لدى جميع الحركات الإسلامية من سلبيات، فعدت ابتداء إلى أشجان**

الروح أسكن فيها ما اضطرب من أفكار العقل حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً).

بداية خطبة وصلاة الجمعة:

سألت صاحبي: متى كانت خطبة الجمعة الأولى؟ قال لي بعد صمت طويل: كان عام ١٩٨٠ الميلادي مفصلاً جديداً من فصول الصناعة للشاب الشريف، ففي هذا العام، وعندما كان في سنّ السادسة عشرة من العمر، ثقل المرض بوالده الشريف، ووقف يوماً يخطب الجمعة وكاد المرض يقعده أثناء الخطبة، حيث كان يعاني من مرض القلب، واشتد عليه الإرهاق والتعب، وصار أي جهد يبذله يرهق كاهله، لأن قلبه لم يعد يحتمل كل هذا الجهد وهذه الانفعالات، وكان الشاب الشريف يستمع إليه يومها كعادته بكل جوارحه، ويسترسل معه في إشراقاته، وصار ألم والده وهو على المنبر ينال منه بعد أن أحس به وبألمه، فانتقل إليه وبدأ يقطع نياط قلبه، وكاد يفتك به قبل أن يصل إلى أعضائه، ويومها نزل عن المنبر وأشار إلى ولده أن يؤم الناس في صلاة الجمعة، فتقدم بثبات وشعر أنه يحمل أمانة يجب أداؤها كما يرغب شيخه وأستاذه، وصلى بالناس لأول مرة، ولأول مرة يصلي خلفه والده الشيخ الجليل المبجل، والمريض المنهك، يقول الإمام الشريف المكلف من والده **(فجاءني من الثبات في الصلاة (وقد أمرني هو بها) ما جعلني أجيب على سؤاله بعد الصلاة بكل ثقة، إذ قال لي والله لا أعرف كيف أحل مشكلة خطبة الجمعة، فلم يعد باستطاعتي أن أقف خطيباً، ولا أدري من يؤديها عوضاً عني؟ فقلت حينها من دون تردد أنا، قال وكأنه يتشوق للجواب، أوَتقدر؟ قلت بإذن الله، قال إذن أعد لك الخطبة، قلت له أنا أعدها فقال: حسناً)**، يقول عاشق النور: لو كنت هناك معي بين المصلين في الجمعة التالية لأنه فعلاً كان واقفاً

على المنبر كما وعد والده، لكن وقع ما لم يكن في الحسبان، فقد أخذته رعدة ورهبة لم أعهدها فيه من قبل، لأنه كان يقف فيما مضى بين جميع طلاب المدرسة مراراً وتكراراً من دون رهب، وكان يجالس كبار السن على الدوام، ولكن يبدو أن الذي قلب كيانه هو أن يكون واقفاً مكان والده وبين يديه، وهو ما هو في دنيا أهل الأرض وأهل السماء، نعم يا أخي صعب جداً أن يقف المرء مكان شيخه أو والده، فكيف هما معاً على منبر الخطابة، رعب كبير يصيب الروح، واضطراب في الأوصال، وسرعة دقات للقلب، وخفقان مختلط المشاعر بين الرهبة وثقل الحمل وجيشان الدموع ولوعة المحترق وكأن المريد يلعب بالنار بين أصابعه، ولم يهدأ روعه إلا بنفحة حب أتته من والده الجليل، يقول السيد الشريف عن تلك اللحظات: **(بعد الخطبة وقد انتهت بسلام، قال لي: اسمع الخطيب الناجح هو الذي يعد خطبته جيداً، ولا يستهوينك أن تكون خطيباً مرتجلاً؛ فإن الذي يحترم جمهوره يُعد خطبته جيداً، أكتب ما ستقول ومحّصهُ جيداً، وأوجز ولا تخرج عن وحدة الموضوع، واعتن باللغة جيداً، ومن يومها حتى يومي هذا وخلال ثلاثين عاماً وأنا أسير على وصيته من دون تغيير ولا تبديل).** هذه الكلمات الموجزة من والد خبير بين الأولياء والخطباء، كانت كافية لتمهد السبيل أمام ولده الشريف، لينطلق بعدها كأحسن خطيب، في إيجازه وبلاغته، وحسن أدائه، واحترامه لمستمعيه، فكان خير خلف لخير سلف...

ومعلوم عن السيد الشريف رصانته وعدم تحمسه الفارغ من المحتوى، بل تكون خطبه عادة متوازنة محسوبة الكلام والانفعالات حتى في أصعب الأوقات... لكنه في عهد الشباب كان الحماس يأخذه في كثير من الأحيان في خطب الجمعة عن الخط المعتدل، وكان يتفاعل كثيراً مع الأحداث، ومع ما يحصل للمسلمين في أقطار المحن، وكان

يطرق جميع الأحداث التي تمس المسلمين وقضاياهم، يقول عن تلك الفترة المبكرة من حياته وعن الخطب التي كان يلقيها أمام الناس: **(وإنني لليوم لأتساءل كيف كانت الناس تحتمل انفلاتاتي العاطفية التي كانت تخرج أحيانا عن المعقول، أذكر مرة أني سمعت من أحد الناس كلاماً يقول فيه: إن كنيسة في عمان تستقطب عدداً من الفتيات الفقيرات، فتقوم بإلباسهن أزياءً مثيرة وتنزلهن إلى الأسواق لإغواء الشباب، فلامس الحديث جرحاً عندي، ومن دون تحقيق ولا تدقيق وقفت في الجمعة التالية على المنبر أهاجم الكنيسة بحماسٍ، وأتهمها بترويج الرذيلة وأطالب المسؤولين بعمل ما يلزم، وصادف أن كان حاضراً في المسجد الفريق سالم باشا الترك، وكان حينها مساعداً لرئيس هيئة الأركان في الجيش الأردني، فجاءني بعد الصلاة فوراً وقال لي: (يا شيخ أنا أستمع إلى خطبتك منذ سنوات ومعجب بك كثيراً، وأحضر أولادي لسماع خطبتك، وإني لفي شك مما قلت اليوم عن الكنيسة، وأعدك إن تأكدت مما قلت أن أغلق الكنيسة)، وعلى الفور هرعت إلى الرجل الذي أخبرني الخبر وأخبرته بما كان، ولكن فوجئت بتردده وتهتهته، واكتشفت أنه كان يكذب، مما أوقعني في حرج مع الباشا، ومن يومها جعلت التحقق في أداء ما أقول من أولى أولوياتي).**

ويتابع السيد الشريف مادحاً الباشا ومثنياً عليه دينه وخلقه وهو في موقع المسؤولية: **(وقامت بيني وبين الباشا صلة قوية ما زالت حتى اليوم، فقد رأيت فيه مثالاً للمسؤول المثالي في مسؤوليته وأمانته وصدقه وحبه لدينه، وازداد تعلقه بي وبرصانة ما أقول، وصار يذهب ورائي في المساجد أينما ذهبت أخطب، يصلي الجمعة، حيث أخطب منذ ستة وعشرين عاما حتى يومنا هذا، وقد كان نعم العون لي في جميع محطات دعوتي، وقد أبلغني مراراً أنه في خدمة الدعوة ولم**

أقصده في خدمة عامّةٍ إلا ولباني ـ أطال الله في عمره ـ حتى إنه مرة تحدث في أمري مع ولي عهد البلاد حينها الأمير الحسن بن طلال قائلاً له ـ كما أخبرني ـ (خطب هذا الشيخ يجب أن يسمعها كل الناس) وطلب منه أن يكون لي دور في خطبة الجمعة في مسجد الشهيد المؤسس (العبدلي) حيث تبث الخطبة على التلفزيون، وجاء مسرعاً ليبشرني أن سمو الأمير وافق على طلبه، لكنه فوجئ برد فعلي الرافض للفكرة من أساسها).

البَابُ السَّابِعُ

الوصل والوصال: الجدّ والحفيد والسند الشريف

رأيت عاشق النور منتشياً بخمرة العشق بعد أن شرب من لحظ السيد الشريف... وأراه شرب حتى الثمالة، قال لي مبتهجاً: كان السيد الشريف شاباً ليس ككل الشباب، كان عصفوراً حراً بين الحقول، يتنقل من غصن إلى غصن، يبحث عن ألق لروحه، يحط على غصن القرآن فيرتل حتى يرتوي، ثم يرحل إلى غصن الأوراد والذكر فينهل منه حتى تنهمر الدموع من مآقيه، ثم يجيل النظر إلى شيخه ووالده فينهل من معينه الذي لا ينضب، فلا يزيده الشراب إلا ضراماً، وهو كذلك من غصن إلى غصن، ومن جدول إلى فضاء، يرفل في ثياب الطهارة والصفاء، وإذا به يرى رؤيا غريبة، فيها بعض من سرّ خفي، موصول بطيبة وساكنها، فيقول لوالده: يا أبت إني رأيت رؤيا... فيقصها على

شيخه ووالده المبجل، فيقول له: يا بني لا تقصص رؤياك على أحدٍ... فيحملها في صدره ولا يبديها لأحد، يقول عاشق النور: سمعته يحكي ويقول: **(رأيت مرة رؤيا غريبة عجيبة فهرعت إلى والدي رحمه الله أحدثه إياها، فما كان منه إلا أن قال لي: لا تحدث أحداً برؤياك، فكتمتها حتى يومي هذا، وصادف حينها أن أعلنت المدرسة عن تسيير رحلة لطلاب المدرسة نحو الديار المقدسة لأداء العمرة، فما إن سمعني أتحدث عنها حتى سارع بالقول: سجل فوراً، اذهب وزر جدك المصطفى ﷺ)**، فكان لا بدّ له من الذهاب إلى طيبة، ولا بدّ له بعد الرؤيا تلك من زيارة جده في بيته وحجرته، وتحركت القافلة به إلى الحجاز، وبدأ القلب يخفق بالحنين، وطار منه الشوق يسبقه لتلك الديار، ما أطول الطريق إلى طيبة، وما أبعد ديار الجدود عن الأحفاد، لو كان باليد حيلة لأرسل قلبه ووصل هناك، وبقي طوال الطريق تغسل دموعه حرّ اشتياقه، وطال الطريق، ثم طال الطريق، حتى لم يعد لصبر العاشق احتمال، ما أطول الساعات حين نرحل للحبيب... هاهي! قد لاحت أنوار الجدّ المصطفى عند الأفق البعيد، هناك بين قمم التلال، يبرق نوره بين الغيوم، وعلى تخوم طيبة الحبيبة، وعلى الطريق المؤدية لحجرة الجدّ الحبيب، فاحت عطوره، لكنها ليست ككل العطور، يعرفها جيداً حفيده، كم كانت تداعب خمائل روحه في عمان... ودنت غيوم السماء لتشهد اللقاء، وتنادت الملائكة فهي على موعد تتلهف إليه منذ ولد الحفيد، وأرخى الهواء سكونه وهدأت رياح القفار، وسكت الحمام عن الهديل، فقد دخل المدينة المنورة للمرة الأولى، نعم دخل الحفيد الشريف بيت جده المصطفى ﷺ، بل دخل الحجرة حيث لا مكان هناك لسواه، اسمع إليه معي إلى تنهيد قلبه الرقيق، وآهات شوقه ونحيب فواده بين يدي جده، بل مرتمياً هناك في حضنه، يبثه الشوق والحنين، وآهات الوله القديم، وهو يقول: **(ويممّت نحو الروضة**

الشريفة، لأشهد جزءاً من تأويل رؤياي، وأشدو بغناء الروح وأشواق الوصل وأرى من عظيم فضل الله علي، وأتحقق من صلة النسب والسبب)، هل سمعت معي غناء روحه وروحه هناك، هل رأيت كيف تعانقا، وكيف ارتمى الحفيد في أحضان جده يبثه الشوق والغرام، ثم هل رأيت كيف تشفع الحفيد الشريف عند جده لكل الحاضرين، أن يستغفر لهم الله، وأن يكرمهم لأنهم زواره ومحبوه، هل رأيت كيف تودد الجدّ للحفيد، وكيف حضنه ومسح وجنتيه، هل سمعت معي هناك غناء الطيور فرحاً لهذا اللقاء؟ منذ ذلك اللقاء وطيور الحرم تتابع التحليق فرحاً وطرباً حول القبة الخضراء... واستأذن جده لأداء العمرة، على وعد بلقاء متجدد، وصار الوصل الدائم بينهما عنواناً للعمل والعطاء... وعندما غادر الحفيد الشريف حجرة جده المصطفى، خرج يمشي على ألم قلبه للوراء، ويسبح في بحار دموع عينيه لهذا الفراق... ومضى لمكة مترنماً بأغنية الوصال على أنغام نبضات قلبه الحرّى... وعاش في طيبة أحلى لحظات الأنس والجمال...

يقول عاشق النور: في الطريق إلى مكة المكرمة، كان السيد الشريف جالساً متفكراً، ومسغرقاً بمكنون فؤاده ومشاعره، لم أتبين مشاعره لكنني كنت أرقب الفرح في عينيه بعد لقاء الطيبين في طيبة، فأراه يتلفت وراءه بين الفينة والفينة، كأنه كان يرسل نبضة حبّ من قلبه لجده، فما زال شهد اللقاء يحلي أنفاس الحفيد، ومرة أخرى أراه متلهفاً وجلاً يحث قلبه على الركون قليلاً، لأن شوقه للكعبة أشعل أشواقاً أخرى بين جوانحه، وأمضى الطريق يعزف لحنين أحدهما التفاتة حنين لجده المصطفى، والآخر نبض شوقه لبيت ربه، فكان اللحن رائعاً حامت حوله لسماعه كل القلوب الناعمة...

وكان شوقه للكعبة جارفاً، أوصل الركب سريعاً إلى مشارف مكة المكرمة، وتسارع نبض قلبه الشريف، وسمع الجميع معزوفة ذلك اللحن الجميل لقلبٍ مشتاق واله، يقول السيد الشريف عن اللحظات التي رأى فيها البيت العتيق: **(وعند الكعبة المشرفة ما إن وقعت عيناي على جلال البيت حتى ارتعد جسدي، ووالله لقد أحسست بشعر رأسي يقف وجلاً وخوفاً وجلالاً وهيبة، حتى أن قدميّ قد تسمرتا في الأرض حتى حين، ثم تسللت نحو البيت لواذاً، وما إن بدأت بالطواف حتى سرت في كياني أحوال الأنس بالله والشوق له، وإذا بالعاشق الولهان يسترد أنفاسه ويحلق بالبيت كالطائر حول عشه، وتتفجر في أعماقي كل معاني الحب والامتثال والرضا والقرب والفناء والتضحية، ومن يومها أدركت صلة الإسلام بجد الأنبياء إبراهيم عليه السلام ورأيت بعينيّ صلة الأنبياء جميعاً بإسلامنا العظيم)**. وقد أسر لي عاشق النور أن السيد الشريف، شعر أنه في مرتعه وموطنه، وشعر بنسبه لتلك البقعة المباركة، وانتابته مشاعر الفخر بهذا الانتماء، ورأى عند الصفا أنفاس جده عند بيته، فانتشى وتحول إلى الحجون، حيث مقام السيدة الجدة أم فاطمة والأولاد والبنات، فاتكأت روحه في أحضانها، وشعر بدفء حنانها وقربها من أحفادها، فغفا في حضنها إغفاءة الحفيد المدلل، حتى طال الهيام ثم تحادثا وكثر بينهما الكلام، وتعطرت منها الأنفاس، وودعها على وعد باللقاء القريب...

ولم يطل الغياب عن تلك الديار، فقبل إنهائه مرحلة الدراسة الثانوية، سافر مع والده الجليل؛ لأداء العمرة مرتين، وكان فترتها قد تعلم قيادة السيارات، فكان يقود به السيارة في أسفاره. وكانت هاتان الرحلتان بمثابة توطئة للرحلة الكبرى، وتجهيز للسيد الشريف لما سيلقى عليه في قابل الأيام، من مهام وأسرار، فكأنها كانت زيارات للتعرف والتعريف، وشحن للهمم وتجهيز روحه للتلقي والشراب...

كانت رحلة شيخ مرشد مع نجيب من النجباء سيحمل الإرث والسرّ والمهمات... فأتقن الوالد المنح والهبات، وأجاد ولده تلقي العطايا واستلهام القلب والأرواح...

يقول لي عاشق النور: في صناعة الأولياء هناك شأن خفي، يبادر له رب العالمين فيمتحن عباده المقبلين المخلصين، وهو يعلم نجاحهم به سلفاً، حتى يظهر ألقهم ولمعانهم، ويكون الامتحان بالفقر أو الغنى أو الرئاسة أو الملك أو النساء أو الهجران أو أذى الناس أو أذى الأهل والأقرباء أو الفرح بسعة العلم وكثرة المديح... فإذا ثبت المؤمن في هذه الامتحانات واجتازها بعزم من دون تخاذل، قربه تعالى منه واجتباه، وأحبه وأدناه وجعل له القبول في الأرض... ولا يخلو نبي مرسل أو ولي مقرب، أو صدّيق أو حامل رسالة من بعض هذه الابتلاءات، وهذه تقع ضمن منهج الله تعالى وسننه في صنع أحبائه وخلصائه قبل اجتبائهم... وقد تعرض السيد الشريف لكثير من هذه الابتلاءات، فصبر عليها حتى كشفها تعالى عنه، وكان مثالاً لأتباعه ومريديه يحتذى، والذهب الصافي لا يلمع إلا بعد تعرضه للنار، وكذلك المؤمن لا يتألق إلا بعد أن يجتاز هذه المطبات على الطرق بأمان وثبات ولا ينزلق فيها، وقد مرّ السيد الشريف ببعض هذه الفتن والمحطات واجتازها بأمان وسلام، وبقي قلبه متعلقاً بالخالق جلّ وعلا حتى أنقذه الله منها من دون أن يحمل حقداً او ضغينة على أحد، بل بقي سليم الصدر صافي الباطن رقيق الإحساس بخالقه، متوداً للجميع حتى مع من آذاه وأضمر الشرّ له... يقول السيد متذكراً بعضاً من هذه القصص: **(أنّى لفتى مثلي أن يصفو قلبه وسط بحر متلاطم من الفتن وما يتحدث به الأقران من مغامرات الانفلات واللهو والانحلال، لكنه الاختبار الذي يميط اللثام عن مكنون القلب، وما به من ثبات أو انفلات، عشت في هذا البحر الهائج وكنت على الدوام أشعر بالرعاية والعناية الإلهية تحفظني حتى**

لا تزل بي القدم وأكن من الهالكين، كان الشيطان يلاحقني وهو يعلم بالتزامي حتى في مسجد وادي السير، حيث تربيت وترعرعت وتشربت كل معاني الإيمان والصلة بالله على يدي والدي رحمه الله حتى في المسجد...كانت فتيات الحي يأتين إلى المسجد في رمضان وفي صلاة التراويح، وكان باب غرفة الأذان يفتح على مصلى النساء، وكلما كنت أدخل للأذان أو أخرج من غرفته أرى الشيطنة تتمثل لي وأستعيذ بالله من همزاته وغمزاته ولمزاته، حتى إني أذكر أني قلت لوالدي أن يغير مكان مصلى النساء، حيث كانت تنصب ستارة بيضاء داخل المسجد، وفعلاً قام بإخراج مصلى النساء إلى رواق المسجد بعيداً عن غرفة الأذان، ولم يكن يمضي شهر حتى يلاحقني الشيطان بجنوده والله عاصمني، ومغامرات الشباب تلاحقني من أقراني يتحدث أحدهم (وكأنه قطع السمكة وذيلها) وكأنه لا يكفيني ما أعانيه من الشيطان في حارة السكن، وأذكر أشد الفتن حيث كنت أجلس في دكان العائلة بجوار البيت وما تعرضت فيه من بلايا لولا لطف الله لأدركتني الهلكة وأهلي لا يعلمون، ثم ما عانيته بالجيش وحكايا المجندين وعروضهم ولكني أحمد الله أن نجاني من كل ما حاق بي وأبقاني طاهر الجسد مبرءاً من إثم الزنا وكل مقدماته وتبعاته).

يقول عاشق النور وقد هزه شأن السيد الشريف: كان ولا يزال هذا السيد مسدّد الخطا في اتخاذ القرارات المهمة والمصيرية، وكان منذ صغره يعرف دوره القادم وما هو المطلوب منه تجاه دينه وأمته، وكان يشعر أنه معنيٌّ بنهضتها وقد هيأ نفسه لهذا الدور الهام، وبذل في سبيله كل استطاعته، كما أنه استغنى عن راحته وميوله ورغباته الخاصة في سبيل تجهيز نفسه لهذا الدور، من ذلك أنه بعد أن أنهى الدراسة الثانوية، حصل على منحة دراسية من مدرسة فلسطين الثانوية إلى جامعة الجزائر للدراسة فيها، لكنه يمم بهذا القبول شطر التنور فأسرجه فيه،

لأنه خاف الفتنة في الجامعة وخاف على دينه وخلقه أن يمسهما سوء، فإنه شريف النسب، طاهر الأرومة، سليل العلماء والأولياء، ويرى أنه لا يليق بمثله أن يرمي نفسه في حقول الشبهات، خوفاً أن ينفجر في وجهه لغم من ألغام الفتن والابتلاءات، مع اليقين أنه لو ذهب لصان نفسه وعصمها وحفظه الله مما يخاف ويحذر، لكنه صاحب مروءة، وصاحب المروءة عزيز النفس مشرأب الروح للمعالي، لا يلقي بنفسه إلى التهلكة... كما رفض الدراسة الجامعية في الجزائر لأنها بلاد بعيدة جداً ومعاني الغربة عن بلده ووطنه وصحبة أبيه قاتلة لرجل حساس مثله، كما رفض الدراسة لسبب آخر وهو اشتداد المرض بوالده وشيخه ومعلمه ومؤدبه، وشعوره بل إحساسه القوي بدنو أجل والده الغالي، والسبب الأخير والأهم فهو توطين النفس والاستعداد العلمي والوجداني لما هو قادم.

يقول عاشق النور: أرأيت يا أخي كيف هي همم الرجال العظماء، يصغّر شأنه أمام الشأن العام، ويضحي براحته في سبيل الآخرين، ويرغب بنفسه لما يطالبه به دينه ومولاه، يا أخي إنه سيد شريف من صنف الرجال الذين يحبون أن يتطهروا ويطهروا، طوبى لهم وحسن مآب...

يقول عاشق النور... وهكذا تمت صناعة وليّ من آل البيت بالعلم الشرعي، وبالتربية الخلقية العالية، وبالمنح الربانية والوجدانية، وبالاتصال الروحي وبالسند الصلبي مع الرسول ﷺ، وتهيئته لحمل الأمانة والسرّ والمهمة الموكولة إليه، ومضى إلى حيث شاء الله له على هدى ورشاد.

الباب الثامن

وآتيناه الحكم صبياً

جلست وعاشق النور في صحن مسجد دار الإيمان بعد خروج المصلين من صلاة العشاء، وقد خفتت أضواء (النيونات) في المصلّى، وهدأت الحركة داخل المسجد أو كادت، وسكنت أنفاسنا قليلاً ونحن نشرب كاساً من الشاي المعتق، وطال بيننا الحديث، وزادت شجونه وتشعبت خيوطه حتى حاكت لنا أجمل عباءة من الحب والهيام بالسيد الشريف صاحب الزمان والمكان، ظللتنا هذه العباءة وأرخت علينا سدولها وجمالها، ثمّ هاجت بنا الأشواق إلى مكة المكرمة، إلى بداية القصة والرواية، إلى ذلك المكنون السماوي من عالم الضياء والنور والحكمة الربانية، جاءنا فيضها فأضاء لنا الفضاء بين عمان وذلك الزمان حتى صار عياناً نشهده ونسمع حسّه، فها هو السيد الشريف على مشارف العشرين، هناك على أرض الحرم بمكة المكرمة عام ١٩٨٣م، حول الكعبة برفقة والده الجليل المنهك من ثقل السنين وأحمالها، فقد أعياه ما بذل من جهد كي يتم ما بدأه مع ولده حتى وصل به إلى هذه اللحظات التاريخية، كما لم يعد في القلب قدرة على النبض بمكنون سرّه القديم، وها هو السيد الشريف، بهاءُ النسب يُزينه ونور النور يُكلله وبشر الوجه يُجمّله، وهو في هذه السنّ المبكرة قد أتت جهود والده فيه أكلها، ودنا قطافها، وآن أوانها، وتتويجاً لما سبقه من

جهود شيخ بذلها أعواماً وأعواماً، إذ لاح نورُ النور من خلفِ الحجاب، وعرف الشابّ سرّ أبيهِ وشيخهِ ووليهِ ومربيهِ، بل ظهرَ له مقامُه وعُلوُ شأنهِ ورفيع منزلته بين آل البيتِ الأولياء، وهكذا ارتقى السيد الشريف في لحظة تاريخية من عمر الزمان، إلى مقام والدِهِ في الولاية بعد هذا الكشف والظهور... كما كشف له فيها الحجاب عن بعضٍ من عالم الملكوتِ، بل هتك فيه الحجاب وهو على الأعتاب، وغشيه من يمّ المعرفة ما غشيه، وسبح في أنوار عالم القدس والملكوت، بعد أن خرج من عالم الملك، وجاءه التكليف بحمل مقام والده، بعد أن تعب في حملها والده الجليل، بل أفنى العمر في سبيلها.

وهكذا حمل الحكم صبياً، وبدأت من هناك، من مكة عند الملتزم وبين يدي والده وشيخه، عند مصب العبرات وتنزل الرحمات، وعند تزاحم الأقدام، وعند نقطة الأكوان ونقطة الوصل بين أهل الأرض وأهل السماء، جاءه التكليف، نعم من هناك بدأت قصة النور من جديد... وتهلل وجه الزمان، وأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، واستوت على الجودي، وقيل بسم الله مجريها ومرساها... وتصايحت الأطيار وغنت الخمائل وتنادت الملائكة أن طوبى لكم وحسن مآب، واستقرت الأنوار على الجودي، فهذا أوان الخلاص... ولأنه موضع ضيافة الله في الأرض، كان لا بدّ له من الاندفاع نحو مهمته بعزم ومضاء، يقول السيد الشريف: **(بعد نجاحي في التوجيهي، عزم والدي على أداء فريضة الحج من جديد، وأمرني بالاستعداد للسفر، وكان أن حجز لي وله بالطائرة، وحين وصلنا الديار المقدسة أدركت أنها رحلة الوداع أو لأقل حجة وداع، راعني ما رأيت من أحواله وأذهلني ما عرفت من مقامه، والذي أثار استغرابي انكشافه لي من دون مواربه، ففي العمرتين معه قبلها لم أكتشف شيئاً لتستره وإخفائه، فقد عاش عمره رحمه الله بالطمس والخفاء، وقليل هم الذين عرفوا قدره**

(مقامه)، أما في هذه الرحلة فقد اضطربت لفرط ما رأيت، ولم أشهد في حياتي أشجاناً وأشواقاً وحنيناً وقرباً وأنساً بين عبد ومولاه كالذي رأيت، حتى كدت أشعر أننا بيوم القيامة ولسنا على الأرض، فقد تهتكت الحجب وتكشفت الأحوال وزالت نقطة الغين عن العين، وأدى رحمه الله المناسك بمشقة شديدة، ورغم أني كنت أخفف عنه في بعض المناسك كالرجم والذبح وغيرهما، إلا أن المرض قد بلغ منه مداه، وهناك حيث اللحظات الحرجة، أمام المقام ما بين الحجر والباب رأيته يتعلق بأستار الكعبة، لائذاً مناجياً مستسلماً، بل ذاهباً مودعاً، وإذا به يمسكني ويلزمني بقوة إلى الملتزم، وإذا بي في عالم آخر غبت فيه عن المحسوس والمدرك، ويومها تعلمت معاني ومفاهيم حضرة القدس، والسكر والغيبة، والستر والانزعاج وعيد أهل الله، والوصل والدرة البيضاء، والجمع ونقطة الأكوان وعوالم الآثار، وإبانة الغطاء والرؤية، والوجد والفناء والصفاء وتوارد الإمداد، وغيرها من المعاني، وعشت للحظات ليس فيها إلا هذه، وقال لي رحمه الله: هذا تأويل رؤياك من قبل قد جعلها ربي حقاً، ثم بالصحو رجعنا إلى الإحساس من بعد الهباء وغيبة النزلاء). أحس السيد الشريف في تلك اللحظات أن والده المبجل قد منحه كل ما لديه، وكانت تلك اللحظات عند الملتزم بمثابة التسليم له بكل المكنون من الدرر والجواهر والأسرار، وأن السيد الوالد قد تنحى عن سرّه وأسلمه ولده الشريف، لينطلق به بعزم وثبات، وقد اطمأن إلى أن ثمار غرسه فيه قد أينعت وحان قطافها، ثم تحول إلى ركن قصي كي يستريح من وعثاء السفر الطويل استعداداً لرحيل قادم قريبٍ وأبدي عن هذه الدنيا...

وكانت رحلة الحج هذه مع ما فيها من فرح للشابّ الشريف، بعد معاينته حال والده المبجل ومقامه، وبعد تلك الفيوضات التي أفاضها الله عليه من عالم الملكوت، كان فيها غصة لم تبرح قلبه ولبّه، ذلك أنه

أدرك أن ساعة الفراق لوالده قد دنت، وبقي يكابد ألم غصته هذه ولم يحدث بها أو يبدها لهم، فحمل الهمّ وحده وتعود على ذلك بقية عمره، فمن جالسه عرف أنه نور يحمل هماً، وإن تبسم وأظهر الفرح، لكن غصة الهمّ بادية على محياه أبداً... لهفي عليه مما يجد ويحمل، وما أكثر ما حمل هذا القلب المضيء والوجه الوضيء، وكذلك هم النخبة من أمة الحبيب، وهذا شأنهم.

البَابُ التَّاسِعُ

الخدمة العسكرية: دعوة ومعاناة

خرجت وعاشق النور على طريق المطار، وكان الجو ربيعياً، وبدأت الحياة تتبرعم عل جذوع الأشجار، وازدادت أوراق النباتات خضرة ايذاناً ببدء موسم الحياة، جلسنا تحت شجرة، فأخذ يحدثني عن فترة خدمة العلَم التي التحق بها السيد الشريف في الشهر العاشر من سنة ١٩٨٣م، بعد عودتهما من رحلة الحج الشهيرة، ومما لاحظه عاشق النور أن السيد الشريف كان مدركاً لدورة تماماً، وجعل فترة الخدمة تلك كلها للدعوة إلى الله على بصيرة، وبأسلوب جذاب، وهكذا هو شأنه تماماً أينما حل ومع من جلس، لكن الملاحظ أن عمل الداعي إلى الله يصاحبه عادة بعض المعاناة والمنغصات التي لابد منها في محطات دعوته، وكأن هذه المنغصات هي من سنن الله تعالى مع أنبيائه وأوليائه وكل من تابع مهمة الأنبياء من الصالحين أو المصلحين، فبقدر معاناة السيد الشريف سابقاً أثناء الإعداد والتعليم والتربية على يدي والده، بدأت الآن معاناة أخرى مع شخوص أخر وكأنهم السامريّ، أثناء

انطلاقه في رسالته ودوره ودعوته لمنهج القرآن، ومما كان يزيد من ألمه، أنه ترك والده وراءه في البيت يصارع المرض... تبدأ الخدمة العسكرية عادة في معسكر التدريب، فكانت حياة جديدة وقاسية على السيد الشريف، وهذه كانت المرة الأولى التي يترك فيها والده ووالدته وإخوانه وأخواته، ويخرج إلى بيئة جديدة غريبة عما ألفه من الحب والموادعة والمساندة، لكن يبدو أن السيد صمّم منذ البداية أن يستفيد من هذه التجربة، في الدعوة والإصلاح ونقل ما علمه وعمل به إلى الناس من حوله، خصوصاً أن هذه التجربة جاءت مباشرة بعد تحمله المسؤولية بعد رحلة الحج، وهكذا هم أصحاب الهمم من الرجال، يستفيدون من كل حدث أو جديد في سبيل همهم ومشروعهم وضمن المتاح...

كانت مشاعر الغربة عن البيئة المعتادة والصالحة التي تربى فيها في وادي السير، تزيد عن حد التحمل في بعض الأحيان، فكان يهرع كلما أتيحت له فرصة (وكانت تلك الفرص قليلة) إلى مسجد المعسكر، يقول السيد الشريف: **(وهذه من المآثر التي تحسب للجيش إذ أنه لا يخلو معسكر أو كتيبة أو وحدة إلا وفيها مسجد، ولكل مسجد إمام على درجة من العلم والتأهيل، وهذا إن شاء الله يكتب في ميزان الشيخ نوح القضاه رحمه الله الذي كان حينها مفتياً للجيش)**. كان يهرب إلى المسجد لائذاً منه إليه تعالى، متبتلاً وداعياً لله عز وجلّ وطالباً منه العون والمدد والرشاد، ساجداً راكعاً بين يديه حيث السكينة بين يديه تعالى؛ وحتى لا يخبو في وجدانه صوت الشوق والحنين إليه تعالى، يقول السيد الشريف: **(وفي إجازاتي القليلة كنت أعود إلى وادي السير وأقوم بأداء خطبة الجمعة نيابة عن والدي المريض، لكن إمكانية الدعوة في معسكر التدريب كانت شبه مستحيلة، بسبب كثرة ساعات التدريب التي كانت تستمر إلى الليل، وكثيرا ما كانوا يدعوننا إلى**

الطابور في منتصف الليل ونبقى فيه إلى الفجر أحياناً)، وهكذا أمضى السيد الشريف مدة معسكر التدريب في مناجاة وتبتل بين يديه تعالى، وكأنها كانت فترة خلوة روحانية ضمن معسكر للجيش، فكانت تلك الفترة مرهقة جسدياً، لكنها عظيمة في مكتسباتها الوجدانية والنورانية، استفاد منها السيد الشريف كثيراً فيما بعد خلال فترة الخدمة العسكرية.

قال لي صاحبي ونحن نشم عبير براعم الربيع ونسائمه العليلة: بعدما انتهت فترة التدريب، قاموا كالعادة بتوزيع جميع المتدربين إلى الوحدات أو القطعات العسكرية، وكان نصيب السيد الشريف في محافظة المفرق الصحراوية حيث الخدمة العسكرية الأصعب، وقد عايش فيها مختلف صنوف المعاناة، وكان ما زال على إصراره السابق للاستفادة من عاميّ الخدمة، وأن لا تمر من دون ثمرة لدينه ودعوته ورسالته، وهذا منهج يحتذى لمريديه ومحبيه، في كل مكان حل فيه كان يتابع دعوته على رشادٍ وهدى، وقد دخل في معسكر المفرق إلى فترةٍ تدريبيةٍ أخرى مدتها شهران ونصف الشهر، وكانت الظروف هنا أقل وطأة من سابقتها، إذ كانت منح الفراغ اليومي كبيرة، وهذا منحه فرصة أكبر للدعوة وصلات التعارف، فتعرف على إمام المسجد في الوحدة، وقد وصفه مادحاً بأنه كان **(عالماً متحدثاً)**، وتوطدت العلاقة بينهما، وكان ينوب عنه في إمامة المصلين من الضباط وضباط صف وأفراد الكتيبة (كتيبة لاسلكي / الفرقة الخامسة)، وهذا جعله مع الأيام محل ثقة وقبول واحترام عند الجميع، وبما أنه لم يكن يسمح في الكتيبة عادة لمثله بالوعظ بالمسجد، فكان أن توجه للشباب في ثكنته التي دخل إليها، وفيها غيره ثمانية وعشرون شاباً مسلماً ونصراني واحد، يقول السيد الشريف عن مكونات تلك الثكنة: **(وأذكر أنني فوجئت بالتركيبة الاجتماعية المتنوعة، لكون هؤلاء الجنود آتين من كل أنحاء البلاد فيهم الطيب وفيهم اللئيم، فيهم الخام المحافظ وفيهم المنحل الذي**

أطلق العنان لشهواته من زناً، وشرب خمر وغيره، لكن الغريب أني لم أجد فيهم مصلياً واحداً، استعنت بالله واستجمعت أفكاري وآلية الدخول لكل واحد منهم، كل حسب حاله، وكان القاسم المشترك بينهم جميعاً المعاناة المشتركة، إذ كانت المدخل الأهم؛ حيث لا شيء يعين على مصائب الدهر كالذكر والصلاة والرضا والصبر والتحمل وغيرها من المقامات التي كانت تحدث الأثر الأكبر، كان بيننا شخص اسمه جمال، في كل إجازة يعود منها يجمع الشبان من حوله ويحدثهم كم من بنات الهوى سقطت في براثنه في إجازته، وكنت أشعر أنه بنصف ساعة في الأسبوع يهدم ما بنيته في ذاك الأسبوع، وكان يستمتع بهذا بل ويمازحني بخفة ظل ومودة، تغطي على شخصية مستهترة لكنها ليست بذاك السوء، كان يقول لي بعد عملية الهدم (مين أسرع أنا أم أنت؟) فأقول له ألف بانٍ يعجزهم الهادم الواحد فكيف بألف هادم مع بان واحد، وباغته يوماً في نهاية الأسبوع وقبل ذهابه للإجازة وأمام الزملاء قلت له: (بالله عليك يا جمال ما هو شعورك بعد أن تنتهي من رذيلتك؟ حدثني عن شعورك الأول) فبهت الرجل، وصمت طويلاً والكل ينتظر الجواب كأن على رؤسهم الطير، ثم قال بعد طول صمت: (دعكم من المزاح، والله إني في كل مرة وبعد ان أنتهي من رذيلتي أفكر في أن أتفل للأعلى ثم أعرّض وجهي لأكون كمن يتفل في وجه نفسه) ومن يومها أعلن استسلامه لله، مما سهل عليّ المهمة مع الباقين، وبدأت الدائرة تتسع في مسجد الكتيبة، إذ صرت أسحب معي أعداداً جديدة كل يوم، والحقيقة أن المصلين في الجيش هم محل اهتمام وتقدير من مرؤوسيهم، وذلك بعكس كثير من الجيوش العربية).

يقول عاشق النور: إلا أن للباطل أعواناً في كل مكان، وعلى الداعية ان يكون فطناً وحذراً من أهل الباطل أو السامريّ، ولا يترك لهم ثغرة ينفذون منها إليه، وإلا باءت دعوته بانتكاسة وضعف، وقد

كان السيد الشريف مدركاً لأفعال ومحاولات أهل الباطل، كما أن الله تعالى أعانه عليهم وباؤوا بالخيبة والصغار، والحقيقة أن مشهد تزايد المصلين اليومي، وتحول أكثر الموجودين إلى مصلين ملتزمين استفز أحد المسؤولين الصغار عن ثكنتهم، فراح ينفث سمومه بالسيد الشريف، ويختلق المشاكل بدوافع شيطانية محضة وواضحة ومكشوفة للسيد الشريف، فصار يترقب الزلات حتى يوقع به، لكن ولفرط حرص السيد الشريف ووعيه وإدراكه لمرامي هذا المسؤول؛ طلب من الجنود اللذين يذهبون معه إلى الصلاة أن يصلوا في المسجد: الفرض فقط ويصلوا السنة في مكان العمل، حتى لا يتهمهم بأنهم يذهبون للصلاة هروباً من العمل فازداد حنقه وأسقط في يده، وصار يضغط عليهم أكثر من ذي قبل، والغريب أنه كان يبوح للنصراني بخلجات نفسه وغيظه من السيد الشريف وسوء طويته ورغبته في أذيته، وحرض شخصاً آخر من رتبته فصارا يصلان الليل بالنهار في عدائهما له، والأغرب أن الأول كان اسمه عمر والثاني كان اسمه صالح، يقول السيد الشريف عن إحدى محاولات عمر وصالح للإيقاع به: **(أذكر ليلة أن الحراسة كانت عليّ في موضع اسمه (العهدة)، وكنت حريصاً على أن أكون يقظاً لأني أعلم أنهما يكيدان لي، وشاءت الأقدار أن يكون رقيب الغفر هو الرقيب صالح، فجاءني كالمنتصر فكان الواجب عليّ قبل وصوله أن أصيح بأعلى صوتي (مَن هناك؟) وهو ما كان فعلاً، فصحت بأعلى صوتي مجلجلاً أكثر من العادة، فلما وصلني قال لي مبتسماً: (نايم يا شيخ!) فقلت كما ترى، فأخذ ورقة الغفارة مني وكتب عليها (مهمل)، وفي الصباح قدمت للمحاكمة، ولما دخلت على القائد وبمجرد أن رآني، وقد كان يصلي خلفي عند غياب الإمام، قال لي بالحرف مبتسماً: (صادوك يا شيخ؟) وهو يعلم يقيناً أني مظلوم، قلت له (هذا ما جاءك)، فقال لي اسمع، المهمل أمام ثلاثة أحكام إما حسم أسبوع**

راتب، أو حجز أسبوع، أو حلاقة على الصفر، فاختر واحدة، قلت له فوراً حلاقة على الصفر؛ لأني أحب ذلك حتى يومي هذا، وهو ما كان).

قلت لصاحبي: هل لاحظت معي أنهم كانوا ينادونه **شيخ** وهو في المعسكر، هل هذا النداء له كان بسبب الصلاح الواضح عليه، أم رأوا كما نرى نور الوراثة فيه، أم لشدة تواضعه وحسن خلقه وأنسه الشديد؟ قال لي: لا أعلم قد يكون بسبب بعض هذه الأسباب أو جميعها... المهم أنه واصل دعوته في الثكنة ولم تهدأ نفسه أبداً مع كل الضغوط التي كانت تمارس عليه من ضعاف الإيمان كي يستكين، وما زال هذا شأنه فهو لا يهدأ ولا يغير مسار دعوته، ولا يحبطه التكاسل حوله أبداً، وقد سانده في دعوته خلال تلك الفترة ضباط صف آخرون يسّرهم الله له، حملوا معه أمانة الدعوة والإصلاح، أذكر واحداً منهم كان يذكره كثيراً ويثني عليه، وكان نِعمَ النصير له كان اسمه: (خلوي).

وقد حصل أمر جلل قبل انتهاء دورة التدريب هذه بثلاثة أيام في القطعة العسكرية في المفرق، وكانت الكتيبة مقبلة على ما يسمى بالتفتيش الإداري، وكان العمل والاستعداد والترتيب يستمر يومياً إلى ما بعد صلاة العشاء، ويومها كان الرقيب عمر هو المراقب عليهم، فأذن المؤذن للمغرب وبعد انتهاء الأذان ترك الجميع العمل وذهبوا االى المسجد (كعادة كل من يصلي بالكتيبة)، وبقي الرقيب عمر عند موقع العمل مع النصراني وشخص آخر، وفعلاً كان السيد الشريف وأفراد ثكنته أول الناس خروجاً من الصلاة، وعاد الجميع لمتابعة العمل والاستعداد للتفتيش، وكانت الكتيبة بكل مرتباتها ومنتسبيها ممنوعة من الإجازات استعداداً للتفتيش الإداري، ولما عادوا جاءه الشخص الوحيد الذي بقي مع الرقيب عمر والنصراني وقال له وهو يبكي بحرقة: لمّا ذهبتم إلى المسجد (سبّ الرقيب عمر دينكم!)، هنا لا أستطيع الكلام

فمن فمه الشريف أكثر سخونة وأصدق إذ يقول: **(شعرت بالدم يتدفق من عروقي وأحسست بأني فقدت صوابي، ونسيت موقعي كمجند لا رتبة له ولا يحق له الكلام أو الاعتراض، فتوجهت بحالة غليان ومن دون وعي باتجاه نزل قائد الكتيبة (والمرتبات خارجة من المسجد) وأنا أصيح بأعلى صوتي وكأني على منبر خطبة الجمعة (أنا أريد أن أعرف هل هذا الجيش جيش مصطفوي كما يقول المفتي (وهو الشيخ نوح آنذاك) أم ماذا؟ والله إن لم ينصف ديني قائد الكتيبة لأذهبن إلى الشيخ نوح (وأين أنا من الشيخ نوح وقتها) وأخبره بأن الجيش المصطفوي الذي يتحدث عنه تسب فيه الذات العلية) هذا ملخص ما كنت أتحدث به ولا أدري ما تكلمت غيره، سبقني بعض الضباط إلى قائد الكتيبة يخبره بما أقول، وأنا كمكلف خدمة لا يحق لي أن أقابل قائد الكتيبة، ولكنه كان يصلي خلفي عند غياب الإمام، حاول بعض ضباط الصف تهدئتي، لكني تجاوزت بحالي كل المسميات والترتيبات، حتى وقفت على باب نزل قائد الكتيبة، فكان أن خرج من الباب وناداني قائلاً: (تعال يا شيخ!) فدخلت وربما أكون المكلف الوحيد الذي يدخل نزل قائده في الجيش كله، قال لي: ماذا بك فأخبرته بكل المضايقات التي كانت طيلة مدة التدريب من الرقيب عمر، وأنني كنت أحتملها وأحتسبها عند الله، واسترسلت بالشرح له لغاية ما حدث اليوم من سب الذات العلية، ثم قال لي ماذا تريد؟ قلت: إما أن تنصفني الآن وإلا سأذهب في إجازتي إلى الشيخ نوح (وأنا لا أعرف الشيخ نوح حينها) لكني أسمع عن غيرته على دينه، طبعاً عرفت فيما بعد من الرقيب (خلوي) أن شكاية من هذا النوع إلى الشيخ نوح تؤثر في نتيجة التفتيش الإداري المنتظر للكتيبة، فقال لي القائد بطريقة لا تجوز عسكرياً ولا تقبل، وماذا يرضيك؟... سبحان الله تكسرت كل الحواجز أمام نصرة الدين، قلت له: أن ينقل الآن الرقيب عمر الى**

فصيل اللاسلكي في كتيبة الأميرة بسمة (وهذه الكتيبة على حدود سوريا)، والخدمة فيها هي الأصعب، وأقسى عقاب يمكن أن يوقع على عسكري في الكتيبة هو أن ينقل إليها، قال القائد: (ماشي) كما تريد، قلت له: الآن (ولا ادري من أين تأتيني الشجاعة)، قال: الآن بالليل؟ قلت له: نعم، قال حسناً يا شيخ.. الآن، ورفع سماعة الهاتف وقال الرقيب عمر (يكفّت يطقه) بالتعبير الدارج يعني يأخذ متاعه وينقل بسيارة البريد الآن إلى كتيبة الأميرة بسمة، راضي يا شيخ؟ قلت له: بارك الله فيك. وارتجّت الكتيبة بالحدث.. مكلف ينقل رقيب!).

يقول عاشق النور متأثراً: يبدو أن أمام كل عمل دعوي يظهر سامريٌ جديد يساند الباطل، ويحاول هدم ما يبذله الداعية، وأحياناً يكون السامريُ قريب النسب، كما حصل مع الرسول ﷺ، إذ كان عمه أبو لهب وزوجته أم جميل مع أبي جهل سامريين، وبذلوا جهدهم لوأد الدعوة الجديدة، لكن الله تعالى فضحهم، وأذهب كيدهم... وهذا ما حصل مع السيد الشريف داخل المعسكر، جمال ثم عمر وصالح... وهذا شأن الداعية أبداً، لكن الله تعالى يعين عليهم ويفضحهم... ويرد كيدهم.

وفي خفارة الليل في نفس الليلة تكرر معه نفس الحدث السابق مع الرقيب صالح، وقال في الصباح عند المراجعة: **(أختار حلاقة على الصفر...)**، لكن الأهم من هذه الأحداث وأشدها فرحاً أن زميلهم النصراني جاء السيد الشريف بعد هذه المضايقات بيوم وقال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأعلن إسلامه لما رآه من سلوك السيد الشريف في الثكنة، وهذا منهج آخر يحث عليه كثيراً في جلساته مع مريديه، وهو أن يكون السالك داعياً إلى الله ومحبباً الخلق إلى الله بسلوكه وأخلاقه قبل منطقه وأقواله وعلومه... يقول السيد الشريف متذكراً تلك الأيام بحلوها ومعاناتها: **(وتخرجنا بعد يومين من هذه**

الأحداث من الدورة، حيث وقف مسؤول الدورة في طابور التخرج يلقي كلمته ويقول: هذه دورة مميزة! لم نُخرج مثلها منذ بدأت الدورات، لقد كان فيها شخصٌ واحدٌ يصلي في بدايتها، واليوم يوم التخرج كل طلاب الدورة يصلون...)، كانت تلك نقطة مضيئة في بداية حياة السيد الشريف الدعوية، وخطوة مسددة حددت كثيراً من معالم المشهد القادم للدعوة والطريق، وكانت معالم واضحة وعملية طبقها السيد الشريف قبل أن يدعو أتباعه إلى نهجها...

ثم تم توزيع العناصر على وحدات اللواء كل في مكانه وتابع السيد الشريف الخدمة العسكرية على نفس المنوال (دعوة ومعاناة).

يقول متذكراً الشيخ نوح رحمه الله: **(وللمفارقة العجيبة تعرفت على الشيخ نوح رحمه الله بعد هذه الحادثة بسبعة عشر عاماً، زارني مرة في زاويتي وأخبرته بالقصة كاملة، فقال لي مبتسماً: يا ليتك جئتني وقتها)**.

البَابُ العَاشِرُ

عام الحزن: فراق الأحبة

تذكر عاشق النور أحداثاً حزينة، فأخذني وصعد إلى أعلى المسجد، وجلسنا هناك على الشرفة أسمع تنهيده وأرى قليلاً من دموعه على وجنتيه... وجلست متلهفاً أنتظر هدوء قلقه وجفاف دمعه واستقرار نفسه لأسمع منه أسباب هذا الحزن، وبعد حين قال: كان عام ١٩٨٤

عاماً غريباً عجيباً، من كانونه الثاني إلى كانونه الأول، وكأن الكانونين أشعلا ما بينهما من ألم وجراح كانت كلها سهاماً موجعة أصابت السيد الشريف، ففي شهر نيسان ذهب السيد الشريف في إجازة من المعسكر إلى البيت في بيادر وادي السير فوجد والده في مستشفى المدينة الطبية، وقد اعتاد على المكث في المستشفيات لفرط مرضه، ذهب لزيارته في المستشفى فتهلل وجهه لما رآى ولده وكأنه كان ينتظر مجيئه، ورحب به بحرارة، ثم أخرج كعادته مبلغا من المال وقال له: خذ هذا المبلغ فأبى كعادته، إذ أنّى له أن يصرف من حبات عرق والده، يقول: **(والله كنت أشعر أنني آكل من لحمه لا من ماله، ولا سيما وأنا أعلم ثقل حمله وكثرة التزاماته وكثرة ديونه التي لازمته ردحا من الزمن قال لي: (يا ولد خذ) فلم آخذ...)**،

كانت تللك اللحظات لحظات وداع جرى فيها كثيرٌ من الكلام والوصايا والإشارات، لكن أحداً لم يسمع ذلك الحديث، وبقي الحديث مفعماً بينهما وصامتاً، وأفرغ الأب الرحيم في جعبة ولده الشريف كل ما بقي معه من الإرث والحكمة والمعرفة... هل رأيت كيف هي جلسات الأولياء؟... كيف لنا معشر البشر أن ندرك ما يحصل بينهم؟ أو أن ندرك المكنون النوراني الساري بينهم؟ يكفينا العيش في أكنافهم وتحت نظرهم، وننهل من عبق أنوارهم وفيوضاتهم ونظراتهم... هل راقبت قلبك وأنت تجالسهم أو تجالس أحدهم؟ حاول وجرب وستلحظ العجب! وستذهب روحك إلى مشارف علوية قدسية، وسيمتلئ قلبك بفيوضات سماوية، وستشرق روحك بإشراقات ربانية... وحين انتهى موعد الزيارة قام فقبل يد والده بل صار يشمها ويلثمها ثم يشمها ويلثمها، حتى امتلأ صدره من عبقها يقول السيد الشريف: **(فسرى الحبّ في كل جسدي، واغرورقت عيناه بالدموع، فلما رأيته كذلك دبّ الرعبُ في كل جسدي، فتوجهتُ إلى الباب قهقرى، والبابُ مفتوح... مشيت في**

الممر ثلاث خطواتٍ، ثم عُدتُ، وأدخلت رأسي من دون جسدي نحوه، ووجدته لم يحول رأسه عن الباب، لم أقل شيئاً بل هو من قال: (الله يعينك على حملك) وذهبتُ...)، كان هذا آخر عهده بوالده، وقد أرخت السماء ذيولها، وهدأت حركة الأكوان، وهدأ صهيل الخيول فقد آذن آخر الفرسان للرحيل، وهاهو سيترجلُ عن فرسه لينطلق نحو الخلود، مطمئناً هادئاً وديعاً مبتسماً كعادته دائماً، سيرحل عما قريب، وبعينيه دمعة حبّ وسعادةٍ أنه سيترك الميدان لفارس شريف قادم من خلف الجبال، ممتطياً دوره المناط به، متسلحاً بالسند الشريف وبالعرفان وبالعلم وبالقرآن، وبفتيةٍ ما زالوا يتوافدون عليه، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ومتألمٌ لأمة منحورة تصرخ ولا مجيب...

وتوجه الشريف بعد زيارة والده في المدينة الطبية من فوره الى المعسكر، حيث منعت الإجازات إلا قليلاً بسبب المناورات التي كانت تجري في عمق الصحراء، والحياة أثناء المناورة حيث عمق الصحراء أصعب بكثير منها في المعسكر، يكفي أنهم إذا أرادوا الوضوء في أشهر الشتاء، كانوا يذهبون إلى صنبور الماء المتصل بناقلة تنقل الماء لهم إلى الصحراء، وغالبا ما يجدونه متجمداً، والمشكلة الكبرى كانت عند احتياجهم للاغتسال، إذ كانوا يغتسلون بماء متجمد لا سبيل الى تدفئته...

وعن اللحظات الأولى لخبر الوفاة وما تلاها من أحداث نسمعها من لسان السيد وقلبه يحدث عنها وينقل فيها بعضاً من مشاعره وأحاسيسه حينها، يقول السيد الشريف متذكراً تلك الساعات: **(... وذات مساء كنت أجلس في سيارة الاتصالات التي أعمل فيها، هجم علي وارد مزعج ثقيل، أثقل صدري وجسدي وتغيرت ملامحي وثقل لساني، تسمر زميلي أمامي في دهشة يسألني: (شو صار لك؟) لم**

أملك جواباً، ساعات من القبض العنيف لازمتني، وإذا بجهاز اللاسلكي ينادي على ضابط اللاسلكي في السيارة التي أخدم فيها ويقول له: أرسل المكلف حسني حسن إلى قيادة اللواء لأمر هام، سرنا في الليل طويلاً حتى وصلنا القيادة، وإذا بالأوامر من قائد اللواء تمنحني: إجازة فوراً مع إيصالي إلى الطريق الدولي الذي يربط الأردن بالعراق، لأستقل سيارة شاحنة وأتوجه الى الزرقاء ومنها إلى عمان، ثم إلى وادي السير، لم يحدثني أحد في المعسكر عن السبب كان عقلي يقول صراحة: وهل سوى ذلك السبب، وقلبي يطرده ويقول: لا... ولفرط تعلقي صدقت قلبي وأنكرت على عقلي، ولما وصلت البيت وجدته يعج بالناس ووجدت عمي قد أتى من الشام، وإذا بعقلي يقول: الم أقل لك، لم أنتظر من أحد أن يخبرني فقد كان المشهد كافياً، وجدت أخي الكبير محمد يسلم علي بحرارة وهو يبكي من دون أن يقول شيئاً، ذهبت إلى غرفة أبي وأنا أقول: أين هو؟ قالوا لي: في المستشفى، ثقل حزني كثيراً، لو كان في البيت لكان أهون علي حتى وإن كان ميتاً، زادت وحشتي ولم أكلم أحداً ولا أحد يدري كيف صار حالي، انشغلوا بترتيب الإجراءات، وأنا دخلت في معضلة أكبر من عمري فقدت الأب والمرشد معاً، وهذه نادرة الحدوث، أن يفقد المرء أباه الجسدي مصيبة تعوض بالأب الروحي، وإن فقد أباه الروحي يعوضه بأبيه لجسده، أو بأبٍ روحي آخر، أما أن يفقدهما معاً في لحظةٍ واحدةٍ فتلك هي أم المصائب، حاولت أن أستحضر كل معاني الرضا والصبر والإيمان بالقضاء والقدر، لكنّ وحشتي كانت كبيرة لو لم يكن لحظتها بالمشفى لربما كان الأمر أهون، مرت الساعات وعند الضحى في اليوم التالي كانت الجموع قد ملأت البيت، وأنا في ذهول بعد ليلة لم أنم فيها، ثم جيء بالجسد الطاهر وسجّي على المغتسل، وأنا مشلول الإرادة والحركة والتفكير، وما ان كشف عن وجهه ونظرت إليه، وإذا

بكل السلام والبرد والسكينة التي خلقها الله أشعر بأنها تسللت إلى قلبي وروحي وعقلي وجسمي وشعري وجلدي... أمر غريب! قلب العزاء عندي إلى فرح عجيب، يصعب وصفه أو تأويله، رأيت رجلاً من أهل الله، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، رأيت رجلاً دفع مهر حوره طاعة وتذللاً، صلاةً وصدقةً، (لا أظنه ملك في حياته نصاب زكاة) شوقاً وأنساً، رضاً وطمأنينة، براً ووفاءً، صبراً ومجاهدةً، مرضاً وجوعاً، حباً وتفانياً، دعوةً وإرشاداً، جوداً وسماحةً، حجاً وعمرةً، صياماً وقياماً، ذكراً وتسبيحاً... رأيت الجنة في ثنايا وجهه، ورأيت الملائكة في مُحياه، رأيت ضميراً مرتاحاً، وإقبالاً لا إدباراً، رأيت الناس في تعبٍ وشقاءٍ، ورأيته في ألقٍ وإصباح، فكيف لي ألا أكون راضياً بل وسعيداً... انقلب حالي وتبدلت أحوالي وانقلب الترح عندي فرحاً، أثناء الغُسل، ناداه المغسل وقد كشف شيئاً من سره المكنون، عرفناك الآن! شيخاً ابن شيخ ابن شيخ، تم الغسل وجرى التكفين، ورأيت الكفن وقد تحول إلى حُلة بهية توحي بأن ضيفاً كبيراً قد تجهز لضيافة الله، وأن عرساً قد أعد لاستقباله، بقيت عيناه مفتوحتين، جاء عمّ لي بالرضاعة (رضع مع والدي من جدتي) هو الشيخ حامد حفيد سيدنا حسن عمرو، وحاول إسبال عينيه فلم تسبل، بقيت أنا شارداً فيما أرى والأحوال عندي لا يشعر بها أحد، أقدم الجميع على تقبيله وتوديعه... أرادوا تغطية وجهه بالكفن إلا أن العينين مفتوحتان، حاول العم إسبالهما من دون جدوى، ثم تنبه فجأة وقال: أين حسني؟ تعال وودعه، قبلته على جبينه المحنى وأنا أشمه، ثم عمد العم إلى إسبال العينين فسبلتا، أغمضهما ومضى...) نعم مضى الوالد الجليل بكل الألق والبهاء، ومضى معه عمره الذي أفناه في مهمة صعبة عنوانها الطمس والخفاء، وطريقٍ وعرةٍ خطاها، كثيراً ما تألم فيها وهو يمسك على سرّه أن يُفتضح، ومكنون قلبه أن يُعرف،

تحمل الكثير من الأذى والصدود والجحود من أقرب الناس إليه، كما تحمل ظروف العيش الصعب، ومرارة الغربة عن الديار، كل ذلك لم يثنه عن دوره الرائد في حفظ الأمانة وصيانتها، ولم يتوانَ أبداً عن تهيئة الظروف المميزة لولده الشريف حتى يحمل المشعل من بعده ويمضي لما كلف به... تلك ذرية بعضها من بعض، من نسل الأنبياء يقودون سفينة النجاة لأمةٍ أثخنتها الجراح... لكن عزمهم وضّاء، يبدل العجز قوة، والهزيمة نصراً، والفشل نجاحاً... نعم يحملون أملاً يكفي الأمة..

مضى راضياً مرضياً إن شاء الله، من المهد إلى اللحد، قبل المهد كان قد حدّث ولده مرةً، والقصة يتحدث بها الجميع ويعلم صحتها، يقول السيد الشريف نقلاً عن والده الجليل: (**إن لجدي الشيخ خير الدين زوجتين، جدتي (حمدة) أم والدي وضرتها، وفي ليلة قال جدي لضرة جدتي: تعالي وخذي هذا الولد الصالح، فنفرت وقالت: (ما بدي!)، ودخل في ليلته تلك على جدتي (حمدة)، فكان أن حملت بوالدي رحمه الله، ثم دخل على ضرتها وحملت بعمتي (مريم) أطال الله في عمرها، وهذا يوم لحده يمضي إليه مسرعاً، يقسم حاملوه يومها أنهم كانوا يسحبون الجثمان إلى الخلف والجثمان يدفعهم للأمام** ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾...).

ومنذ وفاة والده، تربع الأخ الكبير سيدي محمد على كرسي والده، وراح بتيسير من الله له، يكمل دور والده في الأخذ بيد أخيه، حتى يصل به إلى برّ الأمان، فقد نافح وجاهد في سبيل هذه المهمة، ولم يهدأ له بال إلا وهو يرى تاج طريقة الأجداد يوضع على رأس أخيه، تماماً كما أراد الوالد الشريف، ثم راح وبكل ما أوتيَ من عزم وعلم،

يرمي بثقله في سبيل أن تعود سيرة الطريقة إلى سابق عهد الأجداد، بعيداً عن كل ما علق بها من مخالفات وأوهام.

البَابُ الحَادِي عَشَرَ

خاتمة فترة الإعداد

يقول عاشق النور بعد سرده هذه الأحداث ولحظات الوداع: مضى السيد الشريف بعد انتهاء مراسم الدفن والعزاء، وبعد انتهاء الإجازة إلى معسكره، وصار يتعرض للمشاق السابقة بنفسٍ صابرة، وكانت هذه المشاق هي اللمسات الأخيرة في الإعداد الرباني للسيد الشريف، فكانت معبراً في طريق الدعوة لا بدّ منه لاستكمال العدة والإعداد لما هو قادم، وأعانه الله تعالى على الصبر والتصبر أمام كل تلك الصعاب والتحديات بعد أن استبانت سنن الله تعالى فيه، كما أنه عكف على قراءة الكتب بنهمٍ كبير، وكأنه يسابق الزمن ليستكمل ما يحتاجه أو يأنس به، وقرأ في هذه الفترة في كل الاتجاهات والثقافات والتيارات والمدارس والمذاهب، وكان في الكتيبة ضابط كبير مسؤول عنهم مسؤولية مباشرة، وكان قاسياً ذا عسكرية منضبطة لحد الإفراط، وكان الكل يخشى بطشه ويتمنى رضاه، ولم يكن يراه في المسجد، لكن لم يلحق منه أذىً بالسيد الشريف كما لحق بكثيرين غيره، وحصلت بينهما قصة تروى، فلنسمع السيد الشريف يرويها بتندر: **(واذكر مرة أنه استدعي إلى بيته لأمر هام، وبعد مغادرته بساعاتٍ، إذ بقيادة الكتيبة ترسل لي**

قائلة: أن الرائد أحمد يطلبك في بيته وهناك سيارة ستنقلك إلى هناك، عند وصولي تبين لي أن عمه قد توفي في حادث سير، لقيني عند الباب وقال لي: نحن أمام معضلة لا نعرف كيف نتصرف بها، قلت ما الأمر؟ قال: توفي عمّي في حادث سيرٍ، ونصفه الأعلى متهتك، ولا نعرف كيف نغسله، والمغسّل في حيرةٍ من أمره، قلت له: ما درجة التهتك؟ قال: معجون في بعضه بعضاً، قلت هذا الجزء لا يغسل بل يرش عليه الماء رشاً، وهو ما كان، ثم عدت إلى الكتيبة بعد الدفن وتقديم واجب العزاء). وبقي السيد الشريف في المعسكر حتى حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ صادف بعدها أن زميلا معه في الدورة (جمال) الذي كان يفسد عليه دعوته أي السامريّ، والذي كان يحدّث الجميعَ بمغامراته، كان له قريب في القيادة العامة برتبة لواء، وكان هذا اللواء قد تقدم بطلب لكتيبة المفرق في الصحراء يطلب فيها من الكتيبة مجنداً لاسلكياً مع سيارة، كموفد من الكتيبة إلى قيادة اللاسلكي في عمان، وأرسل الطلب باسم الشخص الذي يريده، أي جمال، وكان الغرض من ذلك إراحة الجندي جمال من عناء الخدمة في الصحراء، وصادف أن وقع هذا الكتاب بيد الرائد أحمد، فما كان منه - وهو صاحب القرار الآن- إلا أن أخذ الطلب ووضع اسم السيد الشريف بدلاً من اسم جمال (السامريّ). يروي السيد الشريف فيقول: **(وناداني الرائد أحمد وقال لي بلغة عسكرية صارمة: (كفت يطقك) أي إجمع متاعك، وخذ السيارة رقم (٤٥٠٨٩) ما زلت أحفظ رقمها لأن معظم خدمتي كان بها، وهذا كتاب نقلك إلى عمان، نفذ الآن... سبحان الله ساعات وإذ أنا في عمان والخدمة في عمان شمة هواء ودلال، أمضيت بقية خدمتي في عمان حتى تخرجت بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٨ وجاءني جمال بعد ذلك، وأخبرني القصة، وأخبرته بأني لا أعلم كيف تم الأمر).**

الفَصْلُ الثَّانِي

تأسيس البنى التحتية

مقدمة

الباب الأول: بيت من نور: في كنف الوالد

الباب الثاني: التنصيب وتوحيد الطريق: نور على نور

الباب الثالث: أعباء كبيرة: بدايات صعبة - وجهود جبارة

- عبء السنّ
- عبء المنهج الصحيح
- عبء الإنفاق على الطريقة
- عبء الوظيفة والتوجه للتجارة
- اتخاذ القرار المهم

الباب الرابع: وفود المتصوفة الأدعياء: المرحلة الأصعب

الباب الخامس: منهجية الطريق: الزاوية - المثابة - الجمعية

- أولاً: بناء الزاوية: الركن الشديد (مركز انطلاق الدعوة)
- ثانياً: مثابة دار الإيمان لرعاية وإيواء الأيتام (والتفاعل التام مع المجتمع واحتياجاته)
- ثالثاً: إعداد جيل من الدعاة:

١. الإخلاص

٢. الحب والإمتثال

٣. الذكر والفكر
٤. معالجة آفات النفس
٥. علاج أمراض القلوب
٦. استحضار معاني العبادات
٧. الخدمة
٨. الهمّ العام وشحذ الهمم
٩. المسارقة في الطباع
١٠. تحويل الصفات
١١. تفريغ القلب
١٢. حسن الخطاب
١٣. استعمال أدوات العصر

- رابعاً: إنشاء جمعية دار الإيمان الخيرية
  ١. العلم والتحصيل العلمي
  ٢. التوجه نـحو علوم القرآن
- خامساً: المثابة تضيء في قلقيلية
- سادساً: العمل السياسي ومصادر الدخل
  ١. العمل السياسي
  ٢. مصادر الدخل المالي اليوم

مُقَدِّمَة

دعاني عاشق النور لزيارةٍ برفقته إلى قلعة عجلون، حيث الطبيعة الجميلة والموقع المميز المطل على وادي الغور الفسيح، ومنظر للأفق باتجاه الغرب يسحر الألباب، ويزيح عن النفس هموم الأيام، وليخبرني عبر نسائم البحر الآتية من الغرب البعيدِ، بعض الأخبار الشيقةِ عن السيد الشريف، كان قد عاصرها منذ البدايات... وفي الطريق شمالاً إلى عجلون، قصّ عليّ بعض الجهود الذي بذلها السيد الشريف لتأسيس البنية التحتية لدعوته، وسرد بعض التفاصيل عن تلك الأسس التي كان لا بدّ منها لانطلاقه على أسس متينةٍ تحمل فكرَهُ وهمّهُ وتوجهَهُ وتوضحُ جزءاً من رسالته ودعوته...

البَابُ الأَوَّل

بيت من نور: في كنف الوالد

أولُ عملٍ بادر إليه السيد الشريف بعد خروجه من الجيش، كان إنشاء البناء الأساس والأهم في مسيرته الدعوية، وهو عزمه على الزواج وإنشاء الأسرة وفق المنهج الذي ارتضاه لنفسه ولأتباعه، فلا بدّ من بيت يضم فيه هذه الأسرة القادمة، وكان والده رحمه الله قد بنى له ولإخوانه طابقين، لكل واحدٍ منهم شقة غير مكسية (عظم)، فاتجه السيد الشريف للعمل فوراً بعد انتهائه من الجيش، لإكمال شقته وتجهيزها

لسكن الزوجية، فعمل مع أخيه سيدي حمدي مساعداً له في مهنته (ألمنيوم) كي يكمل تجهيز البيت...

وهذا منهج مميز عند السيد الشريف، فهو يحب العمل والإنتاج والفعّالية في المجتمع، ويكره التخاذل والتقاعس والبلادة عن العمل، ويحب العرق على الجبين الناتج عن العمل، ويُسر كثيراً من الشاب الذي يعتمد على نفسه والذي يبني نفسه بجهده وعرقه، وهذا النهج يعاكس فيه السيد الشريف كل الطروحات التي تتناول التصوف بالإساءة له، من قول البعض: إن التصوف يحض على الكسل والإتكال على الناس، لكن السيد الشريف وجه كل الشبان من حوله من المريدين ومن المحبين للعمل والإنتاج أثناء الدراسة الجامعية أو في العطل المدرسية، فنشأ في محيطه شبان ذوو شخصية متوازنة، تفهم عن ربها أن الخلافة في الأرض مبنية على العمل والإنتاج والعطاء، وتعرف رسالة الله إليها، وبأن نهضة الأمة تقوم على العمل المنتج والجهد المضني، والقرش الحلال من عرق الجبين... وقد قدم السيد الشريف نفسه كنموذج لهذا الفكر والمنهج... فقام بتجهيز بيته من كدّ يده وعرق جبينه... وبقي بهذا الفعل نموذجاً دائماً لأتباعه ومحبيه.

وبعد أن اكتمل تجهيزُ البيتِ، اختار الحسيبة النسيبة من بنات عمه المقيمة في دمشق... لتشاركه مشواره ولتكون عوناً له من الله على مستقبل أيامه ومسؤولياته، فكانت وما زالت نِعمَ الزوجة الصالحة والمساندة له في كل محطاته، والتي شاركته مراحل دعوته كلها، فكان بيتهم... بيتاً شريفاً من نور، فبدأ زواجه في الشهر السابع من عام ١٩٨٦ بالسكن بهذا البيت المتواضع في البيادر، والمفروش بحبات عرق جبينه، والذي أحسّ فيه بالسكينة والراحة، كونه من أثر الوالد والشيخ واختياره لفلذة كبده، فشعر أنه يعيش في كنفه وتحت نظره في

البيت الذي اختاره له... وأنجب منها ثلاثة ذكور شرفاء هم محمد والصديق وعليّ، وأربع صبايا شريفات، حمّلهم جميعاً رسالة الدعوة ومنهج التصوف الصحيح، كما فهموا وتشربوا فكر والدهم ومنهجه، وساروا على نهجه في حياتهم، ولهم حضور وضيء في الزاوية، وفي نشاطات القرآن والذكر والدعوة والسلوك...وهذا كان الأساس الأول (بيت الزوجية من عرق الجبين) في بنائه للمنهج الذي سيسير به بين أتباعه ومحبيه.

وإذا كان الفرد المسلم هو المقصود في الدعوة، وهو المعنيّ بكل طروحات النهضة المنتظرة للأمة وفق المنهج القرآني، فإنّ الأسرة الصالحة والملتزمة، هي المكون الخلفي والحاضن للمسلم الصالح، وهي اللبنة المهمة في تأسيس وبناء المجتمع، ومن هذا الفكر يتوجه السيد الشريف إلى مريديه الشبان، يحثهم على الزواج الملتزم بالمنهج الرباني، ويعلمهم أساسيات العشرة الزوجية وتربية وبناء الأولاد، كما ربى هو أولاده، وكما أقام بيته ورعى أسرته، فكان ولا يزال أنموذجاً عملياً لأحبابه ومريديه في سلوك هذا النهج الرباني السديد، وقد تألقت بفضل رعايته لأتباعه ومريديه، كثير من بيوتاتهم، وفاض خيرها على محيطهم، مما كان له الأثر العظيم في تألق السيد الشريف في المجتمع المحيط بمريديه، وانعكس أثره الوضاء في مريديه على محيطهم...

نعم... بيت من نور كان ولا يزال بيت السيد الشريف، أضاء ما حوله من بيوتات أهله وأحبابه ومريديه، فلا نرى اضطراباً ولا شحناء داخل الأسر المحيطة، بل إنسجامٌ ومودة وسعيٌ وتسابقٌ من الجميع لفهم الدين ومنهجه الرباني وتطبيقه كل على نفسه وأهله وأولاده، ثم الانطلاق لخدمة الدين بتقديم النموذج الأسوة في المجتمع...

قال عاشق النور وهو ينظر للأفق البعيد وكأنه يترقب نوراً شارداً من شاطئ البحر الغربي، يحمل لنا بعضاً من غرام تائهٍ بين الصخور... بعد أن استقر في بيته وأنشأ أسرته الصغيرة وسارت بهم الحياة قليلاً، تقدم بطلب وظيفةِ إمام وخطيبٍ للأوقاف في المسجد المجاور لبيته، والذي بناه أتباع جده في الطريقة الخلوتية، ودخل لامتحان القبول في وزارة الأوقاف واجتازه بنجاح، ليصدر قرارُ تعيينه إماماً وخطيباً في المسجد المسمى مسجد الدراويش... وهنا بدأ فصل جديد في حياته الدعوية لكنها كانت غنية بفصولها... وبدأ مسار حياته يتغير بصورة جذرية، فقد كان المسجد يحوي دراويش غرباء على التصوف، يدّعون أنهم ينتمون إلى طريقة أجداد السيد الشريف، وهم يمارسون أخطاءً شرعية، بسبب الجهل الكبير في الشريعةِ، وبسببِ غيابِ العقيدةِ الصحيحةِ عن فكرهم ومنهجهم، مما اضطرهُ طبعاً لتعميق دراساته التاريخية عن التصوف: فكره، وأسسه، ومنهاجه، ورجاله وسيرهم، وأشكاله... ثم أجرى مقارنة بين سلوك هؤلاء وبين التصوف الحقيقي، الذي هو تصوف الحسن البصري، والجنيد، والرّفاعي، ومنهج الطريقة التي شربها من والده قدست أسراره... ووجد أن هؤلاء في عالم آخر غير عالم التصوف الحقيقي، ولا يحملون منه إلا الاسم والهوى، كما وجد جهلاً وخرافة منتشرة بين مشايخهم ومريديهم، وادعاءً بالأحوال والمقامات والمكاشفات... ووجد نفسه في مشكلة عويصة، لأن هؤلاء الدراويش يدّعون انتماءهم لأجداده ولطريقتهم، وهو الآن في وسطهم يمارس الإمامة في الصلاة والخطبة في الجمع والأعياد، وكانت الهجمة على التصوف القائم والمنتشر على أشدها بسبب هذه الممارسات وغيرها وسط مجتمع واعٍ يستطيع فرز الغث من السمين... ولم يستطع أن ينكر على المهاجمين، لأن جزءاً مما يقولونه عن المتصوفة المدّعين صحيح، فالناس تنظر إلى الممارسات الخاطئة للأدعياء وللدخلاء على

التصوف الصحيح، ثم يتهمون التصوف ويدينونه، مع أنه في حقيقته هو مرتبة الدين الثالثة وهي الإحسان، الذي يعنى بالأخلاق وتربيتها ويعنى بالإخلاص في كل حين، ويعنى بنظافة الباطن من الآفات، وطهارة القلب وصفائه من الكدورات...

في فترة الجيش كان السيد الشريف مهتماً بالحركات الإسلامية، واطلع على أفكار أكثرها ومناهجها وتوجهاتها، كما اطلع على مبادئ جميع الحركات العاملة في الساحة الإسلامية، وكان أيضاً في فترة الجيش يدقق النظر ملياً في الإخفاقات والإيجابيات الناشئة عن عمل هذه الجماعات والحركات على الساحة، ويقيسها على تجارب الحركات الإصلاحية في تاريخنا الإسلامي، أما عندما وقع بين هؤلاء الدراويش فقد وجد نفسه مضطراً للمبادرة للإصلاح ما استطاع... وكأن الله تعالى أوجده هناك بينهم ليبدأ مشواره من داخل البيت، أي من داخل أدعياء التصوف، وليبدأ التنظيف من داخل البيت، قبل أن يتوجه للمجتمع، وكانت مهمة شاقة وأخذت منه كثيراً من الجهد والوقت...

قال عاشق النور مسترجعاً ذكرى والده قدست أسراره، أتذكره الآن يسترجع المواقف التي كان يقفها والده معهم في محاولاته الكثيرة واليائسة لإصلاحهم من داخلهم، وأدرك معاناته مع شيوخهم، لكونه كان وصياً حقيقياً على إرث أجداده، وتذكر وهو في أوج مواجهتهم كم من الإساءات كانت تخرج من أفواههم بحقه، وكم من الدسائس كانت تحاك له لتحييده وإبعاد الناس عنه، فحاول السيد الشريف استخدام نفس أسلوب والده، أي أن يعمل من داخلهم بعد أن صار بينهم إماماً، لتصويب عقيدتهم ومسلكهم وردهم إلى المنهج الأصيل للتصوف وللطريقة، وأن يكمل ما قد بدأ به والده، إلا أنه فوجئ أن العفن كان قد وصل إلى الرأس وأن لا سبيل للمقصود إلا بالمواجهة، دفاعاً عن الدين

أولاً، والذي أصبح مطية للدنيا، ودفاعاً عن التصوف الراقي، والذي انقلب إلى خرافة على أيديهم، ودفاعاً عن الطريقة... طريقة الآباء والأجداد التي امتهنت بينهم، حاول في البداية أن يقارعهم بالحجة وبالبيان وبالنصوص الشرعية التي هي الفصلُ والمرجعُ بين كل الفرقاء والمسلمين... فوجد أن لا قيمة للنص والحجةِ عندهم، فتفاجأ من ضعف المرجع الشرعي، بل انعدام هذا المرجع عندهم، وتجادل مع مشايخهم بالتي هي أحسن، حول مخالفات شرعيةٍ كبيرةٍ وواضحة، فاصطدم بدنياهم ومكاسبها، كالمال والعقار والمكانة الاجتماعية، واحتار السيد الشريف. اسمع معي إليه يتكلم بألم عن تلك الفترة وكأن قلبه يبكي دماً حسرة عليهم: **(فماذا أفعل بالمهمة الموكولة إليّ؟ واستمر الصراع وطال أمده معهم، من لحظة التعيين عام ١٩٨٦م إلى الشهر السابع من عام ١٩٨٨م، وانا بين شدٍّ وجذب. وفي عام ١٩٨٧ رزقت بمولودي البكر (محمد). وكان الصراع قد بلغ مداه، واستطعت خلاله استمالة عدد من أتباعهم للحق).**

البَابُ الثَّانِي

التنصيب وتوحيد الطريق: نور على نور

يقول عاشق النور بعد أن اعتدل في جلسته، وهو ينظر إلى بعض الغيوم وكأنه يستنطقها عن الأحداث التي جرت عام التنصيب: كان عام ١٩٨٨م عاماً مميزاً... فبينما كان السيد الشريف يعمل منفرداً أمام تلك

الفئة المدعية وكأنه في الجبهة من شدة وحجم المواجهة، حدثت بعض الأحداث المثيرة، جدير بنا التوقف عندها، فلنسمع صدى صوته الآتي من خلال الغيوم يروي بعضاً من هذه الأحداث، اصغ واسمع معي همسه: **(عام ١٩٨٨م توفي شيخهم وانشغلوا بهذا الحدث، وتصادف ذلك مع مرض أحد شيوخ الطريقة الخلوتية (الأشراف) فرع سيدنا حسين الكبير ابن سيدنا الشيخ عبد الرحمن، والذي مرض هو حفيده الشيخ حسين الثالث، إذ كان أبناء سيدنا عبد الرحمن قد كلفوا من والدهم كل في مكانه برفع لواء الطريقة في مدن وقرى وأرياف فلسطين، فما كان منه إلا أن أرسل إليّ إجازة جديدة لحمل لواء الطريقة، مع ما عندي من سند عن والدي عن جدي عن والده رحمهم الله... في ذلك الوقت رأيت جدي في المنام يكلفني بالمضي في خدمة الطريقة)**. هل لاحظت معي كيف جاءه السند الشريف من ثلاثة مصادر، أولاً جاءه من والده الجليل، وهو السند الذي حمل فيه سرّ الطريقة ونهجها فكان مصدراً وثيقاً وحميمياً وأصيلاً ومتيناً، ثم جاءته إجازة السند من شيخ الطريقة الخلوتية فرع الشيخ حسين، وهو الفرع الذي حملها ظاهراً وحمى خطها من كثير من الأدعياء حتى أسلمها السيد الشريف، لكن السيد الشريف، وَجَل من حملها وأشفقَ منها، إذ كيف لشابّ في مقتبل العمر أن يحمل أمانة ناءَ بحملها الرجال... ورأى بأم عينه ثقل الحمل على والده من قبل؛ لكن يا أخي هل لمثل هذه الأمانة إلا من يختاره لها جلّ في علاه. وهل لها في هذا الزمن سوى السيد الشريف؟ وقد أعده والده لهذا العبء منذ البداية... وجهزه ليكون لها العنوان.

ثم جاءه سيدنا خير الدين قدست أسراره مناماً، يطلب منه المضي قدماً في خدمة الطريقة، وطمأنه أن العون الإلهي سيكون بجانبه وسيسدد له خطاه بإذن الله، واستكان السيد الشريف للاختيار الرباني

بعد هذه المقدمات، ورفع يده معلناً حمل الأمانة وقبول التحدي انتصاراً لدين الله تعالى، وانتصاراً لأهل الله ورغباتهم، وانتصاراً لطريق أجداده وحفاظاً على إرثهم النوراني، وانتصاراً لنهج التصوف الذي تحتاجه الأمة لنهضتها وعزها التليد... نعم قبل التحدي، ومن لهذا التحدي إلا الشريف ابن الأشراف، ومن لهذا التحدي إلا فتى من قريش، نورٌ وضاءٌ يعرفه أهل السماء وأهل الله في الأرض، ويعرفون أصله ونسبه، ويعرفون صدقه وأمانته، ويعرفون علمه وورعه... نعم هو الرجل في الزمن الذي عزّ فيه الرجال...

وتهيأ السيد الشريف لهذا العبء القادم، بسلاح المدد الرباني، والمعونة الربانية، والشريعة الربانية، وبدأ يهيئُ نفسه ليكون صاحب الكنف والرعاية والإمداد لمن حوله، بعد أن عاش عمره بكنف والده ورعايته وإمداده...

وفي الشهر السابع من عام ١٩٨٨م، وصلت إجازة سيدنا الشيخ حسين من الخليل إلى عمان، واجتمع المحبون من أبناء العمومة آل الشريف، وعزموا جميعاً على إعلان وثيقة التنصيب، وجرى احتفال كبيرٌ مهيبٌ، حضره المئات من المريدين والعلماء وقضاة الشرع ومشايخ الطرق الصوفية وأبناء الشريف، وجرى إعلان السيد الشريف شيخاً للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية بكل فروعها، وكان عمره ٢٤ سنة، وتوحدت الطريقة بكل فروعها وإجازاتها للمرة الأولى منذ مائة عام، بعد وفاة سيدنا الشيخ عبد الرحمن الشريف في شخص السيد الشريف في عمان، وتصادف تاريخ التنصيب والتوحيد مع ذكرى مرور مئةِ عام بالتمام والكمال على وفاة سيدنا عبد الرحمن الشريف.

نعم كان شيخاً بالطمس قبل التنصيب، يحمل السرّ كأبيه، لكنه اليوم وبعد أن لبس التاج وأخذ يرفل به متأنقاً كأمير بين الجموع، وأصبح

شيخاً بل قمراً ظاهراً للجميع... نوراً من بيت النبوة يلبس تاجاً من نور، ويفتر فمه عن أصناف تبهر من درّ مكنون، شيخ رغب فيه بيت المقدس وأكنافه، فانبرت عمان لتحتضنه... عمان! أراك اليوم عاشقة للنور، صامتة على حبك وغرامك، أراك منتشية مزهوة بهذا العشق والغرام، واثقة بود من تحبين، طاهرة كطهر من تحبين، أسمع من بعيد نبض العشق فيك، يأتيك من بعيد كل العشاق ليسبحوا في أجوائك ويتعلموا التسبيح منك...

ولأول مرة يتفق آل الشريف جميعهم في عمان والخليل عليه شيخاً للطريقة غير مختلف عليه، كما أن كل الإجازات السابقة لأبناء سيدنا عبد الرحمن في ربوع فلسطين، عادت إلى شخص واحدٍ بعينه هو السيد الشريف، وهذه اللملمة والتجميع لكل الإجازات لهو دليل على أن الأمر فيه ترتيب إلهي، وحتى لا تتبعثر الجهود في أماكن شتى، بل يبقى الزخم دافقاً متيناً، ونابعاً من المصدر الوحيد والأوحد فيما بعد، كان حدث التنصيب والتجميع حدثاً مهماً ورائداً في عمان، نغبط عمان عليه، لأنها أهلٌ لمثله، وقد دخلت إلى خريطة الولاية والأولياء من أوسع الأبواب... طوبى لها وحسن مآب.

يقول عاشق النور: ومما بادر إليه السيد الشريف شيخاً، هو اتخاذه من بيت والده في البيادر، زاوية مؤقتة وفاءً للوالد الجليل قدست أسراره، وتلمساً لبركته، حيث كان يلتقي فيها بإخواننا للوعظ وقراءة الأوراد... وقد كانت هذه الزاوية ذات دفء وحميمية يتذكرها من عاصرها بشوق وحنين، لأنها كانت بمثابة البيت والمأوى للجميع، وكانت بصمات الوالدة العفيفة في ذلك الزمن كبيرة وعظيمة، إذ كانت ترعى الذاكرين وتهيء لهم فطوراً يومياً ببيتها قبل ذهابهم لأعمالهم وأشغالهم، ومن هذه الزاوية في بيت الوالد الجليل قدست أسراره، بدأت

القصة بكل تفاصيلها، نعم... بدأت قصة السيد الشريف بكل لمعانها ومعاناتها...

ومن جهة أخرى، وحتى تنجلي تفاصيل الصورة وزخرفتها ومكوناتها، نذهب للطرف الآخر الذي تعب وأتعب، ففي تلك السنة المميزة، قام الدراويش في مسجدهم بتعيين شيخ جديدٍ لهم بدل المتوفى، واحتدم الصراع بينهم وبين السيد الشريف بعدما غدا شيخاً للطريقة الخلوتية، وثارت ثائرتهم، وذلك أنه ما زال إماماً معيناً في مسجدهم، وكان يذهب للإمامة في الصلاة عند دخول كل وقت، وكان هذا يثيرهم ويزيد حنقهم عليه، وكان يواجه مختلف صنوف المضايقات منهم، لإخراجه من بينهم وردّهِ عن مسجدهم، ثم وشوا به عند الأوقاف، واستخدموا كل نفوذهم المادي عند المسؤولين، في الوقت الذي التفّ من حوله كل من كان يصلي في المسجد من غيرهم، واستمرت المضايقات واستخدام النفوذ حتى صدر أمرٌ في مطلع عام ١٩٨٩م، بنقله إلى المسجد الذي تربى وتعلم فيه، أي مسجد والده الذي كان إماماً به (وادي السير).

البَابُ الثَّالِثُ

أعباء كبيرة: بدايات صعبة - وجهود جبارة

عبء السنّ:

سألت عاشق النور: كيف استطاع الشاب الشريف، وقد أصبح شيخاً لمريدين مختلفي الأعمار والثقافات، أن يستوعبهم ويرعاهم

ويكونوا بكنفه، وهو بهذه السنّ؟ قال لي مبتسماً: تلك مهارة برع فيها وأجاد سبر غورها، فهو تعلم منذ الصغر أن يجالس الأكبر منه سناً بسبب رفقته ومجالسته لوالده، من هنا فهو يجيد مخالطة كبار السنّ ومخاطبتهم، كما أنه وبعد تنصيبه صار إحساسه الداخلي يُشعره دوماً أن الجميع في رعايته وتحت نظره وفي كنفه، مما أزال حاجز العمر بينه وبينهم، فهو في شعوره الداخلي وتعامله معهم كالوالد بحنانه وعطفه ورعايته، ومن جانب آخر يشعر كل مُقترب منه أو مُجالسه أنه بين يدي والده وراعيه ومرشده مهما كان سنه وعمره... يبدو أن هذه المشاعرَ حاصلة بسبب الإرث النوراني، وبسبب السند الصلبي الذي يتمتع به السيد الشريف، وهذا من فضل الله عليه وعلينا، ليسهل التعامل معه والإفادة منه. وعن هذه المشاعر تحدث السيد الشريف عن بعض ما كان ينتابه، اسمع معي عذب كلامه: **(قمت باصطحاب ثمانية من إخواننا لزيارة الرسول ﷺ في المدينة المنورة وأداء العمرة، واستقلينا سيارتين حملتانا إلى الديار المقدسة، كان الأمر الصعب الذي واجهته هو أن أغلب إخواننا يكبرونني سناً، وأنا ما زلت حديث السنّ، وأعتقد أن هذه المسألة جعلتني أكبر مبكراً، وكان هذا شأني منذ طفولتي فدائماً كنت أصاحب من هم أكبرَ مني، ولا أجد ضالتي في أقراني)**.

وفي رحلة العمرة هذه كان ضمن من صحبهم معه السيد الشريف هو سيدي كمال، وهو رجل يكبره بربع قرن تقريباً، وله باع في الطريق يرجع لعشرين عاماً، وكان من أوائل الذين عاهدوا على النصرة للسيد الشريف عند التنصيب، لكن كان في نفسه شيء ما يقلقه، هل هذه الدعوة بيد السيد الشاب ممدودة وموصولة بساداتنا؟ وهل هذه المشيخة لشابّ من الأشراف شرعية؟ وهل؟ وهل؟ أسئلة كثيرة في رأسه تدور وفي قلبه تشتعل، ولم يفصح عنها لأحد، يقول السيد

الشريف: **(وفي رحلة العمرة هذه يبدو أنه أراد أن يعبر عن سؤال كان يراوده في شرعية هذه الدعوة ومددها)**، فعندما ذهبوا إلى المدينة المنورة، ودخلها الجميع كوفد، على رأسه وفي مقدمته: السيد الشريف، كانت النية زيارة قبر الرسول ﷺ بعد صلاة الفجر، فأخبر السيد الشريف جميع المريدين وهم في السكن: أن يذهب كل فرد للزيارة وحده، فكان أن سبق سيدي كمال الجميع إلى الروضة وقت السحر، ثمّ صلى الفجر وقرأ الأوراد في الروضة الشريفة، ثم وقف للزيارة عند الحبيب ﷺ، وإذا به ومن دون علم أحد يخاطب رسول الله ﷺ سراً بقوله: يارسول الله إن كانت هذه الطريق على الحق، وكان هذا الشيخ مأذوناً وممدوداً، فأريد منك الآن إشارة تفيد برضاك! يقول السيد الشريف عن هذه اللحظات: **(وفجأة! وإذا بي من خلفه أربتّ على كتفهِ (حيث كنت أبحث عن إخواننا) وأقول له: (هل أنهيتم الأوراد والزيارة؟) فلما رآني فوجئ، وأخذه حالٌ ووجدٌ شديدٌ، وأخذ يصيح وهو بالروضة بصوت مرتفع: (أشهد! أشهد! والله بعثك جدك! والله بعثك جدك!)**، طبعاً كان سيدي كمال محتاجا إلى هذه الإشارة وبهذا الوضوح، فهو مؤمن أن المشيخة للشريف، لكنه في ذلك الحين يبحث عما يطمئن قلبه، ويزيل عنه أي التباس، كانت أياماً عصيبة عليه، ولم يجد أمامه سوى الرسول ﷺ ليأخذ منه ما يريحه ويطمئنه.

عبء المنهج الصحيح:

يقول عاشق النور بفخر عن معشوقه، بدأت الدعوة تكبر، وبدأ الناس يلمسون الفرق بين منهج السيد الشريف المبني على أصول الشريعة من القرآن والسنة، وبين ما كان موجوداً على الواقع من طروحات إما متقوقعة على نفسها بمنهج قديم مهترئ، أو تلبس عباءة الدين لمكاسب دنيوية وهم الأغلب، أو تغرق في جهل مطبق بالدين

وبالشريعة ينفرُ الناس، ويزيد الشك والريبَ فيهم، فكان طرح السيد الشريف قد لامس الفطرة ولامس وجع الناس وأشعل فيهم حب الدين والتدين، لأنهم يبحثون عمن يحمل الدين نقياً وهاجاً، وفي الوقت نفسه يعزف على نغم الحب لله وللرسول ﷺ، فكان ظهوره مفاجأة ساقت إليه كل الوالهين والراغبين بإسلام نقي كما نزل... ومن هنا بدأ عدد المريدين حوله يزداد، وبدأت تتشكل الخيوط العريضة للدعوة، ومفاهيمها وأصولها ودوافعها، فإذا هي بيضاء نقية، وسطية الطرح، تخاطب العقل والوجدان، وتعزف لحن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلاقت قبولاً واسعاً، وتقبل الناس شيخاً شاباً، صوفياً شريف النسب، حسن المعشر، قبله الناس وأحبوه، لاعتداله وشدة أنسه، فكل من رآه أحبه وتودد إليه، وكانت دعوته ترتكز على مبادئ التصوف الحقّ بعيداً عن أيّ مجاملةٍ، وبدأ الحمل يثقل على شاب بلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً... لكن عون الله تعالى لازمه منذ البداية، وكان يشعر المدد منه في أحلك الظروف وأصعبها.

ويتابع عاشق النور منتشياً بتلك الذكريات... كما أنه وبالحقيقة وجد الدعم والمؤازرة والمساندة من جميع إخوانه، وهذا ما كان يُدخل إلى قلبه السكينة والطمأنينة، إلا أن الدعم اللامتناهي الذي وجده من أخيه الكبير سيدي محمد، كان ولا يزال نعم العون في أشدّ الظروف وأحلكها، بالإضافة إلى رأيه السديد والذي أفاده كثيراً وفي محطاتٍ عديدة، إذ إنّ له تجربةً وعلماً وثقافةً غنيةً، فهو كان يكبره بخمسة عشر عاماً، وكان قد تخرج من كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، ويعمل في الوسط الإعلامي، ولم يبخل عليه بخبرته الطويلة في الحياة واطلاعاته الواسعة وثقافاته المتنوعة، فكان لوقوفه إلى جانبه في ذاك البحر المتلاطم ما شدّ من أزره للوقوف على قدميه، لمواجهة أعباء الطريقة ومتطلباتها وأعدائها في آن واحد.

صحيح أن منهج الطريقة الذي طرحه السيد الشريف، أعاد لها ألقها وزخمها، لأنه كان مغيباً عن ساحة العمل الدعوي، وصارت الطريقة بفضل جهوده الحثيثة والثابتة في مقدمة الركب الدعوي الصوفي، إلا أن هذا الطرح تطلب منه يقظة واستنفاراً دائمين كي لا يعبث به المتسلّقون من حوله، وأخذ ذلك منه الجهد الكبير، والسهر الطويل، والعمل المضني، فكان من نتيجته ازديادُ أعداد المريدين والأحباب من حوله، فصار العبء عبئين، عبء المنهج الصحيح للمحافظة عليه وضاءً وهاجاً دائماً، والعبء الآخر توافد الناس إليه من كل الأطياف والثقافات والأعراق، فتطلب ذلك منه بذل الجهد الحثيث كي يستوعب الجميع ويحملهم على فهم منهجه والسلوك كما يريد بين يديه على بصيرة، ويطهر الطريق من الوافدين الغريبين عن نهجه... أو العابثين الذين يعملون على إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

عبء الإنفاق على الطريقة:

واستطرد عاشق النور يتحدث عن تلك الأعباء، وهو معي بجسده لكن قلبه كان هناك عند تلك البدايات... وقد جرت العادة عند ساداتنا على مر التاريخ وعند كل رجال الطريقة من آل البيت، إقامة وجبة عشاء للمريدين ولأحبابهم ليلة الجمعة من كل أسبوع، وكانت هذه الوجبة تجمع الذاكرين معاً على بركة شيخهم، ويترقبون المدد والتبرك من هذه اللقيمات، وهذه سُنة حسنة اعتادها المريدون، وألفوها بل أحبوها واهتموا بها لأنها صلة مادية مع الشيخ، فيها وجبة روحية لا تخفى عليهم، وعندما بدأ السيد الشريف دعوته بعد حفل التنصيب، كان لا بدّ له من أحياء هذه السنة عن أجداده ﷺ، لأن هذا النهج بنظرهم هو نهج آل البيت، المأخوذ من نهج جدهم الخليل عليه السلام، فإطعام الطعام عندهم ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ... ﴾ وهذا منتهى سعادتهم. تعال معي نسمعه يُحدث عن هذه الفترة العصيبة: **(كان من عادتي إبان كنا في الزاوية التي أقمناها**

في بيت والدي، أن أعدّ وجبة عشاء لجميع إخواننا ليلة الجمعة من كل أسبوع، وكان الدراويش يهزؤون بي ويلمزونني قائلين: كيف يكون شيخاً وهو لا يستطيع إطعام مريديه، وأذكر أنه في أحد الأيام وكان يوم خميس أردت شراء اللحم لإعداد الطعام، فلم أجد في جيبي شيئاً يشتري ولو خبزاً، فركبت سيارتي وتوجهت إلى المسجد الذي عيّنت فيه (وادي السير) وكنت في غاية الألم، لشدة الفاقة وحرجي أمام الضيوف، وما إن بدأت بالنزول في طريق وادي السير إلا وسيارة خلفي تضيء لي بأنوارها، ويشير لي سائقها بالوقوف، فوقفت، فإذا برجل لا أعرفه يترجلُ منها وينزلُ باتجاهي وأنا جالس في مكاني، أنزلتُ زجاج سيارتي وسلّم عليّ، وإذا بيده مبلغ من المال يناولني إياهُ قائلاً: هذا ثمن عشاء إخواننا الليلة، سألته من أنت ومن أين تعرفني؟ ربت على كتفي وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ ورجع). ومن هذه اللحظة العصيبة، جاءه الفرج من الله تعالى، وصار ثمن عشاء ليلة الجمعة يتيسر في كل أسبوع حتى يومنا هذا... وهذه الفائدة والسلام تنال من يتبع أحد رجال آل البيت، ويكون قد أكرمه الله بهذا الإتباع، إذ يناله السلام من الله الذي يناله، وينتفح بشيء من نفحاتهم، ما دام بكنفهم...

عبء الوظيفة والتوجه للتجارة:

وقال لي عاشق النور هامساً وكأنه يسرّ لي ببعض شجونه... الوظيفة تكون أحياناً مصدراً للدخل ثابتاً ومريحاً للبعض، خصوصاً إذا كان العمل الدعوي ممكناً من خلالها، وبعد تنصيب السيد الشريف شيخاً للطريقة، صارت الوظيفة عبئاً جديداً وثقيلاً عليه، لأنها تحدّ من حركته في دوره في الإرشاد، وتحد كثيراً من دعوته، والحرية ضرورية لصاحب الرسالة وحامل مهمة الإرشاد، فلا يستقيم العمل ضمن أجواء قيود الوظيفة والعمل، فكان لا بدّ له أن يبحث عن مصدر دخلٍ يُغنيه عن الوظيفة وارتباطاتها، ويساعده في سدّ احتياجات أسرته وباقي

التزاماته، فاتخذ بعض الأنعام لتربيتها والتكسّبِ منها، وأوكل بها من يرعاها، ومن مردودها اتخذ جراراً زراعياً لزيادة الدخل، يقول السيد الشريف فرحاً بما ترتب له من دخل جيدٍ أغناه وفرغه للدعوة والطريق: **(ثم كان أن يسّرَ الله لي أحد المريدين (الحاج عبد الرؤوف النتشة)، وهو صاحب محجر ينقل منها الحجر من عجلون إلى عمان، فأشار عليّ: لو امتلكت شاحنة لنقل الحجر، ووعد بأن تكون شاحنتي هي الناقل الوحيد لمحجره من عجلون إلى عمان، فبعتُ الأنعام والجرّار واشتريتُ شاحنة، دفعت ما معي دفعة من ثمنها، ثمّ قسطت الباقي من عملها في نقل الحجر، ووفى جزاه الله خيراً بما وعد، واستطعت في فترة وجيزة تسديد ثمنها، مما أوجد لي دخلاً مجزياً أضعاف راتب الوظيفة)**.

اتخاذ القرار المهم:

يا أخي! النجم الساطع لا بدّ له من موقع يسطع منه وينير على الآفاق، خصوصاً بعد أن بدأ عدد المريدين بالتزايد، فتوجه السيد الشريف لشراء أرض في منطقة البيادر، ليتم بناء زاوية عليها، يكون له ركناً شديداً، وينطلق فيها ومن خلالها إلى ممارسة دعوته وطرح منهجه ومشروعه على الملأ، وما إن اشترى الأرض، التي جمع ثمنها منّ ماله الخاص، ومن بعض المتبرعين من إخواننا ومن بعض المحبين، وبقي جزء من ثمنها دفعه السيد الشريف على أقساط من ماله. وما إن أتمّ تجهيز المخططات لبناء الزاوية القائمة الآن في بيادر وادي السير، حتى بادر وتقدّم باستقالته من وزارة الأوقاف، ليتفرغ لأعماله الدعوية ولأعباء المشيخة، ودخل يومها على مديرية الأوقاف، وكان على صلة بعدد كبير من موظفيها، وعندما علموا بأنه قادم باستقالته، هبّوا فيه هبّة رجل واحدٍ قائلين: ماذا تفعل؟ هل أنت بوعيك؟ تعال

وانظر إلى طلبات التوظيف بالآلاف، واستمع إلى هواتف الوساطات وهي تسعى لتوظيف معارفهم... حاول إقناعهم من دون جدوى، فقال له مدير الأوقاف: لن أقبلها منك الآن، اذهب وفكّر ثم قرّر من جديد... فعلاً ذهب واستخار الله عزّ وجل في الليلة التالية، يقول السيد الشريف عن الاستخارة هذه: **(ورأيت فيما يرى النائم: أني في أحد اجتماعات الأئمةِ المعتادة، في قاعة مسجد الملك عبد الله في العبدلي، ورأيت الأئمة مجتمعين، وكلٌ يجلس على مقعد، وكنت واقفاً مع عدد قليل من الأئمة، نسعى لإيجاد مقعد من دون جدوى، ثم قال لي أحدهم: لا يوجد في القاعة أي مقعد سوى المقعد الذي سيجلس عليه الوزير عندما يحضر، ذهبت لرؤية المقعد فوجدته ملوثا بقاذورات مقرفة، وكأنّي بهاتف يصيح بي: لو كان مقعد الوزير فلا تقبله وانظر إلى حاله...!)**، طبعاً في الصباح توجه فوراً وتقدم باستقالته، وتخلص من الوظيفة العامة، وتفرغ لدعوته ورسالته... وهذا شأن صاحب الهمة والعزيمة، تُقيدهُ الوظيفة العامّة، ويراها عبئاً يقيد حركته ومشروعه ورسالته، لكنه الآن بعد الاستقالة فتحت أمامه أبواب العمل الدعوي بكل مجالاته، وها هو انطلق بعزيمة فريدة إلى حيث يريد، في منهاجه التربوي مع المريدين، وفي نشاطه الدعوي والإرشادي والعلمي، لذلك كثيراً ما كان يقول: **(... وكان هذا القرار من أفضل القرارات التي اتخذتها في حياتي، إذ أنّ باب الرزق فتح لي على مصاريعه، وكأن الوظيفة كانت تحبس الرّزق عنّي، اتجهت لتجارة العسل وبيعه، وأراني الله عزّ وجل من عظيم فضله وسعة رزقه، الكثير الكثير... ثم قمت بفتح بقّالة عند بيت أهلي، وكان فضل الله عليّ عظيماً، إذ اشتريت شاحنة ثانية وثالثة، واستمرت تجارتي حتى يومي هذا من دون عظيم جهدٍ أبذله من وقتي وبدني).**

البَابُ الرَّابِعُ

وفود المتصوفة الأدعياء: المرحلة الأصعب

رأيت عاشق النور مكروباً، وأخذ يحدثني عن أشكال المتصوفة الذين وفدوا على السيد الشريف، بعد انتشار نبأ تنصيبه في الصحف والإذاعة والتلفزيون، كلٌ منهم يحاول أن يستميله إلى فهمه ونهجه، أويصبغه بلونه، أو يجعلَ نفسه وصياً عليه... وكانت أوقاتاً عصيبة مرّ بها السيد الشريف بعد تنصيبه، فقد كان يحاول لملمة أوراقه ويعيد ترتيب أولوياته لينطلق بدعوته وفق منهجه الذي اختطه لنفسه، وإذا به يتفاجأ بهذه الأنواع الغريبة من المتصوفة، وقد أذهله هذا التنوع الغريب والعجيب، ولم يتخيل وجود هذا التنوع من أدعياء التصوف في هذا البلد، مما أصابه بغمّ وهمّ مقلقين، وجعله يكتشف حجم المشكلة التي أمامه، وحجم الإصلاح المطلوب منه لقلب المفاهيم المغلوطة عن التصوف عند الناس، يقول السيد عن هذه المرحلة وهو في غاية الأسى والحزن: **(منذ تسلمت الإرشاد في الطريقة، واجهتني معضلات شتّى، كان في مقدمتها منذ أعلنت الصحف والإذاعة والتلفزيون نبأ تنصيبي، حتى تهافت عليّ أناس غريبون عجيبون، وفوجئت بنوعية كثير من أدعياء التصوف في البلد، مما أصابني بغمّ شديد، للحال التي وصل إليها التصوف، بعدما كان يملأ الدنيا عدلاً، وسلماً، وعزة، ومنعة، وخلقاً، وتقوىً، ودفاعاً، وجهاداً، وضياءاً، هل يعقل أن يكون هذا هو تصوف البصري؟ هل هؤلاء يفهمون تصوف صلاح الدين والبدوي والسنوسي وعمر المختار والمهدي؟ بل هل هذا هو تصوف أجدادي**

سيدنا عبد الرحمن، وسيدنا خير الدين، ولماذا أبتعد هل هكذا كان أبي... لا والله! فما الذي حدث؟).

يقول لي عاشق النور سأحدثك عمن لم يرَ فيه نوراً وإنما رآه صيداً ثميناً لتطرفه... وممن جاءه بعض المتصوفة الذين يفهمون التصوف إنشاداً ليس إلا، ويتاجرون بهذا الإنشاد، بل ويزاحمون في إنشادهم على مقام الإرشاد، واختصروا الدين والتصوف بالإنشاد، ويتصنعون الوجد والأحوال من خلال الإنشاد، حتى تاهت الشريعة قبل الحقيقة منهم، وسقطوا حيث يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألم شديد ألمّ قلب السيد الشريف، كيف يُختصر التصوف في إنشاد؟ وكيف يقبلُ المسلمُ الصادقُ هذا الاختصار؟ ونحن في زمن نحتاج فيه إلى كل جهد لإعادة نهضة الأمة! يقول السيد الشريف: **(أرجعت البصر مراراً وتكراراً فرأيت عجباً... أتاني من يفهم التصوف على أنه الإنشاد ولا شيء سواه حتى همس لي أحد المنشدين بعد أن أنشد في مجلسي قائلا المنشد مرشد! ثم فهمت لاحقا من أحد أقرانه أنه كان عليّ أن أعطيه أعطية لقاء إنشاده).** هل شعرت معي بمعاناته مع هذه المجموعة...

اسمع معي إلى هذه المجموعة المسكينة... فممن جاءه بعض المتصوفة الذين يفهمون التصوف على أنه ذكر جماعي فقط، أو حلقاتُ ذكرٍ يومي يتمايل فيه الذاكرون بادعاء تواجدٍ، واختصروا التصوف بالتمايل بالذكر والإدعاء، وقضاء الوقت بهذا التمايل، بعيداً عن العلم والفكر، وبعيداً عن همّ الأمة ونهضتها، ألمٌ هزّ الوجدان عند السيد الشريف، ولا يبقي معه للحليم سوى الحيرة من هذه الأنواع. يقول السيد الشريف: **(ثم أتاني من يفهم التصوّف على أنّه التمايل في الذّكر فقط من العشاء حتّى الفجر، ولاشيء سوى ذلك).**

يقول عاشق النور متألماً: أما أشد الأنواع إيلاماً فكان هذه المجموعات التي تحمل خللاً عقائدياً، الذين يفهمون التصوف على أنه أحجبة وتمائم، ولا شيء سوى ذلك. كما لم يخل الأمر من المسترزقين بالتصوّف، والأدهى من هؤلاء، من جاءه منهم يريد التصوّف لمعرفة الغيب ودفع أقداره وسلبياته عنهم. وهؤلاء من أشد الأنواع إيلاماً، لأنهم ذهبوا بالتصوف لمناطق مريبة، تلقي بهم إلى بعدٍ عن الله وعن رحمة الله، كما تنفر الناس منهم ومن أفعالهم.

وممن جاءه بعض المتصوفة الجهلة والأميين الذين لا يفكّون الخط، ولا يعرفون حتى نواقض الوضوء، ويدعون أنهم من العارفين بالله، مع أنهم في ضَلالهم يعمهون، وغيرهم وغيرهم... والذي كان يدل على سوء حالهم أنّهم في أغلبهم لا يحللون ولا يحرمون، بمعنى أنّهم لا يقفون عند الحلال والحرام، بل أنّ بعضهم لا يصلّي أصلاً.

وممن جاءه بعض المتصوفة الذين يأتون العرّافين والدجّالين، على اعتبار أن العرافة من التصوف...

والتصوف براء من كل هذه الأنواع والنماذج المؤذية لمنهج التصوف، والمنفرة من الدين الممهور بلونهم، وممن لايضبط أمورهم الشرع ومنهاجه.

يقول عاشق النور مسترجعاً الآفاق الرحبة للتصوف الصحيح ولمعانيه، والتي تألق فيها أعلام التصوف في التاريخ الإسلامي: طبعاً التصوف الحق هو الذي يعتني بتزكية الأخلاق، أو هو مرتبة الإحسان من الدين، أو هو مقامات الإحسان كحب الله ورسوله... يقول السيد الشريف: **(كنت أردّد دائماً إذا كان هذا التصوّف! فأين هو من**

الإحسان؟ أين هو من الأخلاق؟ أين هو من الأمة وحالها؟ أين هو من التزكية؟ أين هو من جهاد النفس والهوى والشيطان والأعداء؟ أين هو من حبّ الله وحب رسول الله؟ أين هو من الشوق؟ أين هو من الامتثال؟ أين هو من الذكر الحقيقي؟ بل أين هو من الفكر؟ أين هو من مخالفة النفس والهوى؟ أين هو من الزهد؟ أين هو من الأنس بالله؟ أين هو من مقامات التصوّف من: خوفٍ ورجاءٍ، وقبضٍ وبسطٍ، وصمتٍ ودعاءٍ، وتذلل وإنابةٍ، وورعٍ وتقوى، وصدقٍ وإيثارٍ، وإخلاصٍ ويقينٍ، وغير ذلك من المقامات... هذا ما أعرفه عن التصوّف فأين هؤلاء من التصوّف؟ وكيف السبيل للمضيّ قدماً في الدعوة مع هؤلاءِ؟ وهل سأتمكن من أداءِ رسالتي وسط هؤلاء؟ المصيبة كانت هي بأنّ كل صاحبِ تصوّرٍ عن التصوّفِ من هؤلاءِ كان يسعى لفرض تصوراته عليّ وعلى الطريقة، ويريد صبغي بلونه).
وكان لا بدّ للسيد الشريف من أن يبادر بحزم مع هؤلاء جميعاً، إما السير معه على منهاجه، وإما التنحي عن طريقه، وسجل التاريخ بعضاً من المواقف الحازمة للسيد الشريف، أثبتت للجميع أنه لا يهادن أبداً في دين الله، بل إنه ثابت صلب في أمور الدين ومنهاجه....

البَابُ الخَامِسُ

منهجية الطريقة: الزاوية – المثابة – الجمعية

ما زالت أجواء عجلون جميلة، وتشعب الحديث مع عاشق النور، وللحديث شجون، سألته عن القرارات الصعبة التي اتخذها السيد

الشريف، بعد هذه المعاناة الشديدة مع الدخلاء على التصوف والذين حاولوا جرّه إليهم وصبغه بلونهم النشاز... وما هي الأطر العامة التي أثبتها لمنهجه وطريقته فيما بعد؟ والتي اتخذها أساساً لدعوته ومنهجه؟

قال لي والفرح يغمر مُحياهُ، والبشر والسعادة تملأ جوانحه: يا أخي! كان السيد الشريف قد أدرك حينها أنّ الواقع يُحتمُ عليه أن يبدأ من الصفر، وأن يثبت على دعوته كما فهمها عن أجداده، ومن والده، ومن مطالعاته لسيَرِ أعلام التصوفِ، وبما يُرضي الله مهما كان الثمن، شاءَ من شاءَ، وغضبَ من غضبَ. ومن الواضح أنّ رضى الله سبحانه وتعالى، كان ولا يزال هو الفيصل لكل أفعاله وتطلعاته وغاياته، وتطلب منه هذا القرار، إزاحة كلّ من يحملُ فكراً ضالاً أو عقيدة منحرفة، أو إصلاحَه ما استطاع. وبدأ بصياغة منهجيةٍ جديدةٍ للطريقةِ، مستمدّةٍ من مبادئ الكتاب والسنة، ومن سير أعلام التصوّف، تماماً كما كان عليه حال أجداده رجال السند ﷺ، من دون مجاملةٍ لأحد، وبدأ بتثبيت المنهجيّة وإعداد الرّجال لحمل الفكر الأصيل، وطرد كل من يخالف ذلك النهج، أو كل من حاول تحويل المسيرة عن منهجها، وشرع بعمل المحاضرات والدروس، والوعظ والإرشاد، لإعداد جيلٍ جديدٍ مبني على الفهم السليم للتصوّف بكلّ أبعاده، واستغرقه ذلك عشرين عاماً من عمره وعمر الدعوة والإرشاد، وهذا ليس كثيراً على دعوة تريد أن تشقّ طريقها، في سبيل صلاح الدّين والمجتمع.

عام ١٩٩٠م بدأ ببناء الزاوية في منطقة بيادر وادي السير، على الأرض التي اشتراها سابقاً، وكانت الإمكانات متواضعة، وعند الشروع بعمل المخططات تولدت لديه فكرة كاملة عمّا يريده من دعوته، للعودة بالتصوف إلى قواعده الأصيلة في عمله التربوي والإصلاحي والدعوي ونفعه للمجتمع. ورفع مجموعة من الشعارات

كان عليه أن يطبقها في السنوات العشر القادمة، وكان له ما أراد، فأعانه الله على تطبيق شعاراته وأحلامه، أما الباقي من أحلامه، فما زال أمامه الوقت لتنفيذه بإذن الله تعالى...

أولاً: بناء الزاوية: الركن الشديد (مركز انطلاق الدعوة):

قال عاشق النور: تعال بنا إلى المكان الأرحب والأجمل، إلى الحضن الدافئ، إلى المكان الذي يزدحم بعشاق النور، إلى الزاوية التي فيها كل النشاط التربوي والدعوي... غادرنا عجلون متوجهين إلى البيادر في عمان، وفي الطريق سرد بعض التفاصيل عن عملية البناء والتمويل، ومما رواه لي: أنّ السيد الشريف وضع كل ما تيسر له من مال في هذا البناء، بل وقسّط باقي ثمن الأرض على نفسه، كما روى لي: أنه كان لجميع أبناء الطّريقة حينها دور في تمويل البناء أو المساعدة في تأمين التمويل، وكان أكثرهم حماساً لذلك سيدي أبو عدنان النّتشة، الذي استغلّ علاقاته الجيّدة مع التجار وأصحاب رؤوس الأموال الخيرين لدعم المشروع. بدأ العمل في البناء بهمة عالية عام ١٩٩٠م، وكان السيد الشريف يسابق الزمن في عملية البناء، وكان هو نفسه يعمل بمعدل ثماني عشرة ساعة في اليوم، وبطاقةٍ جبارةٍ، وكان يقوم بكل الأعمال في الموقع: من إدارة العمل، ومراقبة التنفيذ، وتأمين التمويل، ومتابعة العاملين، والعمل بيده أحياناً كثيرة وكلما توفر لديه الوقت.

يقول عاشق النور: ومن المفارقات، وهذا من توفيق الله تعالى، أن العمل لم يتوقف في المشروع طيلة سنتين من ثلاث سنوات مدّة البناء، إلا مرة واحدة مع أنّ حجم البناء كان كبيراً، وعندما أتمّ بناءَ الطابقين

الأولين، ثقل الحملُ عليه، وتراكمت الديون كثيراً، وأصبح أصحاب المهن يطالبونه بمستحقّاتهم، فأشار إلى سيدي أبو أحمد (مراقب العمل) أن يوقف جميع العاملين لقلة ذات اليد! وجرى تبليغ العاملين بذلك، وذهب السيد الشريف في اليوم نفسه لزيارة مقام النبي يوشع عليه السلام في جبال السلط، ويعتبر هذا النبي الكبير ذا قلب رحيم، فقد رحم الله السيد الشريف بسببه، وفرّج الله عنه كربته، فهو نبيّ حمّال للكرب يُستشفع فيه إلى الله تعالى عند الأزمات وطلب الحاجات، هل سمعت السيد الشريف يحدثنا يوماً عن هذا الكرب، ليعلمنا كيف فرّجه الله عنه. اسمع معي سرده يحدث بفخر عن هذا المقام الذي فرج الله ببركته ذلك الكرب: **(ومن هناك لجأت إلى الله تعالى وتضرّعت إليه، وشكوت له ضيق حالي، رجعت إلى البيت مثقلاً بالهمّ، وفي الليل وعند وقت السحر، رأيت جدي رسول الله ﷺ يجلس في الزاوية في المكان الذي خصّصته لقراءة الأوراد، وكان قد بُنيَ وقتها، ويجلس على يمينه سيدنا عمر وعلى شماله سيدنا أبو بكر، دخلت إلى الزاوية على ثلاثتهم وهم جالسون ولا زلت أذكر وصف جميعهم، ثمّ انكببت أمامَه ﷺ بكلّ أدب ووقار، ومن هول الموقف طأطأت رأسي باتجاه حِجرِهِ، ولم أنبس ببنت شفه، وبعد لحظات من الصمت قال لي بالحرف الواحد: (أريد أن أبعث لك لإتمام الزاوية)، في هذه اللحظة (دخل علينا سيدي اسماعيل علقم) وانتهت الرؤية، واستفقت من نومي. وعند صلاة الفجر حضر سيدي أبو أحمد لأداء الصلاة معي ومع إخواننا، فقلت له بالحرف: (بلّغ جميع العمّال بالعودة إلى العمل)، قال: (إن شاء الله تيسّرت؟) قلت له (نعم!) ولم أحدثهُ بشيءٍ، ولم يكن في جيبي شيءٌ من المال حينها، إلا الثقة بوعدِ رسول الله ﷺ.**

عند الظهيرةِ ذهبتُ إلى موقع بناء الزاوية، وصعدتُ على أعلى موقع في البناء وصليت الظهر، وما أن أنهيتُ الصلاة، والموقع يطل

على الشارع، وإذا بسيدي محمد قيسية شافاه الله ينزل من سيّارةٍ وبرفقته شخصٌ، نزلت لاستقبالهم فعرّفني على الزّائر، وكان الحاج حسن عاشور رحمه الله وهو من تجّار عمّان المشهورين، قال لي: (ما هو مشروعكم؟)، فسِرتُ معهُ في المشروع أشرح له عن مكان المسجد والزاوية ودار الأيتام ودار القرآن. ثم رجعنا إلى الشارع فتناول دفتر شيكّاتهِ، وكتب شيكاً لا أعرف قيمته، وقال هذه مساهمة منّي في مشروعكم وناولني الشيك، وعندما استلمت الشيك لم أنظر في قيمته بل أذهلني الحال وسرعة المدد، ونزلت من عيني دمعتان حرّتان سقطتا على ورقة الشيك، فما كان منه رحمه الله إلا أن سحب الشيك من يدي وقال لي: ماذا بك؟ قلت: لا شيء! قال: وما هذه الدموع؟ قلت: لا شيء. فأقسم بأنه لن يتركني حتّى يفهم ما جرى، فأخبرته الرؤيا وأن دمعي نزل بسرعة تنفيذ الوعد من رسول الله ﷺ، وفجأة فإذا بالرجل يجهشُ بالبكاء ويكاد يطيرُ فرحاً، وهو يردد: أنا! أنا أكون وعد رسول الله! ثم مزّق ورقة الشيك التي بيده، وقال لي كم هي ديونك؟ قلت له كذا، فكتب القيمة كاملة، وقال لي: لا تتوقف عن العمل، وعلى رأس كل شهر، وكل ما عليك من التزامات سأدفعها لك. وبقي جزاه الله خيراً على ذلك حتّى تمّ بناء الزاوية).

قال عاشق النور وأنا أرى على وجنتيه دمعتان دافئتان: كانت سنوات البناء تلك، سنواتٍ مفعمة بقرب السيد الشريف، أمضاها إخواننا حوله، بمتعة وذهول مما يشاهدونه من التأييد الرباني له، وللحميمية التي يرعاهم فيها، ولوقته الطويل الذي يقضيه بينهم، حتى إنه ربما أكل معهم لقيمات على حصيرة أو على حجر مرميّ بالجانب الغربيّ، أو تناول لقيمات وهو يعمل، وحباتُ العرق الجميل تتهادى على جبينهِ، وكانوا يشفقون عليه للجهد المضني الذي كان يبذله لإتمام هذا الصرح الجميل، وكانوا ينبهرون من طاقته الهائلة على العمل والعطاء،

لساعات طويلة من دون أن يشكو التعب، كان بجهده هذا يمنحهم الطاقة للعمل بسعادةٍ وفرحٍ ومتعةٍ...

يقول العاشق وقد ارتاح قليلاً وكأنه أرهق من هذه الذكريات... وفي الشهر التاسع من عام ١٩٩٣م، وفي ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، تم افتتاح الزاوية في حفل مهيب، حضره قاضي القضاة آنذاك الشيخ نوح القضاة رحمه الله تعالى وألقى فيه كلمة، كما حضره وزير الأوقاف الدكتور عبد السلام العبادي، كما حضره جمع غفير من المدعوّين والعلماء والقضاة وشيوخ وأتباع عدد من الطرق الصوفية.

وصلنا الزاوية بعد طول السفر وطول الذكريات وحرارة أحداثها، وإذا بها في شارع الصفوة من حي الكرسي، ولماذا الصفوة؟ وهل تعرف أمانة عمان صاحب هذه الدار والزاوية وروادها؟ شيء ما يدور في القلب لا أجد له من الكلام ما يُفصحه! صعدنا الدرج إلى الفناء، وإذا بالدرج يسير بنا بزوايا متعامدة، وكأن السيد الشريف أحب من إخواننا أن يلقوا بما سوى الله خارج الزاوية، عند أعتابها على تلك الدرجات، ليدخل الواحد منهم إلى الزاوية وقد تخلص من الدنيا ومشاغلها وعوالقها، وتفرغ قلبه حسياً للصلاة وللذكر وللتواصل، وهكذا سهّل السيد الشريف على أتباعه الخشوع في الصلاة أو الذكر، أو سهل عليهم الصلة بالله تعالى، كمعنى من معاني الصلاة والذكر، او سهل عليهم ذكر الله خالياً لتفيض عيناهم، او سهّل عليهم سرعة التذلل بين يديّ الله تعالى، أو سهل عليهم التزكية والإنابة وسرعة الأوبة لله تعالى... فلسفة رائعة تبناها السيد الشريف في بناء الدرج بهذا النمط، ليصل المريد في داخل الزاوية إلى ما يرضي ربه عنه...

في الداخل احتار فكري، وتاهت نواظري، فبهذا النمط المعماري كأنني في حاضرة من حواضر الإسلام السابقة كالقدس أو دمشق أو القاهرة أو بغداد أو الأندلس، ورائحة الصالحين من الجدود تعبق في المكان، ما هذا الألق الوضيء في هذه الرحاب؟ نعم...أحسن وأبدع السيد الشريف بهذا البناء، والكل هنا عاشق ولهان، في كل ركن وعند كل سارية عاشق للنور، وأول ما لاحظته، ذلك المحراب الجميل الأخاذ، في سكونه وهدوئه، وكأنه في حالة سكر أو غيبة أو أنه نشوان، تعوّد سماع القرآن غضاً من حنجرة السيد الشريف في رحابه، وتعوّد الترنم معه فيما يلقيه من آيات بديعات وأنغام طيبات، عذبة تلك الآيات عندما تسمعها منه في ذلك المحراب، وكأنّ هناك تناغما بينه وبين السيد الشريف، وسعادته كبيرة عندما يدخله، إذ يتنبه ويُنصت ويُصغي ثم يسكر ويغيب... نعم إنه حَجر لكنه يهبط من خشية الله، ولهذا متى جئته تراه في سكرة مما سمع، أو غيبة مما اعتراه. ثم التفت إلى المنبر فإذا هو عاشق آخر، قد ذاب حباً وغراماً، يطرب في يوم الجمعة من كل أسبوع، وكأنه على موعد مع معشوقه، ومن شدة عشقه ووجده تراه واقفاً منتصباً، يرنو ذات اليمين وذات الشمال، يخاف على معشوقه فيبقى في لهفته حتى يعتليه، فيبقى في طرب وغناء مستمرين حتى يودعه للجمعة التالية، وإذا غاب عنه في إحدى الجمع، تراه مكفهراً منقبضاً، ويغصّ إذا صعد عليه غير حبيبه، ولا يدعه يقف مكانه، بل يوقفه عن العتبة الأدنى، إشفاقاً منه عليه، ويبقى في وجل وألم حتى يعود إليه... ورأيت هناك عاشقاً آخر في الأعلى، قبة جميلة ترمي بحنانها عليه وعلينا، وتشفق عليه، فإذا نام الجميع فلا تنام، ولا تهدأ حتى تراه أو تسمع صوته أو ترمق ظله، وإذا رأته في المحراب تخشى عليه، وتديم النظر إليه، وتصغي كما الجميع إليه، لكنها بشوق أبداً لضمة صدره أو لمسة كفه، لكنها من فرط حبها تخجل منه، فتبقي على

مكنون حبها ولا تبوح به... وهناك في ركن خفي يقبع سبيلٌ للماء هادئ وجميل، يرقب عن قريب حركة النور أودخوله وخروجه، مراقب صامت ومستكين، لكنك إن أصغيت إليه، تسمع منه أعذب ألحان الغرام، وكلما امتلأ عشقاً بادر فمنح محباً أو ظامئاً بعضاً من شرابه المعتق، ويبقى في ركنه يسقي كلّ المارّين به ولا يملّ، ولا يجف، فقلبه مليء أبداً بالعشق، ومستعد دوماً لمنحه لمن طلبه أو رغب فيه... وكثيراً ما تجد أحد المحبين يتكئ عليه ويحادثه بصمت أو همس أو يبثه آهة تنهيد.

ما هذا المكان الفسيح! كلهم هنا عاشقون للنور، فسألت صاحبي كيف تحول هذا المكان من حجر وطين، أو خشب ونسيج، إلى قلبٍ ينبض، وروحٍ تعشقُ وتحسّ بأنين؟ قال: يا صاحبي كل الجمادات تحبّ النور، وتتناغم معه وهذا ليس جديداً، بل نحن لا نفقه هذه اللغة ولا هذه المشاعر، ألم ترَ حجراً يتدحرج؟ إنه بالنص القرآني يهبط ويتدحرج من خشية الله، ألم يطرب جبل أحد ويتحرك وجداً لمّا صعده الرسول وثلاثة من أصحابه...

وبنيان الزاوية وصرحها المهيب يزاحم مريديه على حبه، لكنّ عشق البشر له قصة أخرى أرقّ وأجمل!.

ثانياً: مثابة دار الإيمان لرعاية وإيواء الأيتام

(والتفاعل التام مع المجتمع واحتياجاته):

يقول عاشق النور متفاخراً بما أنجز محبوبه: لا يصحّ الإيمان من دون الاهتمام بهمّ المسلمين، أو التواصل مع الجيران والاهتمام لهمّهم،

أو متابعة احتياجات المجتمع المحيط والتفاعل مع معاناته، ومن جيشان هذا الهمّ عنده، والرغبة الشديدة في مساعدة الآخرين، وسعادته التي لا يخفيها عند بذله المساعدة لمن يحتاجها..توجه السيد الشريف للعمل الاجتماعي والتطوعي، وليقينه أن دور التصوف لا يكتمل إلا بالعمل الإجتماعي التطوعي في محيطه وحسب المتاح، وعندما وجد أن كلفة بناء الزاوية ستكون مرتفعة إذا اقتصر دورها على الصلاة والذّكر فقط، تبادر إلى ذهنه أن يجعل فيها مكاناً لرعاية وإيواء الأيتام، ليعمّ النّفع، ويمسح دمعة حرّى عن وجه يتيم، وهو ما كان. يقول السيد الشريف عن بدايات هذا المشروع: **(قدمني حينها أخي محمد إلى وزير التنمية الاجتماعية آنذاك الدكتور محمد الصقور، وشرحت له الفكرة وتفهمها بشكل جيّد حتّى إنه قال بالحرف، مما يدل على وعيه بتاريخ العمل الاجتماعي، قال: نعم! من الطبيعي أن يقوم شيوخ في الطرق الصوفية بأعمال اجتماعية، وقد كانت ناجحة عبر السنين... فقمنا بصياغة نظام داخلي للدار، ووقعت وإياه على اتفاقية تعاون بين الدار ووزارة التنمية الاجتماعية، نشرت في الصحف، وكانت الأولى من نوعها في الأردن وسميتها: (مثابة دار الأيمان لرعاية وإيواء الأيتام) وتعبير (مثابة) كان اقتراحاً من أخي (محمد) على اعتبار أنه مكانٌ للمثوبة والأجر).**

ويتابع السيد الشريف: **(وفي بداية العمل كانت النيّة تتجه لأن يقوم أتباع الطريقة بالنفقة على الدار، إلا أن إقبال الناس وإعجابهم بهذا العمل جعلهم يعرضون التبرعات، إلا أننا لم نكن قد تنبهنا لهذا الأمر ولا يجوز بالقانون جمع التبرعات من دون إيصالات، فقمنا بعمل نظام قبول تبرعات لا جمع تبرعات، وحصلنا على موافقة التنمية على ذلك، وبدأت الدّار باستقبال الأيتام مطلع عام ١٩٩٤م).**

يقول لي عاشق النور مبتهجاً: أنشأت المثابة وقامت على فكرةِ إيواء اليتيم ورعايته الرعاية الأسرية، من خلال طرح مبدأ المخالطة الذي ورد في القرآن الكريم لحلّ عقد ومشاكل اليتيم، وقد تعامل الشرع مع اليتيم كظاهرة اجتماعية، لها مشاكلها ولها عقدها، وطرح لنا القرآن الكريم المنهج الربانيّ لمعالجة هذه الظاهرة، وكيفية مساعدة اليتيم لحل عقده، والخروج منها إلى المجتمع. فقه السيد الشريف هذا المنهج وتبناه في المثابة كمنهج ربانيّ للتطبيق، بل وتحمس له وسار به إلى النهاية، حتى آتى أكله وثبتت فاعليته، وكان إنشاؤه للطابق الأوسط في مبنى الزاوية، حاضناً وملاذاً لهؤلاء الأيتام موضوع المساعدة.

وبدأ التطبيق العملي لهذا المنهج، واستقبل السيد الشريف في المثابة الحالات الأصعب لتطبيق المنهج عليها وإثبات فاعليته، فقامت المشرفات بدراسة أحوال الأيتام بمساعدة مشرفين اجتماعيين، وتحديد العقد عندهم، فتبين أن لليتيم محلّ الدراسة، عقدة اليتم التي يشترك فيها مع أغلب الأيتام، كما تبين أن مشكلة الفقر وتدني الحالة الاجتماعية تولد عقداً ومشاكل نفسية أخرى، وهي بطبيعة الحال ناتجة عن الوسط الاجتماعي الذي أتى منه اليتيم. ثم اتخذ السيد الشريف طاقماً إدارياً دربه بإشرافه وتوجيهه، على بذل الجهد في حلّ هذه العقد، والمشاكل النفسية الأخرى، لأنه لا يمكن تربية اليتيم أو تعليمه كما يجب، أو تنمية مهاراته الكامنة قبل حلّ هذه العقد والتخلص من المشاكل والعقد النفسية المرافقة... ويبدأ حلّ العقد لليتيم أولاً بتلقينه الإيمان بالقضاء والقدر، لأنّ اليتيم أول ما يتبادر إلى ذهنه سؤالٌ ملحٌ: لماذا أنا الذي يموت أبي أو تموت أمي؟ وهذه أول العقد التي تنحل بالإيمان، ثمّ بمنحه الراحة النفسية بالسكن الهادئ والمريح، وإحاطته بالجو الأسري الطبيعيّ، والإصغاء له، والتودد إليه، وتأمين حاجاته ومتطلباته، ثم تبدأ المشرفة أو الأم البديلة، بكسب ثقته بحنانها عليه، وتفقدها لأسباب راحته، ثم تبدأ

عقدة اليتم تتفكفك وتنمحي منه أولاً، وهي أصعب العقد، بإحساسه أنه في جو أسريّ لايختلف عن باقي الأطفال، يرعاه فيه السيد الشريف كأبّ حاضنٍ له، يلمس منه الحنان والرعاية والمتابعة والخصوصية، ثمّ بإحساسه بالمشرفة كأمّ بديلة تمنحه الحب والرعاية والحنان والحنو دائماً، وتبدأ التربية السلوكية من البداية، لتخليصه من الألفاظ السيئة والسلوكيات غير المتحضرة، وتنحلّ عقدة الفقر أو الحاجة، نتيجة لتوفر الملبس الأنيق والمأكل المميز، والسكن المريح، ونتيجة لتأمين جميع حاجياته، وعندما تنحل جميع العقد النفسية وخصوصاً عقدة اليتم ويصبح طفلاً سوياً متوازناً، تبدأ عملية الترقية في تهذيب السلوكيات والتصرفات، لتتوافق والمنهج القرآني في الخلق السليم، بحفظ الحواس من الفحش والتفحش والسلوك النشاز. وتستخدم الإدارة والمشرفات عدة أدوات متاحة في التربية والتهذيب، أولها علاقة الأبوة من السيد الشريف معهم، وعلاقة الأمومة من المشرفات تجاههم، وهذه الأداة مهمة جداً ومفصلية، وقد أجادها السيد الشريف، ومن بعده أجادتها المشرفات. ثم هناك أسلوب الحوار الهادئ بدل الأوامر والتعنيف أو الضرب، وهذا الأسلوب أعطى نتائجَ مبهرة في سلوكيات الأطفال، وأظهر عندهم الشخصية المرنة والمرحة والعفوية، والأمر الأخير هو إعطاء الحوافز بدل العقوبات لتحفيزهم على حسن الخلق، أو أداء الواجبات المدرسية أو التفوق المدرسي... يقول السيد الشريف: **(وهكذا نجحنا في رسالة تربية الأيتام، إذ أنّنا عملنا على تطبيق منهج المخالطة في تربية اليتيم، وهو المنهج القرآني الخالد: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾، الذي جعل من مُخرَجات الرّعاية ظاهرة لفتت الأنظار، وصرنا محط اهتمام وزارة التنمية لنجاحنا في العمل).**

يأأخي... إنّ مبدأ الهجران أو النبذ أو التحقير والإهمال لليتيم، والذي نراه منتشراً كثيراً في بيوت الأيتام، أو حتى داخل الأسر التي فيها يتيم، هي السبب المباشر لظهور العنف عندهم، أوالبؤس في المجتمعات، أما أسلوب المخالطة الرباني، والحرص على عدم التعامل معه على أنه يتيم، بل على أنه إنسان سويّ كباقي الأطفال، ويملك إمكانات وطاقات كباقي أقرانه، كل ذلك أنتج في المثابة جيلاً جديداً واعياً ومدركاً وفاعلاً، ومتغلباً على عقده، بل ومنتجاً...

يقول عاشق النور مفتخراً: بعد هذه النجاحات الباهرة لمبدأ المخالطة القرآني، ترسخ عند الكادر الإداري للمثابة رقيّ هذا التوجه، لتميزه عن باقي المناهج المنتشرة، فصار عطاؤهم أقوى وأمضى... وبعد أن أتمّ السيد الشريف بناء المبنى الجديد للمثابة في منطقة أبو السوس، توجه إلى متابعة النهج القويم الناجح عند الأيتام، بطروحات جديدة تبني على ما سبق، فتوجه نحو السلوك والتزكية القائم على معالجة الآفات الباطنية، بعدما انتهوا إلى مراحل متقدمة من التوازن في الشخصية، وبعدما صار الأطفال رجالاً، وأصبحوا جاهزين للتخلص من آفات النفس الأمارة بالسوء، والإنطلاق نحو النفس اللوامة أوالملهمة، بل الراضية والمرضية في مدارج السلوك والمعرفة، وتم طرحه بداية عند الأطفال بمتابعته في صفات الغضب ورعونات النفس كالكبر والعجب وتحويلها إلى الصفات الحميدة، كالرحمة والمسامحة، وحب الخير للناس وهذا متاحٌ ولو كانوا صغاراً، بعدما تخلصوا من العقد واطمأنت نفوسهم واستقرت أحوالهم...

واليوم يا صاحبي... يتوجه السيد الشريف بكل ثقة من شباب المثابة، الذين كانوا رائدين، وأثبتوا تميزهم، وأصبحوا عشاقاً للنور مثل أقرانهم، ويطلب منهم بعدما استفادوا من المثابة وتخرجوا منها، أن

ينطلقوا بحمل الأمانة فينفعوا غيرهم من المسلمين في المجتمع، ولا يقتصر همّهم على نجاة أنفسهم وأسرهم فقط، بل عليهم أن يأخذوا بيد غيرهم نحو الفلاح والنجاح، ويحملوا همّ الدعوة كما شربوها على يدي السيد الشريف. وقد تبنوا الفكرة وحملوا الهمّ معه، ونراهم مشاعل مضيئة مع بقية الشباب كفاً بكف، وتحت كنف السيد الشريف، خلايا عمل متواصلة سيشع نورهم وعطاؤهم قريباً بإذن الله.

يا أخي... هناك طموح عند السيد الشريف في هذه الدار يسعى إليه، وقد اقترب منه كثيراً، بعد هذه السنين وهذه الجهود الكبيرة، وهو إخراج طاقاتهم وتفعيلها، وإظهار إبداعاتهم ومساعدتهم على إنجازها، وهذا بالمتناول إنشاء الله وضمن الهدف القريب، نرجوا أن تتحقق رغبات السيد الشريف فيهم، ويؤجر الكادر الإداري على جهوده معهم.

يقول عاشق النور: عملٌ على الأيتام بُذل منذ زمن، وكان كبيراً جداً، وهوعند الله تعالى عظيم، وأثره في المجتمع عظيمٌ، لفت هذا الجهد الأنظار إليه لتميزه ولنجاحه ولتألقه، ولكونه التطبيق العملي لمنهج القرآن الكريم، وعلى يد شيخ من آل البيت الأطهار، أينع وأزهر وفاحت عطوره، وما زال في جعبة السيد الشريف الكثير الكثير لإثراء هذه التجربة، ورفدها بإضافات وطروحات كثيرة وكبيرة، ليجعلها نموذجاً يحتذى وقربة زكية إلى الله تعالى ورضوانه...

يقول عاشق النور - وقد حرّك كوامن وجده ذلك النبض الآتي من هناك - يقول متأثراً: مثابة دار الإيمان، عاشقة للنور ظهرت ولاحت، ووصل بريق نورها خلف الآفاق، عشقت النور وغنت بحبه أعواماً، ولم تبخل عليه بحبها وعطائها، كما لم يبخل عليها وعلى أولادها، ولشدة وجدها به حضنت له عشاقاً للنور صغاراً، ينظرون بلهفة وشوق وحنين إلى السيد الشريف، مع أنهم لا يبوحون، وينتظرون إطلالته كل

يوم، عسى يأتيهم ويمرر على أجسادهم الغضة نور عينيه اللامعتين، فتدمع عيونهم لطلته، ويبتهجون لمرآه، ويرقصون طرباً إن حياهم، أو رمقهم، أو ناغاهم، ولا يبوحون... إن تأخر عليهم يوماً يتألمون ألم العشاق الوالهين، يعشقون لأجله الورد والريحان، ويحبون لأجله كل العصافير، ويلونون بحبه كل الصور بكل الألوان، قلبهم الصغير، عشق واضطرب منذ الصغر، فكبروا به وبحبه، وتسابقوا إلى رضاه وتحلقوا حوله بحبٍ واشتياق، منهم تعلمنا العشق والوداد والغرام، ومنهم تعلمنا كيف نكون به كباراً، ومنهم تعلمنا أن نُحبّ لأجله كل الناس، ومنهم تعلمنا حب الله وأنبيائه وأوليائه، لو يعرف الناس كيف يحبّ الصغار، وكيف يخفق قلبهم الصغير! وكيف يغنون للنور والأكوان، نعم... عاشقة للنور كانت المثابة، وحضنت عشاقاً والهين متلهفين، وعلمونا جميعاً أن نكون بعشقه إخواناً...

ثالثاً: إعداد جيل من الدعاة:

مما يثلج الصدر ونحن نتنقل في الزاوية أن ترى بعض روادها يملؤونها حركة وذكراً وعملاً، فسألت صاحبي، ما شأن هؤلاء الفتية والشيّاب، وما هذا البِشرُ يلوح على مُحياهم؟ وما هذا النشاط الذي يكحل أبدانهم؟ قال لي مبتهجاً وهو يسلم عليهم بحرارة: هؤلاء مجموعة من المريدين المخلصين، ممن وفدوا على الزاوية، وشدّهم النور إليها، جاؤوها من كل فج وبلد وحيّ، إذ تنوعوا بأعمارهم وثقافتهم وميولهم، لكنهم كلهم عاشق للنور أبداً، تربوا على يد السيد الشريف وتحت نظره وفي كنفه، كما تبنّوا أسلوب الدعوة وفق المنهج الذي اعتمده السيد الشريف وارتضاه لأتباعه، وقد قام بتكثيف المحاضرات والدروس لهم، ليشرح لهم المنهج الدعوي، حتى وعى الجميع منهجه وفكره، والعجيب أنه لم يجعل منهم نسخاً متماثلة، بل جعل منهم نماذج متنوعة تحمل

نفس المنهج والفكر، وهذا لا يقوى عليه سوى شيخ مُربٍّ حاذق، كما أنه لم يكن يسعى لنشر المنهج أو الدعوة خارج الزاوية، بل كان ينتظر ريثما ينضج المنهج عند المريدين، بالفهم والإدراك أولاً وبالتطبيق العملي ثانياً، وانتظر حتى ينضج حملته ويشتدّ عودهم، وحتى تكتمل البنية التحتيّة بالصّورة التي خطّط لها، وكان كلما سأله أحدهم عن توسيع دائرة الدعوة ونشر المنهج، كان يقول له: **(الإسلام بحاجة إلى الدعوة! أما التصوف فهو اختصاص).**

وحين تنظر إلى هؤلاء المريدين ترى قلوبهم مفعمة بالحب والرحمة والحلم، وكأنهم رجال من نور، أو طبخوا على نور، إنهم فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى، وربط السيد الشريف على ألسنتهم ومنعهم من الدعوة لمنهج التصوف... وعاشوا في الزاوية كعشاقٍ للنور، وامتلأت جوانحهم بهذا العشق حتى استفادوا ثم فاض وأفاد، وعندما فار التنور، وظهر الجناحان على بدن طيور الزاوية، واكتمل نموهم ولم يعد عودهم طرياً، وصاروا جاهزين لصروف الدهر، أطلقهم الشيخ للطيران في الآفاق، وجاء الإذن لهم من السيد الشريف بالانطلاق للدعوة على بصيرة، بعد أن تشبع المريدون بالحب لله وما والاه، والرحمة للأمة كلها، والحلم على الصغير والكبير، والغيرة على الدين وعلى حرمات الله، والهمّ لأوجاع المسلمين وآلامهم، وبعد أن تزكت نفوسهم، وتخلصوا من متطلبات النفس ورغائبها، وبعد أن تخلقوا بأخلاق الأنبياء والصالحين، وتمرسوا على التحمل والتضحية والعطاء...

سألت عاشق النور: كيف ربى السيد الشريف أتباعه وأحبابه واستنقذهم من أجواء هذا الزمن الصعب الذي نعيش مساربه؟ وكيف استطاع أن يأخذ بأيديهم وينقذهم إلى النور؟ قال وهو يهز رأسه بحبور:

هذا فنّ أتقنه السيد الشريف وبرع فيه، فقد تعلم من والده ذلك المنهج في التربية، وتعلم منه كيف يربي ساداتنا مريديهم، حتى يكونوا حملة رسالة الدعوة بين الناس على بصيرة، وحتى يكون سلوكهم وطهارة قلبهم، محط إقبال الناس على الدين وحبّ الدين، وقد اتبع السيد الشريف عدة محاور ركز عليها في تربيته للمريدين، أتذكر منها:

الإخلاص:

أي تصحيح النية لله عند المريد، وحتى يكون توجهه لله وحده ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾، ويحث المريد على أن يريد الله عز وجل بجميع أعماله وأفعاله وحركاته كلها ظاهرها وباطنها لا يريد بها إلا الله وحده، ويُعلمه المراقبة وإتقان فنّ الإخلاص، ليكون أكثر قرباً من الله تعالى وليكون عمل المريد وإقباله خالصاً لوجهه الكريم. كما يعلمهم الإغماض عن رؤية الأعمال، لأن العمل الصالح يرفعه، فمتى رأى العبد العمل، كان هذا العمل في العين أو في النفس، أي أنه بقي في الأرض، ولم يرفع إلى السماء.

الحب والإمتثال:

سمعت عاشق النور يقول مغرداً: يعتبر الحبّ نهاية لما قبله من أعمال الإسلام كالعبادات والعلاقات، مثل بر الوالدين وصلة الرحم وحسن الجوار... ونهاية لما قبله من أركان الإيمان الذي يتولد عنه حب هذه الأركان بعد الإيمان بها، فيبدأ بعد ذلك الحب الذي ينقل قلب صاحبه إلى مقامات الشكر والرضا والقناعة والحلم والصبر وحب

الآخرة، وبينهما حب الله ومن والاه، وتتطور هذه المشاعر إلى مشاعر عملية تبدأ بالامتثال لله وللرسول وللعلماء وللصالحين وللأبوين وللمؤمنين، ثم يتطور هذا الامتثال إلى مشاعر التواضع لله وللرسول وللمؤمنين...وهكذا يكون الحب نهاية مرحلة وبداية مراحل لا تنتهي إلا برضا الله تعالى. وهذا هو المنهج الذي قامت عليه الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، وقام عليه منهج التربية الذي تبناه السيد الشريف في أتباعه.

الذكر والفكر:

وذلك بكثرة الذكر مع إعمال الفكر والتفكر، لينشط القلب ويحيا ويطمئن،لأن الذكر القليل من صفات المنافقين، ﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ ليتعود القلب الحضور والمراقبة، والأنس بالله وحسن التعبد لله، وذلك بتنوع الذكر بين الجماعي والفردي والسري والجهري، وباللسان وبالقلب وبالنبض...

معالجة آفات النفس:

وهي آفات لا يخلو مسلم من أحدها ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ ﴾، وتبدأ المعالجة بالإقرار بوجود هذه الآفات ثم معالجتها بالذكر الكثير، وإذا أعْيَتْ المريدَ لجأ إلى طبيبِ القلوبِ، السيد الشريف ليصف له الدواء الناجع، حتى يتخلص من الآفة، وهكذا...

علاج أمراض القلوب:

يقول عاشق النور: للقلب آفات لا يخلو من بعضها أو جلها بشر، كالكبر والعُجب وحبّ الدنيا وحبّ الظهور وحبّ الرئاسة والإعجاب

بالرأي... وعلاجه بكثرة الذكر ومتابعة طبيب للقلوب للتخلص من هذه الأمراض.

وفي أحيان كثيرة يمرض القلب مما يرد عليه من الجوارح، إذا كان المسلم لا يراقب مدخلات جوارحه، أو قصّر فيها، كمدخلات النظر أو السمع أو اللمس أو البطن أو الفرج... وعلاجه بالابتعاد عن مجالس اللهو والسوء، ومجالس الظن السيء والريبة والغيبة والنميمة واللفظ الفاحش والقول البذيء، فلا بدّ من عملية تنظيف لهذه الآثار السيئة التي تملؤ القلب، بالذكر الكثير وتلاوة القرآن وبكثرة الأعمال الصالحة واختيار البيئة الصالحة والرفقاء الصالحين، حتى ينقى القلب ويصفو وتتفجر منه ينابيع الحكمة المتصلة بأصل الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

استحضار معاني العبادات:

حتى تؤتي العبادات أكلها، ينبغي تنمية المعاني والمشاعر والأحاسيس عند المريد، كي يُحسن الصلة مع الله تعالى في الصلاة، ويتعود صوم القلب عما سوى الله، أيام الصيام حتى يُفرّغ القلب لله وقت الصيام وعند القيام، أو يتعلم تعود بذل الجهد واحتمال الأذى من الآخرين أيام الحج، أو تعود الإنفاق حين إخراج الزكاة أو الصدقات، أو مراقبة السعادة عند ممارسة المريد لبرّ الوالدين ولصلة الرحم وعند إكرام الضيف أوزيارة المريض....

الخدمة:

وذلك حتى يتعود المريد التذلل بين يدي الله تعالى، لأن الخدمة تكسر في النفس نوازع الأنفه لغير الله، ويتم ذلك بالتعوّد على الخدمة

العامة والخاصة، كخدمة الزاوية والطريق والإخوان والأهل والجيران...حتى يعتاد المريد بذل الوقت لله، بخدمة أهل الله ثمّ خدمة الناس عيال الله، وهذا مهم جداً للمستقبل حين يخرج المريد للدعوة، ولأن العنوان الأهم للدعوة هو الخدمة، أي بذل الجهد لله في دعوة الناس، ولهذا يُسمي السيد الشريف نفسه: خادم الطريقة، لينبهنا إلى أهمية هذا البند في حياة الداعية. ولا يفلح المريد إلا بخوض غمار الخدمة، والشعور بأنه يتقرب بها إلى الله تعالى.

الهمّ العام وشحذ الهمم:

يقول عاشق النور: أهلُ الله هُمْ أهلُ الهمَم العالية، والتضحياتِ الكبيرةِ لخدمة الدين وأتباعه، ولا يصلح أمر الدعوة من دون همّة عالية تبذل للدين، وكلما تعلم المريد حمل الهمّ العام والشأن العام، كان أهون عليه في رفع الهمة عنده **(من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم)**، ويُعد السيد الشريف بين أتباعه ومريديه شاحذاً لهممهم دوماً. وهو بهمته وتضحياته الكبيرة نموذجٌ وقدوة لهم على الدوام، إذ جلّ وقته في خدمة الدين والشأن العام للمسلمين، وللطريقة وأتباعها ومنهجها. وكثيراً ما يقول السيد الشريف **(رجلٌ ذو همّة، يُحيي أمّة)**، وقد تعلم أتباعه هذا النهج منه، في بذل الهمّة لخدمة الدعوة والمسلمين. والزاوية والمرافق الأخرى هي كخلية النحل في العمل اليومي الدؤوب كل في موقعه، ويعطي ما يستطيع في الخدمة العامة.

المسارقة في الطباع:

وهو مبحث مهم في مسالك أهل الله، بالحث على الخلق الحسن، والتأسي بأخلاق الأنبياء والأولياء وآل البيت الأطهار، ونتلمسُ خطى ساداتنا رجال السند بالخلق الحسن، وبين أيدينا نور سيدٍ شريفٍ، نقتبس

منه هذه الأخلاق الفاضلة والحسنة بالمجالسة والمسارقة، وحسن الخلق مبني على حسن المتابعة للشيخ، وحسن التلقي منه. يقول عاشق النور: يبدو أن كل شيخ يصبغ أتباعه على نمطه وطباعه وأخلاقه، على قاعدة: (قل لي من تخالل أقل لك من أنت)، انظر إلى أتباع السيد الشريف، تراهم هادئين، متزنين حتى في أحوالهم وبكائهم، تراهم منضبطين، لأنه هو كذلك شأنه، وتراهم عندما يتحادثون لا يتصايحون ولا يرفعون الأصوات، بل بكل هدوء وسكينة يتحاورون، لأنه هو الشيخ كذلك شأنه، وعند تزاحم الأحوال في الذكر وتكاثر الواردات، تراهم هادئين هدوء البحر حتى تخالهم ساكنين، لكنه الشيخ هكذا شأنه... وهكذا صبغهم بصبغته، ولونهم بلونه، فهم كأنهم هو في هدوئه وسكينته ووقاره واطمئنان قلبه، لا جلبة ولا صخب ولا أصواتا شاذة أو أصواتا طائرة في الأوراد.

تحويل الصفات:

وهذا شأن مهم يعمل عليه السيد الشريف مع المريدين بحزم وإصرار، إذ لا يصح سلوكٌ من دون تحويل الصفات السيئة، كالغضب والحدة والشحّ والعناد والمشاحنة ونقل الكلام... إلى صفات حميدة، كالغضب لله والحلم والأناة والكرم وتحمل الأذى ونقل الكلام الطيب... لأن أصل الإسلام الخلق الحسن. وأسهل طريق لنشر الإسلام بين الناس حسن الخلق، وأقرب خط يصل بين المتخاصمين: الخلق الحسن، وأرق مشاعر تفيض من المؤمن لإخوانه: الخلق الحسن، حتى ذهب حسن الخلق بالأجر كله.

تفريغ القلب:

تفريغه مما سوى الله، مع عدم ترك متطلبات الدنيا، لأننا مأمورون بالاستخلاف فيها وإعمارها، بل نتعامل بجوارحنا مع الدنيا شرط أن يبقى القلب الذي هو محل نظر الله تعالى خالياً لله، ومن هنا جاء اسم الطريقة الخلوتية، **(ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه...)**. ويقول سيدنا عبد الرحمن الكبير قدست أسراره: **(قلبك بيت المالك، وهو أغير منك يا سالك).**

حسن الخطاب:

يقول عاشق النور وهو منتشٍ بحسن الخطاب عند السيد الشريف: وهذا مما يلح عليه السيد الشريف مع مريديه، أي حسن الخطاب للآخر، وهو منهج قرآنيّ بلين الكلام ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ ، وحسن الخطاب، وعدم التجريح بالكلام، أو بالغمز واللمز، أو التعنيف أو الفظاظة في القول. ويمثل السيد الشريف لأتباعه نموذجاً في هذا الطرح عملياً، إذ يقبل الآخر مهما كان فكرهُ، أو منهجهُ، أو فهمهُ، أو مستواهُ العلمي أو الاجتماعي، ويدعو إلى التلاقي مع جميع المسلمين على ما نتفق عليه وهو كثير، وترك ما نختلف عليه جانباً وهو قليل. والسيد الشريف وسطي في طروحاته، عملي في أسلوبه، مقبول عند الجميع... وهذا ما تعلمه أتباعه ومحبوه منه، فحملوا المنهج الوسطي والمعتدل على أنفسهم وبين الناس.

استعمال أدوات العصر:

وهنا يفخر عاشق النور بحبيبه وفهمه الراقي والعملي للإسلام: وهذا أمر تميز به السيد الشريف فطبقه على نفسه وعلى شؤون حياته،

ورغّب مريديه ومحبيه به، إذ لا يعقل ونحن في هذا العصر أن نعيش خارجه، وأن نبتعد عن مبتكراته وأدواته، بل يحث مريديه على العيش في عصرنا وبأدواته كلها، مع مراعاة الجانب الأخلاقي وعدم إهمال البعد الديني في استعمالنا لهذه الأدوات، كالخلوي والفضائيات والإنترنت، وأدوات المواصلات كلها، وأسباب الراحة في البيت والمجتمع إذا أتيحت، من دون التفاخر بها أو الهمّ لامتلاكها قسراً، أو دَيْناً، على قاعدة: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾، وقد تألق السيد الشريف في زمانه، فأصبح الإسلام جميلاً بين يديه، عملياً مناسباً عصرنا، ونحن نراه إسلاماً صالحاً للتطبيق في زماننا مع الفقه المناسب له، وذلك في تطبيقات شخص السيد الشريف له.

يقول عاشق النور: يا أخي! مع كل هذا الزخم الجميل في أرجاء الزاوية ومحيطها، ظهرت مشكلة مقلقة، فعندما اشتدّ عود دعوة السيد الشريف، بدأ الهجوم عليها من الخوارج أصحاب الفكر التّكفيري، وهجموا بكل قوّتهم وصلفهم، إذ كانوا يُكفّرون ويُبدّعون، ويفترون على الشيخ وطريقته ومنهجه الكذب، ويحاولون تشويه الصّورة بأعين الناس، وكان السيد الشريف يكتفي بالاحتساب عند الله، ويردد دوماً: **(حسبنا الله ونعم الوكيل)**، من دون مواجهة أو مصادمات، فتكلّلت أعمالهم بالفشل، بل وصار إقبال الناس على الزّاوية كبيراً حتّى ضاقت بالمصلّين، في الوقت الذي ضاقت دار الأيتام بساكنيها من الأيتام. ولمّا ضاقت الدار بالأولاد قام بالإعداد لبناء دار جديدة خاصّةٍ بالأيتام، تعدل مساحتها مساحة الزاوية بأكملها، وهو ما كان. حيث قام ببناء الدار على نفقته الخاصّة، وعلى أرض خاصّة له في منطقة اليادودة، وجرى الانتقال إليها في أواخر عام ١٩٩٩م. وجرى التوسّع في خدماتها بإدخال رعاية اليتيمات، بشقة منفصلة عن شقق الأولاد، وفي مكان

الدّار في الزاوية أي الطابق الثاني، جرى التوسّع لأداء الصلاة لرواد المسجد. وقد خرج في بناء هذه الدار في اليادودة عن كل ماله، وهذه عادة سنّها آل البيت، وبقيت عندهم منهاجاً، وهو الخروج عن مالهم لله تعالى في حياتهم، ولأكثر من مرة.

رابعاً: إنشاء جمعية دار الإيمان الخيرية:

قال عاشق النور متحيراً قلقاً: الهمّة عند السيد الشريف للعمل والعطاء لا أجد لها سقفاً، وبرنامجه التطوعي والخيري في تصاعدٍ مستمر، فكلما انتهى من عمل أو مؤسسة واطمأن لعملها، بادر إلى أخرى، فاليوم عنده على مدار العام، مليءٌ بالعمل والمتابعة والعطاء، وجعبته للعطاء ممتلئة حدّ الانتفاخ، لكنه ينتظر دوماً الوقت المناسب حتى يبدأ من جديد...ففي عام ١٩٩٧م، قام مع مجموعة من إخواننا بتأسيس جمعية دار الإيمان الخيرية لأغراض مختلفة عن مثابة دار الإيمان، وتحمل مجموعة من الأهداف، تؤكد من خلالها على مفهوم التضامن والتكافل الإسلامي، والتواصل مع حاجات ومتطلبات المجتمع وهمومه، والعناية بأخلاقه وقيمه وعلومه، ونشر علوم القرآن وفنونه.

ومن أهدافها السريعةِ كانت تقديم المساعدات النقدية والعينية للفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمعوقين. ولتحقيق هذه الغاية قام إخواننا بإجراء مسح ميدانيّ لمنطقة الروضة في الشونة الجنوبية في منطقة الأغوار لإحصاء المحتاجين في هذه البلدة، الأشدّ فقراً والمنسية بعيداً على تلال الطريق المتجهة إلى منطقة البحر الميت...

سألته بلهفة، ولماذا الروضة من دون المناطق الأخرى الفقيرة الأخرى المنتشرة؟ قال لي: صحيحٌ! هناك للاسم دلالة مهمة عند أهل الله، لكن لمنطقة الروضة قصة غريبة كانت السبب في تأسيس الجمعية،

وربّ ضارة نافعة، تعال معي إلى مجلس السيد الشريف، أظنه الآن يحدث بعض أتباعه عن قصة ولادة الجمعية... جلسنا في الزاوية بعد انتهاء الورد اليومي، وإذا بالسيد الشريف يقول: **(الروضة، حيث بنيتُ بيتاً في هذه البلدة للهروب إليه في الشتاء، من البرد القارس في عمان. وفي إحدى الليالي كنت وعائلتي نقيم في هذا البيت، وكان الأولاد قد طلبوا منّي وجبة شواء نتناولها في دفء الأغوار، وفعلاً أوقدت النّار في فناء البيت ووضعت اللحم عليه، وما هي إلا دقائق حتى عمّت رائحة الشّواء المكان، ولحظة! وإذا بحجر يسقط علينا... تساءلت في نفسي من أين أتى هذا الحجر؟ يبدو أن أحد الأولاد اشتم رائحة الشواء، فاستفزه الجوع أو الحرمان... راح فكري باتجاه بعيد، وشعرت بذنب كبير، إذ كيف أرسلُ رائحة الشّواء في بيئة محرومة؟ تنبهت لحظتها أنها ربما لا تقوى على شراء الطعام، ناهيك عن اللحم... في اليوم الثاني شرعت في تأسيس الجمعية، وفور اعتمادها شكّلت فريقاً لعمل مسحٍ ميدانيّ للقرية بأكملها، وكانت النتائج مفجعة بل مخجلة... وعلى الفور قمت بالتنازل عن ملكيّة البيت للجمعية، وقمنا بتوسعته حتّى صار بالشكل القائم اليوم).**

قال عاشق النور وهو يُكبر مبادرة السيد الشريف: حالة وجدانية راقية، مرّ بها وهو في الروضة، أحسّ فيها بالجوعى من حوله، وشعر بألم الجوع والعوز عند فقراء الروضة، ومشاعر الألم هذه على الآخرين، تكون عادة في وجدان رجال آل البيت، فهم على مرّ التاريخ يشعرون به ويحسونه... بل يقلقهم، ويحرّك فيهم ما لا نعرفه، وكأنهم يشعرون أنهم في موقع المسؤولية تجاه الجوعى والمحتاجين، وهذه المشاعر تجيش في قلوبهم، حتى تحركهم عادة لمدّ اليد بالمساعدة والإطعام، ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾، ومن هنا انطلق السيد

الشريف بعزيمة ومضاء، وأسس في الروضة تكيّة لإطعام الطعام، ولتوزيع المساعدات الغذائية والكساء، لخدمة أكثر من ألف حالة فقر مدقع، وتقوم التكية بتوزيع اللحم المطبوخ وسلّةٍ غذائيةٍ مرّة كلَ أسبوعين، أما توزيع الكساء فيتمّ توزيعه عليهم جميعاً ثلاث مرّاتٍ في السنة، والجميل في هذا التوزيع المستمر فرحه وشدة سروره، وبشاشة وجهه بهذا العمل والإطعام، والناس يفرحون عادة بالأخذ إلا آل البيت، فإنهم يفرحون بالعطاء والإنفاق، وقد درب السيد الشريف مريديه على هذا العطاء والإنفاق، وعلمهم الفرح به وأن السعادة تكون في العطاء أو في إسعاد المحيطين أو المحتاجين، أو إغاثة الملهوفين، وحمّل أتباعه ومريديه هذا الفكر والإحساس عن معنى السعادة ومردودها على قلوبهم، فسعدوا بهذا العطاء وهم يمارسونه في حياتهم.

ولا تزال جمعية دار الإيمان أو (الروضة) في الروضة، بفضل الله علينا تؤدي هذا الواجب بكل أمانة حتى يومنا هذا، وكانت رائدة في إطعام الطعام في الأردن، إذ أعادت فكرة التكية التي كانت تميز العالم الإسلامي في الأزمنة الماضية، إلى واجهة العمل التطوعي، كما أنها رائدة في تنظيم الكشوفات وعملية التوزيع الحضارية، من دون إهانة للفقير أو تحقير له أو اشعاره بالمنّة والفضل، بل يتناول حاجاته بأدب واحترام، وشكرا له أن أعاننا على فعل الخير، وأعاننا على إطعامه، وشكرا له أن تفضل علينا بقبول ما تجود به أنفس أهل الخير من إخواننا أو المتبرعين، وكل ذلك يتم بأجواءٍ من المحبة والإكرام والتواصل، وقد ترك إخواننا والقائمون على التوزيع أثراً طيباً لدى المستفيدين يذكرونه بخير وإكبار وتميز... هذا نهج الأئمة من آل البيت وما زال نهجهم مستمراً، بنفس العطاء والوهج والتفرد... هناك في الروضة.

يقول عاشق النور: والعجيب أنّ هذه التكية تتلقى المساعدات من أهل الخير من دون أن نُحدّث أحداً عنها أو تقوم بأي دعايةٍ، وهذا باب للخير مفتوح لمن أراد المساهمة فيه من إخواننا أو المحبين من عامة المسلمين... بتقديم المال أو التموين أو اللباس أو الجهد أو أي شكل من أشكال الخير.

كما قام إخواننا حديثاً بإجراء مسح ميدانيّ لمنطقة مخيم سوف في محافظة جرش، لإختيار بعض الأسر المحتاجة من هذا المخيم، فإذا به أشدّ فقراً ومعاناة من بقية المخيمات والمناطق، وهو المنسي ببؤس أهله وفقرهم وأمراضهم بعيداً بين تلال الشمال، ويحتاج ساكنيه إلى كل أنواع المعونة، فاختير منه مائة أسرة لصرف معونة تموينية وكسائية لهم بواقع زيارتين شهرياً.

التوجه نـحو علوم القرآن:

يقول عاشق النور ونحن نتجول داخل مرافق الزاوية، هنا في الجانب الغربي من المصلى، كان الترتيب أن يكون داراً للقرآن، للمريدين ولمن يرغب من المصلين، لكن رواد المسجد ازداد عددهم في الجُمَع والصّلوات الرّاتبة، فتأجل ترتيب افتتاح الدار حتى يتم تأمين موقع لها، لكن السيد الشريف بقي هذا الأمر يقلقه، لأن التجويد وعلوم القرآن ركن أساسي في بناء البنية التحتية للذاكرين... فقام السيد الشريف بتشجيع المريدين على تحصيل هذا العلم، وتحصيل شهادات فيه من وزارة الأوقاف، فتوجه عدد منهم من المريدين ومن النساء أيضاً، وأخذوا هذا العلم عن رجاله في الوزارة، وصار تأسيس وافتتاح دار للقرآن أمراً لازماً بعد أن تهيأ الكادر البشري.

ولأنه كان من أهداف الجمعية أيضاً تعليم القرآن وعلومه، فقد قام السيد الشريف بتفعيل هذا البند من الأهداف، واشترى قطعة الأرض المجاورة للزاوية، وقام بالبناء عليها، وكان ثمنها وقيمة بنائها من خالص ماله، وأقام عليها بناءً من طبقات ثلاث، الأولى: كانت داراً لتعليم القرآن الكريم وأحكامه، والثانية: كانت قاعة للاجتماعات والمحاضرات، حيث تقام فيها الدروس والمحاضرات، وتقام فيها حفلات التخرّج لدار القرآن أوالمثابة، كما وتقام فيها حفلات القران أو الزواج لأبناء الطريقة، وفي نفس الطابق، مكتبة فيها كتب ومجلات متنوعة تخدم أبناء الطريقة، كما فيه مركزاً للدراسات الإسلامية، يرجو السيد الشريف تفعيله قريباً، أمّا الطابق الثالث فكان سكناً للسيد الشريف وعائلته الكريمة، حيث إنه أفرغ السكن الذي كان يشغله في الطابق الأوسط من مبنى الزاوية، وجعل مكانه مصلّى وزاوية للنساء، بمدخلٍ منفصلٍ عن مداخل الرجال، ولاحقا أضاف طابقاً رابعاً، أسكن فيه ولديه محمد والصدّيق بعد أن تزوجا.

يقول عاشق النور: تطورت دار القرآن كثيراً خصوصاً عند النساء، إذ أن جلّ أخواتنا في الطريقة وبناتهن الصبايا، خضعن لدورات مكثفة في التجويد وعلوم القرآن وعلوم الإسلام وعلوم الطريقة، حتى برع أكثرُهن ونلنَ شهاداتٍ في مستويات التجويد متعددة من الوزارة في علم التجويد، كما أنهن نجحن في استقطاب أعدادٍ كثيرةٍ من نساء الحيّ اللواتي التزمن دروس التجويد وعلوم القرآن، وصارت دار القرآن كخلية النحل في العمل لله وفي خدمة كتاب الله، وقد مارس الأخوة والأخوات من خلال هذه الدار، ومن خلال دروس التجويد وعلوم القرآن: الدعوةَ وخدمة الدين، بل وخدمة المجتمع، وتعمقت الروابط الاجتماعية بين رواد الدار والمدرسين، كما تطورت العلاقة بين المدرسات ورواد الدار من نساء الحي، وكان لهذه الدار الفعل الحسن

في قبول المجتمع لنهج الزاوية وشيخها، بل وصارت الزاوية محل ثقة واحترام من المحيط.

يقول السيد الشريف عن تلك البدايات: **(وقمت بعدها بتشجيع نخبة من إخواننا على تعلم أحكام التجويد والحصول على شهادات بذلك، وفعلاً تمكنت نخبة منهم من الحصول على إجازات تؤهلهم لتعليم القرآن وإجازة غيرهم بذلك رجالاً ونساءً، صار عندنا دارٌ مجازة من الأوقاف بتعليم القرآن، وتمكّنت الدّار من تخريج أعداد كبيرة من الذّكور والإناث ومنحهم الإجازات بذلك، وكان اللافت في ذلك، إبداع أخواتنا من نساء الطّريقة في إدارة وتعليم القرآن في الفرع النسائي وهذا مما سجّل لهنّ بمداد من ذهب).**

يا أخي... للقرآن سحرُه وسِرّه، لأنّ نورَه ينتشر بين المؤمنين بسرعة بل ويشدهم إليه بعد أن يدهشهم، فينير قلوبهم بأنواره، حتى تراه محل رغبة عند الجميع، وهذا من سرّ القرآن الكريم الذي حملته الأجيال المسلمة، ورغبت في متابعة تلاوته ومدارسته، ولأنّ القرآن كلام الله تعالى إلينا، فهو حيّ يبادل تاليه الحبّ والعاطفة، فترى القارئ يحب مجالسة الله من خلال كتابه ومن خلال آياته، وتراه يحب حوار الله إليه وخطابه الدائم إليه، فيأنس به ويرتاح إليه، ويستزيد من كلامه وحروفه، فيه قوة كامنة تملأ القلوب إيماناً ويقيناً وراحة، بل وحباً، ثم مع تقادم التلاوة واستمرارها يتبادل المسلم والقرآن هذا الحب والاشتياق، فيحنّ ويشتاق كل منهما للآخر، فلا ينفصلان أبداً إلا عند انتهاء الأجل، فيرافقه في القبر وعند الصراط حتى يدخله الجنة...دار القرآن مرتع خصيب لهذه المعاني وأكثر، لكنها أبداً في خدمة القرآن وأحباب القرآن، وجيران ورواد الدار...

العلم والتحصيل العلمي:

ذهبت وعاشق النور إلى قاعة الاجتماعات، قال لي: هنا يتم بناء البنية العلمية للمريدين، حسب المنهج الذي رضيه السيد الشريف لهم، ليكون سلاحاً حضارياً بأيديهم في حال الانطلاق للدعوة... فهنا مرتعٌ خصب للقاءات السيد الشريف بأحبابه ومريديه، حيث يلقي عليهم المحاضرات بين الفينة والفينة، بعلومٍ شتى من التوحيد والعقيدة، والفقه وعلوم السلوك والأخلاق، ولمعات قرآنية، ولفتات إيمانية، أو محاضرات في الإعجازات العلمية في القرآن الكريم، كما تجدّدت المحاضرات في قاعة دار الإيمان، وتطورت مستوياتها وطروحاتها، مع ترقي أحوال المريدين، وتطور وعيهم العلمي، حتى غدت متميزة ورائدة، كما قام بمراجعةٍ شاملةٍ لأسباب ضعف الأمة وتردي أحوالها... ثمّ دخل في صُلب أمور الدعوة ونهضة الأمة، وكان يحثّ الجميع على تحصيل العلوم في شتى المجالات، لأن عصرنا اليوم قائمٌ على العلم والابتكارات العلمية، ولأن التطور في العالم اليوم عنوانه العلم بمجالاته المتنوعة، وكان ولا يزال يشجع الطلاب من مريديه على العلوم والتعلم الأكاديمي، ومتابعة الدراسة والتحصيل العلمي، كي لا تكون الأمة الإسلامية عموماً والعربية خصوصاً في مؤخرة الركب الحضاري، ويثني كثيراً على أجدادنا المسلمين الذين حملوا المشعل الحضاري عشرة قرون متواصلة، وجاء اليوم دورنا كمسلمين لحمل هذا المشعل العلمي والحضاري، لأن الحضارة من دون منهج الإسلام فارغة من محتواها، ولا تجلب للإنسانية إلا الدمّار، يقول السيد الشريف: **(وكنت أثناء ذلك قد سجّلت في الجامعة لأحصل على شهادة الدّراسة**

الجامعيّة، وما ذلك إلا لإشعارهم جميعاً بأهمية العلم والتعلم، من المهد إلى اللحد، وفعلاً حصلت على البكالوريوس في الدراسات الإسلامية).

خامساً: المثابة تضيء في قلقيلية:

قال لي عاشق النور: من المبهج أن السيد الشريف لم ينس أهلنا في فلسطين، وأثناء إنجازه هذه الأعمال والبنية التحتية هنا في الأردن، كانت أنظاره تتجه إلى الغرب، إلى الأرض الطيبة فلسطين، ومن خلال إخواننا هناك في منطقة قلقيلية، قام بتأسيس مثابة دار الإيمان لرعاية الأيتام فيها من دون دعم مادّي منه أو من المؤسّسات القائمة هنا في الأردن، وتقوم المثابة هناك بنفس دور المثابة هنا، وتؤوي فيها ما يقارب ال٣٥ يتيماً، على نفس المنهج القائم هنا، وبنفس الطريقة، وبمفهوم المخالطة الناجح هنا، وتحقق نجاحات مميزة، وهذا الجهد كله والمتميز يُبذل انطلاقاً من الزاوية الموجودة هناك في قلقيلية، على نفس الترتيب هنا، لكن بجهود ذاتية لاقت قبولاً عند أهالي المنطقة في فلسطين. ذراع طاهر تربوي ودعوي واجتماعي، ممدود بحنان إلى الأرض المقدسة، من هنا من قلب عمان، بالمدد الروحي والمعنوي، وبالاستشارات الفنية، ومع أنه جهد متواضع يبذل لهم، لكنه يُشعرهم أنّ أهل عمان معهم في ثباتهم ومعاناتهم وصبرهم، وفي تحمل جراحاتهم...

سادساً: العمل السياسي ومصادر الدخل:

العمل السياسي:

يقول عاشق النور وقد خبر السيد الشريف عن قرب، إن مفهوم العمل الدعوي والاجتماعي عند السيد الشريف له مقصدٌ محدد، هو النهوض بالأمة إلى مقدمة الركب الإنساني لأنها تستحق هذا الموقع

القيادي بسبب أن رسولها هو سيد الخلق ﷺ، ولا يليق بنظره أن يتخلف أتباع هذا النبيّ عن قيادة العالم، فالمهمة هي إحياء الدين ونبضه الإيماني في قلوب المسلمين بعد أن خفت وهجه، وليس الهدف تطبيق الشريعة كما يسعى البعض... لذلك وأمام هذه النجاحات وكثرة المحبّين والأنصار من حوله، كان يُعرض عليه مراراً النّزول للنّيابة ودخول مجلس النواب، على اعتبار أنه عمل عام يخدم المسلمين، لكنه كان يرفض باستمرار وبإصرار، وكان يقول: **(لسنا طلاب مراكز ولن نكون بإذن الله، وكان إصراري الدائم: البعد عن السّياسة والتركيز على إصلاح الفرد، الذي بصلاحه يصلح المجتمع وبصلاح المجتمع تصلح السياسة، وكانت دعوتي عليها تقوم على هذا الفهم).**

العمل الدعوي وخدمة المجتمع، وإصلاح الفرد، والعمل الخيري التطوعي، وتوعية الناس لقيمة هذا الدين، وقيمة طروحاته الحضارية الوسطية... وخدمة الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية... كل هذا هو أهم ما يقوم به السيد الشريف وقد نذر حياته لها... وليس لديه أي غايات خارج هذا الإطار.

مصادر الدخل المالي اليوم:

سألت صاحبي: كيف يدير السيد الشريف شؤونه المالية وأعماله التجارية المتنوعة، وهذا العمل الدعوي اليومي المتنوع والمرهق، يأخذ جلّ وقته ويستنفذ طاقته؟

قال عاشق النور: صحيح! فبالنظر لانشغال السيد الشريف بالدّعوة، ومع ازدياد أعبائها وتشعب أدواره فيها، إذ لم تعد تقتصر جهوده على مشيخة الطريقة وخدمته لها، بل تعداها إلى آفاق واسعة من خدمة المجتمع، وكذلك كثرت المسؤوليات المتشعبة من حوله، وكثرت

الساعات التي يتابع فيها تلك المسؤوليات، فقد قلص أعماله التجارية منذ مدةٍ، ولملم متبعثرها، وقام ببيع الشاحنات الثلاثة التي كان يمتلكها، كما باع المحجر الذي اشتراه لتوسعة أعماله، واستخدم أثمانها في بناء البنى التحتية اللازمة لدعوته، واكتفى بمردود عمل التجارة عن بعد ومن دون متابعة يومية منه، لأنه لم يعد يمتلك الوقت لمتابعة تفاصيلها، وحصر دخله اليوم في واردات البقالة المالية التي بجانب سكن أهله في البيادر، وكذلك في تجارة العسل، حيث وجد بركة رزقه فيهما.

الفصل الثالث

السياحة والسفر والرحلات

مقدمة

الباب الأول: سياحته داخل الأردن

الباب الثاني: سياحته خارج الأردن

- مصر
- الشام
- فلسطين
- اليمن
- تركيا
- لبنان
- اليمن
- المغرب

الباب الثالث: العمرة والحج

مُقَدِّمَة

يقول عاشق النور وقد تذكر رحلات السيد الشريف داخل وخارج المملكة، كان ولا يزال يحب السفر والترحال ويعشق الحركة في البلاد، لأنه يحب التعرف على ثقافات الشعوب وتاريخها الإسلامي، وأشكال حضارتها الإسلامية، وأسلوب حياتها وأنواع طعامها وتفاصيل حياتها اليومية، ويرى عن قرب تنوع وبديع صنع الله في خلقه، كما أنه يحب تنوع الطبيعة ويرى في جمالها جمال الله في كونه، فيحب البحر والغوص في أسراره من دون السباحة فيه، ويقول إن البحر غدّار، ويحب الجبال في شموخها وإبائها ويشبهها بالمسلم الأبيّ في عزته وإبائه، ويحب السهول الخضراء ويعتبرها نموذجاً لسماحة المسلم ولينِهِ في علاقاته مع الآخرين... وحين تسافر بصحبته تراه نوراً عاشقاً يرفل بين عشاقه ومحبيه من كل الأطياف والأنواع... فتغار عليه منهم، وتخاف من نظرهم إليه...

البَابُ الأَوَّل

سياحته داخل الأردن

جاب السيد الشريف أكثر البقاع والأماكن في الأردن، ذهب للعقبة أكثر من مرة بصحبة عائلته أحياناً، وبصحبة أتباعه ومحبيه أحياناً

أخرى، وكان كثيراً ما يجلس إلى البحر متأملاً بديع صنع الله في هذا الكون، وسعة خلقه وعظيم فضله، وكان كثيراً ما يحادث البحر ويحاوره، ويبثه أحلامه وأمانيه، ويبدو أن البحر من عشاق النور أيضاً، لأنه كثيراً ما جذبه إليه ورطب قدميه بمائه، وتفنن بحركات موجه بين يديه وأمام ناظريه، وكثيراً ما عزف لحن الغرام بصوت موجه عند أعتاب قدميه، كم يغار أتباعه ومحبوه من هذا البحر في العقبة، إذ لا يُخفى موجه عنهم، عشقه وحبه وتودده، كالطفل بين يدي والده، يتحبب إليه بالدلال أحياناً، وبالحركة النشطة أحياناً أخرى، لكنّ عشق الأطفال مفضوح دوماً، وغرامهم عذبٌ دوماً، ما أجمل العقبة ونور العشق فيها، وما أجمل البحر عند قدميه الناعمتين، يتدلل عليهما، يرطبهما أحياناً، ويخجل أحياناً أخرى.

كما ذهب للشمال، إلى جرش وعجلون، كم يحب جبال عجلون! وله فيها ذكريات جميلة، فكأنه هناك أقرب للسماء، أو أقرب لفلسطين حيث عشقه الأبديّ، أو أقرب للأغوار حيث آلاف الصحابة تعطر ترابه، أو له شأن آخر لا ندريه... لكنه العشق الطاهر من نور طاهر، يرمق السماء وترمقه، وتحب هناك وصاله، وتحوم طيورها حوله، في عجلون، تصفو السماء ويهدأ الهواء وتسبّحُ الأرض عشقاً وغراماً، كلما لاح نوره في المكان، أو عبق نسيم عطره في الهواء..

وذهب كثيراً لزيارة الصحابة في أرجاء البلاد، ويقول في زياراته، نحن نزورهم حباً: لأنهم عشقوا النور المحمدي فزيارتهم تمنحنا بعضاً من حبهم له، ووفاءً: لأنهم بذلوا جهدهم وأرواحهم في سبيل الله، كما تركوا ديارهم خلفهم ليمنحونا الإسلام ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً، ووصلاً: لأنهم واصلوا العطاء حتى أتاهم اليقين على أرض الأردن، بل في أغوارها، وتبركاً: لأنّ أحدهم من نسل آل البيت،

وآخرون من كبار الصحابة، وكلهم صافحوا الحبيب ﷺ ثم رحل بعد ذلك شهيداً، وعبرة: لأن الموت سيلحق بنا كما لحق بهؤلاء العمالقة، فليكن ذلك درساً لنا للعطاء ودعوة الناس لعبادة رب الناس على بصيرة، وقبل الرحيل الأبديّ.

يقول عاشق النور، وقد تذكر زيارات السيد الشريف لمؤتة: كم رأيناه هناك في أحضان عمه جعفر الطيار، يتودد إليه بإكبار واعتزاز، ويفتخر بهذا الفتى الهاشمي الذي أمضى عمره في الحبشة، وكان خير سفير للنبيّ ﷺ فيها، ولما عاد إلى المدينة أرسله بعد حينٍ لمؤتة ليدفن فيها شهيداً، ويعطر أرضها بعبير جسده الطاهر. ويتابع عاشق النور: وكم رأيناه على تراب الأغوار زائراً لأمين الأمة، أو هناك على سفوح تلال إربد حيث يرقد معاذ بن جبل، يبادلهم حباً بحب وشوقاً بشوق، أما النبي يوشع بن نون عليه السلام فله مع السيد الشريف قصة وأيُ قصة، خطوط الوصال بينهما كبيرة ومتينة، لا تنفصل عراها، ويفزع إليه دوماً في الملمات، ويشعر أنه يحيطه برعايته وحنانه، ويسانده في دعائه لله تعالى، ويرتاح عنده من الهموم والكربات.

يقول عاشق النور: كان الأردن معبراً لكل الأنبياء والصحابة والصالحين، ولكنه اليوم موطنهم وحاضنهم، في ربوعه وعلى تلاله وبين أحضانه، طوبى لنا بهم ولحضورهم بيننا.

البَابُ الثَّانِي

سياحته خارج الأردن

أما سياحته الخارجية فلها نكهة أخرى، وكأنه طائرٌ يحلق في فضاءٍ لا نهاية له، فينطلق وكأنه يبحث عن مكنون من وهج رباني مبثوث هنا وهناك، وله عينان تريان ما لا نرى من ألقٍ وجمالٍ، وتاريخ ثري في بقايا آثار، وله لسان يذوق ما طاب من أصناف الطعام وأرزاق الله في مختلف البلاد، وله روح تلقط أرواح الصالحين في كل بلد يحلّ فيها زائراً، وله حضور وبهاء يراه كل عاشق للنور هنا أو هناك.

يقول عاشق النور: السفر معه له نكهة أخرى، تجعل البلاد في عيوننا أجمل، ونرى مواطن الجمال حيث نزل، فإذا ذهبت معه إلى البحر غدا البحر أوسع وأبهى، وتصير نسائمه على الوجه أندى، وإذا ذهبت معه إلى المقامات شممت عطرها وارتاحت نفسك وذهب همك وتنور فؤادك وصرت أنضر، وإذا ذهبت معه إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، تيسر السفر وذهبت مصاعبه ووصلت أهلاً وسهلاً، وإذا صعدت معه جبلاً هان الصعود بل صار الصعود أسهل، فكل البلاد غدت به أجمل، وكل البوادي تكون بحضوره أبهى وأنور...

مصر:

تعال معي نلتقط بعضاً مما أتيح لي في زياراته لأرض مصر العريقة، فهناك استكان وهدأ وارتاح كثيراً، إذ وجد مستقراً رحباً بجوار

أهل الكنانة المحبين لآل البيت والصالحين، وكأنهم بأرواحهم الشفافة يعشقون من له نسب للنبيّ، ويعشقون من يحبه النبيّ، وذلك من شدة طيبتهم وأنسهم وبساطتهم، أراه أحبهم فأحبوه، وأينما تنقل أكبروه، أحبّ النيل فيها بعظمته وثبات عطائه، وأحب القاهرة من الجو فلها في نفسه ارتواء، وأحب القاهرة القديمة، إذ شم من جوها أنفاس السابقين العظماء الذين أقاموا فيها، وقامت بهم، وتنفس الصعداء عندما مشى في الشوارع المحيطة بالأزهر الشريف، وزار فيها سيدنا الدردير ﷺ، وتذكر سيدنا خير الدين قدست أسراره حيث أقام زمناً فيها، وسُرّ كثيراً عند زيارته القرافة، إذ رأى كيف حضن أهل القاهرة أجداده من آل البيت، لأنه عند الأزمات لم يكن في الأرض سعة لهم إلا هي، فحضنتهم فيها، وواستهم من الجراحات التي كانت تنالهم، ثم عند انتهاء آجالهم ضمتهم إلى قلبها. وقد سمعت السيد الشريف يقول عندما دخلها: **(واضح أنها بلد آمنٌ بدعوة سيدنا يوسف عليه السلام، وأمنها لكل الخائفين والمتعبين، ولذلك كثر فيها آل البيت على مر التاريخ)** وقد لازم مصر هذا الأمان ولم ينفك عنها، حتى صارت عنواناً للأمان دوماً، والناس كل الناس وأرضها كلُ أرضها وكذلك نيلها وهواؤها، يهبون الأمان لداخليها وساكنيها، وهنا يكمن سرّها.

وقد أحب طنطا بلد الولي الكبير سيدنا أحمد البدوي ﷺ، وكم رأى بجواره من تكريم وحفاوة، وكأن كل أهل طنطا عاشقون للنور ببركة شيخهم، كما احب الإسكندرية بلد الشيخ الكبير المرسي أبو العباس ﷺ، كما أحب أجواءها، وكأن بركات شيخها لا تزال تحل ببلدهم، فتمنحهم الطيبة والسرور الدائم، وأحب فيها أكل السمك على طريقتهم الزاكية، كما أحب في مصر أكل الحمام المحشي كثيراً.

يقول عاشق النور وقلبه يرتجف هلعاً: أخاف عليه من مصر كثيراً، لأنها تغري آل البيت والصالحين كثيراً ليستقروا فيها، وتنسيهم بلدانهم وأهليهم وأحبابهم، حتى صارت عشاً للأولياء، وكلما سافر إليها أبقى في قلق حتى يعود منها، يبدو أنها تعرف كيف تسرق أهل الله من محبيهم، وتتقن هذا الفن وتعرف كيف تستحوذ عليهم، وتعرف كيف تبقيهم مسرورين فيها. نعم أخاف عليه من مصر ومن أهلها أن يسرقوه منا. واعذرني فخوفي منهم له سوابق كثيرة في التاريخ.

الشام:

بلد الشيخ الجليل سيدنا ابن عربي ﷺ، فهو سرّها المكنون، وكلما اشتاق السيد الشريف لمجالسة الكبار ذهب إلى حيث الشيخ الكبير، فيكون بينهما سرّ أرق من النسيم إذا سرى، فيُدهش المحبين والعشاق، ولا يعرفون لذلك سبباً، وعند لقائهما يصغي الكون كله، ويترقب الطير ذلك المكان، وينشر عليه أجنحته من الرهب، ويغني حداة العيس أغنية اللقاء، وتكثر الهمهمات بين الأحباب، فقد نزل بساحة الكبير كبير... ويكثر في الشام وطرقاتها العتيقة عشاق النور، يسرحون ويبحثون، فإذا رأوه من بعيد عرفوه وتنادوا إليه كي يتبركوا، ثم يغادرون.

يُحب في الشام الغوطة وأهلها الطيبين، ويحب التجول في أجواء الطبيعة الساحرة، ويحب حلب وشوارعها العتيقة لأنها تذكره بالقدس والخليل والقاهرة، ويحب في حلب الكباب الحلبي على طريقتهم. كم تفرح الشام بأهل الله عندما يدخلونها، ويحل في ديارها، فهي عاشقة للنور خجلى من حبها، وتخاف أن يفضح عشقها صوت نبض قلبها، فلقلبها أنين مفضوح يبلله ندى الصباح ويعطره زهر الياسمين، ويلونه

الورد الجوري بحمرة الخدود، يالك من عاشقة للنور أنت، تحاولين طمس حبك، لكنه مفضوحٌ أبداً.

فلسطين:

يقول عاشق النور، وكله عشقٌ لهذه الأرض وترابها: أرض الرسالات وأرض العشق وأرض الإباء، ترابها جُبل من نور الأنبياء ودمائهم ودماء أبنائها الشهداء، حتى غدت أعطر تراب، يفوح منها المسك والعنبر والزعفران، تشد المسلمين إليها كل صباح، وتجمعهم حولها عندما يختلفون أو يتنافرون، حضنها دافئ دوماً، تحضن فيه كل المتعبين، حتى محبي الحرية في العالم يعشقونها، تحمل هذه الأرض في أحشائها قصصاً كثيرة عمن أقاموا أو عبروا، وتحكي مدنها وقراها كلّ القصص بكل اللغات، أما جبالها فلها قصصها الخاصة عن البطولة والرجولة والإباء، وقدسها عروسة البلاد والقفار، جميلة دوماً حتى وإن كانت حزينة، أبية أبداً وإن كانت رهينة، لا توادع ولا تهادن، لكنها تكتم آلامها ووجعها ثم تخرج للناس بزينتها وألقها، ولأنها عاشقة للنور أبداً، فقد عشقها الأنبياء كلهم، وزاروها كلهم، وصلوا فيها كلهم، ولم تبخل عليهم أبداً في حبها وعشقها لهم، حتى جمعتهم مع المصطفى على أرضها، فصلوا فيها عشقاً وشكراً لرب العالمين، وضمتهم إلى صدرها، وقبلتهم قبل رحيلهم عنها، وزارها كل النور وكل العاشقين، ليقدسوا نورهم أو ليقدسوها بنورهم، لا فرق لأن المهم زيارتها واستشعار دفء صدرها وتلمس حنانها، واليوم نحن على موعد معها حين زارها من عمان حامل النور ليضمها وتضمه، ويتهادى في أرجائها ويرى تاريخ الشهداء في متحفها، ويشم عطر دمائهم على ثيابهم فيها، وليرى قدر صلاح الدين، وموطئ أقدام الأنبياء والمرسلين، وليشم من هناك عبيرهم ويلحظ في أجوائها نورهم، هناك على أرضها

يسهل العروج بالروح إلى أعلى، وتنفرج السماء لأهل الحب والهوى، فيرى فيها ما لا يرى في غيرها، ويسمع من هناك ما لا يسمع في غيرها، لأنها الأقدس بين مدائن البشر، والأقرب للسماء بين عواصم الدنيا... ثم من هناك زار موطنه وجده الخليل عليه السلام، وشعر حسياً بالنسب إليه، وتلمس من هناك عظمة هذا النبي الأمة، وتذكر كم عانى مع قومه في دعوته حتى اتخذه ربه خليلاً، هو مدرسة لكل الدعاة والمصلحين، ما زال الأولياء يتعلمون منه الدروس والعبر، ورأى عنده قدر سيدنا ابراهيم، ورأى كيف يطعم الجائعين ببركته وبأكنافه، فهو أبو الضيفان بلا منازع، وكانت لحظات مشحونة بعطره الفواح، ومليئة من كرم يده وسخائها لمحبيه، وتناول في الخليل القدرة الخليلية، حيث الطعام الأشهى والأطيب ليقدم لحفيد الخليل، عشق السيد الشريف الخليل وعشقته، وتبادلا الوصال هناك، فقد أرته زاوية سيدنا عبد الرحمن قدست أسراره على أبواب مسجد الخليل، فاستكان بقرب جده هناك، وارتاح من تعب الليالي والأيام، ثم أخذته عاشقته الخليل إلى حيث زاوية سيدنا خير الدين قدست أسراره، فأخذه الوجد والحنين هناك، وبثه شوقه وحبه، كم هي جميلة بلد الخليل، فيها كل الأحباب والجدود، عاشقة للنور تعرف كيف تلمّ أحبابها في أحضانها، وتعرف الوقت المناسب لذلك، ففي مغارتها جمعت عشاقها من الأنبياء وزوجاتهم، بل جلبت من مصر أجملهم شباباً، على أطراف الجنوب من القدس، وعلى مشارف غزة تتكئ هناك بين الكروم، عتيقة ورائحة التاريخ تفوح منها، زار فلسطين كلها تقريباً، وصل بحيرة طبريا وأكتاف الجولان، وتجول في أنحاء الضفة ثم ارتحل غرباً حتى وصل البحر وكأنه يبحث عن شيء ما فقده، أو أنه كان يملؤ صدره من عليل هوائها ونسائم جبالها، أو أنه كان يحث الخطى على خطى السابقين من الأنبياء... جاب

الأرجاء وامتلأ منها عشقاً، لكنها سكرت من عشقه بعد أن شربت حتى الثمالة...

اليمن:

بحثت في أرجاء الزاوية عن عاشق النور، حتى وجدته على السطح يقلبُ وجهه في السماء حزيناً مترقباً، فسألته عن سبب هذا التقلب في السماء والحزن في وجهه، فما الذي أضاعه ويبحث عنه؟ فكتم حشرجة في صدره وقال: أصغي إلى أنين سيأتي الآن، فهذا موعده... وأحدق هناك، بعيداً في أقصى الجنوب، حيث الأرض الطيبة والإيمان الأصيل، وحيث (الحكمة اليمانية)، إلى اليمن ذلك العاشق للنور، مثلي بل أشدّ، واعذرني فأنا أغار منه عليه، هل عرفت عن اليمن يوماً؟ إنه القريب البعيد، القريب من قلوبنا ونبض إيماننا والبعيد عنا في الزمان والمكان، فقد زاره السيد الشريف ليرى الإيمان اليمانيّ الذي مدحه الحبيب ﷺ، فتفاجأ به يتربع هناك كما حدّث عنه، أصيلاً مكيناً، وضاءً تماماً كما غادره المصطفى ﷺ، لا يزل على حاله... أين نحن من اليمن ومن إيمان اليمن! ومن عشق اليمن! بلد جميل في جباله، وأصيل في أهله، الإيمان فيه مخمرٌ ومعتقٌ، والعشق فيه طاهر كطهر النسيم، بريء كبراءة أحلام الأطفال، تشم له رائحة وعطراً لا تشابهه العطور ولا يشبهها، وترى له وهجاً وألقاً كأنه من نسيج خاص.

قال عاشق النور: لقد أعجبت زبيد السيد الشريف، وأحبها وأحبته، وأرته من حُسن فعالها ما سرّهُ وأمتعهُ، ففي زبيد علمٌ دائمٌ بالمجالسة والمشافهة، لم ينقطع فيها درس العلم أبداً منذ ألف عام، تُخرج العلماء الصادقين والمحبين العاملين، وتنشر زبيد في الرّبى كل الورود والعطور، تعشق فيها ولأجلها العلم والعلماء وحفظة الدين، لأن له فيها

نكهة أخرى كنكهة قهوتهم، وتعشق فيها إصرارهم على بذل الجهد بالتعلم مشافهة كما كان حال الرعيل الأول من أمتنا.

في اليمن كل شيء قديمٌ معتقٌ، جبالها معتقة، فيها المصاطب على السفوح كما كانت منذ خلق الله اليمن أبداً، وأشجارها أصيلة الجذور لا تتغير ولا تتبدل، وهواؤها نفس هواء الأقدمين، وإذا مشيت في رباها تحب فيها الحبّ وتعشق فيها العشق، لأنها بكرٌ لم تصلها يد إنسان غريب، ولم يمشط شعرها مستعمر أو محتل أو عابر سبيل، كل أهلها من أهلها، لا تعرف الغرباء ولا تأنس لهم، سر بلاد اليمن في عذريتها وطهارتها وأنوثتها، مشى السيد الشريف فيها فزار صنعاء وزبيد وتعز، وصعد جبالها ونزل وديانها فأدهشته وأدهشها، لأنها هي الأخرى عاشقة للنور من زمن بعيدٍ بعيد، يبدو عشقها من أول الخلق بدأ، أو مع خلق آدم ونوح، ثمّ نما وكبر حتى غدا مزهراً، ولم تعرف رباها سوى هذا العشق المزهر، فهدأت روحها إليه ونامت عليه قروناً، فغدا آل البيت هناك في بيت عشقهم، يحفل بهم اليمن، بل كل اليمن، بنوعٍ من التوقير والاحترام والتقدير الفطري الذي لا يشبهه سواه، ويحتفي أهل اليمن بالنور وكأنه كنز ثمين، يحارون كيف يُكرمونه، أو كيف يصلونه، أو كيف يحضنونه، وهم أصلاً كرماء طيبون، يبذلون للنور ما يستطيعون وأكثر، في بلاد اليمن أصل كل شيء... أصل العرب، وأصل الكرم والجود، وأصل حب الرسول وآل بيته الأطهار، وأصل الإيمان، وأصل العطاء، وأصل البذل لله، وأصل المدد وأصل العدد، ولأنهم جبلوا من طينة خاصة اسمها اليمن، فعشقهم للنور له نكهة أخرى، ولنسمها نكهة يمانية، ومن أحب أن يعشق النور ويتعلم أسرار هذا العشق، فما له سوى اليمن لأن العشق فيها فطريّ، يبوح ولا يبوح، ويفوح ولا يفوح، ويبرق ولا يبرق، لكنه عشق فيه خمرة وسكر وغرام... ولهذا قال الأقدمون وهم صادقون: (لا بدّ من صنعا وإن طال

السفر!)، غادره السيد الشريف وفي قلبه شيءٌ من حبّ اليمن وأهله، لكن اليمن ما زال على عشقه للنور، وأسمع نشيجه كل يوم هنا على سطح الزاوية بعد الغروب. اصغ إليه معي ها هو يأتي عبر الغيم والأثير.

تركيا:

قال عاشق النور ونحن في الطريق إلى معرض المنتجات التركية في عمان، كان الترتيب أن تخرج تركيا من عالمها الإسلامي بعد سقوط الخلافة، وأن تخرج من المعادلة، وتنخرط في فلك الدول الغربية، كما حدث في بلاد الأندلس التي سُلخت من العالم الإسلامي منذ قرون، لكنّ الله تعالى أنقذ هذا البلد الطيب مما كان يُراد له، لأنه خدم الإسلام أيام الخلافة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وهيأ الله تعالى له رجالاً مخلصين، كالشيخ سعيد النورسي رحمه الله تعالى، ثم من بعده الأستاذ محمد فتح الله كولن أمدّ الله في عمره، رجلان صالحان مخلصان، حملا الراية بهمة وعزيمة واقتدار، ومعونة متميزة من الله تعالى، وسدد الله لهما الخطا، وغيرهما من رجال تركيا العظماء، كأربكان رحمه الله تعالى حتى أنقذ الله هذا البلد بهمّتهم وعزمهم بل ومعاناتهم، ثمّ بجهود أهل تركيا الطيبين وإخلاصهم وتفانيهم، حتى صاروا وصارت تركيا نموذجاً للمؤمنين المخلصين في كل مكان، ونموذجاً للعمل الخالص لوجه الله تعالى.

وعندما دخلنا أرض المعرض تفاجأنا بالتقدم التقني والفني والنوعي الذي وصلته تركيا... مما يثلج الصدر ويزيح الهمّ، لأنّ البلد الطيب يخرج نباته طيباً بإذن ربه، وتركيا نموذج للإسلام الحضاري والعلمي والتقني. فسألت عاشق النور، هل زار السيد الشريف تركيا؟

وماذا كان انطباعه عنها؟ قال لي: وهل يمكن أن لا يزور تركيا! لقد زارها مراتٍ كثيرةٍ، زارها مع عائلته، وزارها مرات عدّة وبرفقته بعضٌ من إخواننا، زار فيها أنطاكيا، وسُرّ بها كثيراً، لأنها بلد جميل وكأنه قطعة من الجنة، وأعجب بقونية واستنبول وغيرها.

في تركيا هناك من يعشق النور ويتقن فنه، لأنها بلد أتقن عشقه من أيام كانت فيها الخلافة، ثم نام عليه قرناً من الزمان، في تركيا كل الغيوم تبكي عشقاً، وكل الورود عشقها معطرٌ، وكل المدن مخمرة بالعشق ومزينة بنور من تحب، استانبول عروسة مُكحلة العيون، لم تعرف النوم أبداً منذ مائة عام، لأنها من فرط وجدها، هجرت النوم وهجرها، فهي تبكيه دائماً... لعلها مشتاقةٌ إليه، وعندما زارها السيد الشريف، من فرط دهشتها صمتت، وهي لا تزال صامته مندهشة، لكنه عندما زار سيدنا أبا أيوب الأنصاري، ورأته هناك تمتلؤ روحه بحبه وإكباره، هدأت أشجانها وتدللت وتخايلت، حتى غدت عروساً أجمل، وعادت سيرتها الأولى، وفي قونية، قصة رائعة عن شيخ آخر، من زمن الرجال الكبار، جليل عاشق لكل الخلق ومعشوق من كل الخلق، زواره ومحبوه من كل الأجناس والديانات والمخلوقات، ولأنه تنفس عشقاً، وأكل عشقاً، وعاش عشقاً، فقد غدا موضعاً مباركاً لكل العاشقين، وبكل اللغات، في قونية، ترانيم خاصة للروح تتجلى فيها فيوضات رحمانية طاهرة من شيء علوي، يمنح المقربين والوالهين سكينة أبدية لا تنقضي.

تركيا بلد عجيب، تسمع خفق قلبه وقلب أبنائه بحب الرسول ﷺ وحب آله وحب أصحابه كما لا تسمعه في بلدٍ آخر، فهو بلد عاشق كله، يحب النبيّ ويحب أتباعه قديمهم وحديثهم ومن لم تلده أمه بعد، فهم عاشقون أبداً من دون استثناءات، ولهذا يشدك وجدهم وطيبتهم، بل

وتكبر فيهم وعيَهم وفهمهم وإدراكهم، وتشدك إحاسيسهم ومشاعرهم... أناسٌ فضلاء، فهموا الإسلام كما نزل، وعاشوه كما فهموه، فحفظهم بعدما حفظوه، ولم يتشنجوا من أحدٍ، ولم يرفضوا أحداً، كل المسلمين عندهم إخوانٌ متحابون معهم، وكل الناس في كل البلاد قريبون مقبولون.

دين الإسلام بينهم ميسر مقبول، متوازن معاصر من دون إخلال بالفهوم، جميل عندهم الإسلام، وعزيز عندهم المسلم لا ذليل أو ضعيف. أحببت الإسلام فيهم، ورأيته فيهم عظيماً عزيزاً...

ويتابع عاشق النور: ولأن تركيا حملت المشعل أربعة قرون وكانت أمينة عليه، فقد أضاف إليها بعداً إنسانياً في تطبيقه نسيناه نحن من زمن بعيد، يذهب المسلم العربي إلى تركيا ليفهم منهم الإسلام، ويجمُل الإسلام في نظره وفي قلبه، هناك يرى المسلم الإسلام أنيقاً، وحضارياً له بهاء وعزة وكبرياء، ولأنها عاشقة للنور فقد تألقت فغدت به أجمل.

لبنان:

قال عاشق النور متذكراً نوراً هناك متكئاً على الشاطئ الغربي للشام، يسمونه لبنان، زاره السيد الشريف مرة ومرة، وفي كل مرة يبهر لبنان معشوقه، فهو جميل دوماً، في شماله عروس متزينة دوماً، تترقب مجيئه ليلاً، بسيطة عتيقة الأنفاس، افترش أرضها أبو الأنوار ونام على فراشه نومته الأبدية من زمان، لكنّ طيبَ عطرهِ يفوح بالأزقة والحارات، وتسمع صدى صوته بين الناس، جميلة عروس أبي الأنوار، مشدوهة بالنور، منتشية بمن تحب، وتغفو دوماً على صهيل خيله الآتي من خارج الزمان.

يقول عاشق النور: وفي الجنوب قصة أخرى، لمن أراد أن يعرف الفرح بالنصر، أو يعرف معنى العزة والكرامة، لأنها تفوح هناك بالهواء ومع نسائم الصباح والمساء، تراب الجنوب ممزوج بدم العزة والفخار، يبتهج بالنور القادم عبر الحدود، يضمه بفرح وحبور، ويخاف عليه من كثرة العشاق هناك، فالجنوب مليءٌ بهؤلاء العشاق ولا يبدون عشقهم إلا من خلال الدمع في عاشوراء، أو من خلال الدّم المراق على الحدود، عشقهم له نكهة خاصة من رائحة الدماء، يعشقون الحرية كما يعشقها النور، ويصغون جيداً لأحاديث النور، ويتلهفون كثيراً لنظرة إليه، أو خدمة يقدمونها إليه، أو عبرة حرّى ترمى بين قدميه، عشقهم لا يشبه عشق المحبين، لكنه جميل منهم وجميل فيهم، ويفيدهم كثيراً في حياتهم وآخرتهم، وعلى باب فاطمة في أقصى الجنوب تسمع لحن أغنية عذبة غناها الشهداء قبل سفرهم الطويل، يتردد صداها بين الحقول بأعذب الألحان، وترى على التراب هناك آثار طيب طيبهم وهم راحلون، وتشم من زهر الرياض هناك عطر أجسادهم فيه، وترى ألوان عيونهم وخدودهم في ألوان الزهر والورود، في الجنوب قصة أخرى نسجت خيوط أسرارها ثُلةٌ طيبة العروق من عشاق النور الأطهار، ثم غادرونا.

يقول عاشق النور: أعجب السيد الشريف هناك بالوعي العام بين الناس، فكلهم هناك مثقف حصيف، ولا أدري هل لبنان الصغير بسكانه كبير، أم أنهم كبروا به، لا يدانيهم في الفخار والعزة بشر، فهم على شاكلة أخرى خلقوا، وكأن طينتهم التي خلقوا منها جبلت من عطر وطيب، أو من عزٍ وشمم وإباء، أو من نسيم وعطر وغرام...أو هو هذا كله، لكنه البلد الأغرب والأجمل بين البلدان، ولا يزال فيه بقية للعشق مخزون للعطاء.

المغرب:

جاءت دعوة للسيد الشريف لزيارة المغرب، لحضور مؤتمر لمشايخ التصوف في العالم الإسلامي، فأخذ معه مجموعة من أتباعه، في رحلة جميلة إلى حيث غرّب واستقرّ الإسلام وحملته وعلماؤه وآل البيت زمناً طويلاً...

عندما وصل السيد الشريف بلاد المغرب فرح بها وفرحت به، فهو من نسل أبنائها وجذوره تبدأ من هناك، فسار هناك في دياره، وتفحص نسائم أجداده فيها، بل أحبها لأنها حضنتهم وواستهم واحتفت بهم طوال تلك الأزمنة ولا تزال، وأعجبه انتشار ثقافة الذكر والنور فيها.

في المغرب عشق خاص معتق من رائحة الأجداد، يلوح لك في بيارات البرتقال وفي عيون الناس وفي أشجار الرياض والبساتين. في المغرب إيمان له طابع خاص يلوح في تلاوتهم القرآن، فتخشع له القلوب وتستكين الأرواح، ولهم حب للنبيّ ﷺ وآل بيته تسمعه في جلساتهم ومسامراتهم، فهم لا يتكلمون إلا به ولا يحسنون إلا الصلاة عليه، ولا يتقنون إلا غرامه، أهل المغرب كرام في حبهم وعشقهم وتبسمهم وطيبتهم، كل شيء عندهم ينبع فيه العشق والغرام، إيمانهم وحياتهم، طعامهم الطاجن وسواه وشرابهم الشاي الأخضر اللذيذ منهم، في المغرب عشق للنور كبيرٌ بحجم قلوب أبنائه، إذا أعيتك البلاد فغرّب إلى بلاد المغرب، على أطراف الأطلسي، لترى هناك أحباباً لتلك الديار سبقوك، وفي أحضانهم تراموا، وفي رموش عيونهم حُفظوا...أهل المغرب كلهم عشاق، مهما كان عمره أو خبرته أو جنسه أو إيمانه، فهم جميعاً عشاق.

في المغرب سكنت أرواح آل البيت وتكاثر حولهم المحبون، حتى صار طعامهم ذكراً، وشرابهم ذكراً، وذكرهم ذكراً...وصار للتصوف هناك نكهة مغربية أصيلة، تحب فيهم صفاء القلب والفؤاد ووضاءة الوجه، طيرهم يغرد ذكراً، وحقولهم تسبح ذكراً، وهواؤهم يتحرك ناعماً ذكراً...في المغرب كل شيء هناك يعشق النور، وفي كل ركن أو شارع أو حيّ زرعوا نوراً وعشقاً، يتلهفون لكل نور سابح في الفضاء، أو قادم من خلف السحاب، أو ساجدٍ في ركن قصيّ في البلاد، يتنفسون نوراً، وينتظرون نوراً، ويحلمون نوراً، وترضع نساؤهم أطفالهم حليباً بنور، طعامهم ليس كطعامنا، فيه توابل عجنت بنور، ولحمهم أزكى اللحوم، لأنه من ماشية أكلت عشباً سُقي بنور، للعشق في المغرب حكاية أخرى، مفتوحة على فضاء رحب عبر الأطلسي لا يحدّهُ مدى، وللنور عندهم فضاءات أخرى موصولة بالملأ الأعلى، ومع أنه بلد جميل في أقصى الغرب، لكنه في القلب دوماً، لأنه أتقن فنّ العشق والغرام.

يقول السيد الشريف عن تلك الرحلات: **(خلال هذه المراحل مجتمعة كنت أنتقل بين الحين والآخر في زيارات متتابعة إلى مصر وسوريا وفلسطين واليمن وتركيّا ولبنان والمغرب والإمارات لأغراض إستشرافيّة أحياناً ودعويّة أحيانا أخرى، ومشاركة في مؤتمرات كما هو الحال في زيارة المغرب).**

البَابُ الثَّالِثُ

الحج والعمرة

عندما يحين موسم الحجّ من كل عام، نلاحظ أن عواطف السيد الشريف تتأجج، وأشواقه تأكله وتقض مضجعه، سألت عاشق النور، ما الذي يحصل معه حينها؟ قال لي متحمساً: لا يوجد مكان في الأرض يدغدغ مشاعره كمكة والمدينة، هنا في عمان إذا لاح برق موسم الحج، أو ذكّرهُ أحدٌ بتلك الديار، تراه يضطرب وينتفض وتتحرك مواجيدُه، وقد تجري دمعة، أو تترقرقُ الدموع بين جفنيه أو تنهمر حرّة مع زفرةٍ وآهٍ، ذكرياتُ ونفحاتُ تلك الديار، لها عنده شيء آخر، وعلى المنبر أيام موسم الحجّ، تراه عصفوراً مكلوماً بدمهِ، يتقلب من الشوق والحنين، يبقى في اضطراب حتى يَختمَ الخطبة وينزل يجرّ حنينه على وقع دقات قلبه، وقد امتلأت عباءته عرقاً من حمّ الشوق إليه، وتلعثمَ الكلام بين شفتيه، عاشق متلهف دوماً لتلك الديار... ونلاحظ أنّ روحه تغادره أحياناً كثيرة، وتحوم هناك في الديار المقدسة، وتعيش الحج شوقاً وغراماً، في مكة حول الكعبة تطوف وتطوف حتى ترتوي، ثمّ تصلي روحه الثكلى عند المقام الأقدس، ثمّ تسعى أو تحلق سعياً، وتغدو سريعاً بين الصفا والمروة، تبحث عن رضا ربّ العالمين أو ألقٍ قريب، ثم تغادره إلى عرفة ومنى والمشعر الحرام، تسير روحه معهم حيث ساروا وتنقلوا، وهي هناك تحوم حولهم بشوقها وحنينها، ولا تهدأ أشجانها حتى ينتهي موسم الحجّ.

أما هناك... تعال معي أحدثك بعضاً من شوق متبادل بينهما هناك، في الطريق لا يهدأ ولا يستكين، بل تراه مستعجلاً الوصول، وكأنه في كل مرة يسافر فيها، يعيش قلق الزيارة الأولى لتلك الديار، يسأل الرياح في الطريق عن أخبار الحرمين، وقد يسأل طيراً شارداً أو ومضة نور من نجمٍ في السماء، وأحياناً يسأل الغيم هل مرّ من هناك، متلهفاً بشوقٍ عُذريّ جميل، يحرك الأشواق في قلوب السائرين معه في الطريق، لايهدأ قلبه عن الذكر والتسبيح، ولا يهدأ عن القلق أو البكاء والحنين... ويبقى هكذا قلقاً مستعجلاً الوصول حتى تلوح أنوار المصطفى من خلف التلال، فيشمّ عطرها ويسكر نشواناً بذياك الرحيق، ويتهلل وجهه وتنفرج أساريره، فقد حان وقت الدخول واللقاء بالجدّ الحبيب، شوقان يلتقيان على الباب، ويسري بينهما صمت كله كلام، وشوق لا نرى منه غير الدموع، ولهفة لا نسمع حسها إلا بزفرة وغصة وأنين، ثم يُرحب بنا في دار جده ويقول: أنتم ضيوفي اليوم، فهذا بيت جدي، فاسألوا منه ما أردتم، طلبكم مجاب بإذن الله، ويطلب منا أن نرمي ذنوبنا وخطايانا عند أعتابه، لأنه بأمته رحيم ودود، وحيث مغفرة الله تعالى لكل الواقفين ببابه، إنه سيدٌ شريفٌ، بل أميرٌ للعشق يتحرك في دياره بين العشاق، يسقي كل عاشق برحيق الحبّ والغرام، حتى يتركه في نشوة وهيام... فعلاً! لا يعرف الوجد إلا من يكابده، ومن لم يصاحبه إلى هناك، لن يدرك ما أقول..

وعند المغادرة يستأذنُ جده بالرحيل لأداء العمرة، أدباً معه ومع رب العالمين، لأنه لا يليق دخول البيوت إلا من أبوابها، ويغادر جدّه سائراً للوراء وقلبه يشده للأمام، حتى ينخلع من قلبه هناك على أعتاب جده، ويمضي في سكون وشرود... ويتوجه إلى مكة ونتحرك بصحبته بوقار وسكينة، لكننا نراه جالساً مستكيناً، فقد خرج من طيبة خائفاً على قلبه مترقباً، لأن ما نراه فيه من أنس وبهاء وهو في طيبة، يجعله يغصّ

حين الرحيل... وفي الطريق يبقى صامتاً، شوقاً إلى طيبة وساكنها، ورهبة من مكة وإجلالاً لمهابتها، وعلى مشارف مكة المكرمة، يبدأ وجهه بالسرور والفرح، فهو اليوم في أرض الحرم، أرض جديه الخليلين عليهما الصلاة والسلام، فهو ابن ذلك المكان وعاشقهُ، والناس وفدُ الله وهو خادمهم... فيتحمس ويشرق وجهه وتزداد حركته وعزيمته، فلديه مهمة عظمى، رعاية الوفد معه بين يدي الله تعالى، فيدخل الحرم كسيدٍ شريفٍ إلى حيث الكعبة المشرفة، وتحتار هناك! أتنظر الكعبة الجميلة وترى بهاءها وجلالها، أم تنظره هناك بين أستار الكعبة ومحيطها يتلألأ نوراً وجمالاً، فتأخذك الدهشة من أحوال الجمال والجلال إذ يلتقيان... في مكة تذوب الأشياء عشقاً، وتضيع التفاصيل، لأن الشيء الواحد الثابت هناك أن الله تعالى يملأ المكان بجلاله وكماله، ورحمته ومغفرته ورعايته...

يقول عاشق النور: لقد واصل السيد الشريف زياراته لمكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث أدى فريضة الحجّ خمس مرات على ما أذكر، وتكررت زياراته لأداء العمرة مرات عديدة، لا أحفظ عددها.

الفصل الرابع

بعضاً من تألقات السيد الشريف

الباب الأول: الدعوة اليومية المباشرة في المكتب
الباب الثاني: العلاقة الوطيدة مع العلماء:
الشيخ نوح القضاة رحمه الله تعالى
الباب الثالث: فكرة إنشاء جامعة
الباب الرابع: زيارة فلسطين: وكتاب الدلالة
الباب الخامس: التقريب: حاجة ملحة للأمة

الباب الأول

الدعوة اليومية المباشرة في المكتب

إصلاح ذات البين - الرُقية - الاستشارة

يقول عاشق النور، ونحن جالسون على الكراسي عند باب مكتب السيد الشريف في مبنى الزاوية: اعتاد الناس على طرق أبواب الصالحين يتلمسون منهم البركة، وهنا تنوعت أنماط الناس الذين يطرقون باب السيد الشريف، فمنهم من يأتيه متلمساً التبرك منه لأنه رجل صالح من آل البيت الأطهار، ومنهم من يطرق بابه مستشيراً لأمر ما يشغله ويحار في اتخاذ قرار فيه، فيتلمس نور الرشاد في رأي السيد الشريف فيما هو متردد فيه، ومنهم من كان مريضاً بمرض غير عضوي، وتاهت به السبل في إيجاد علاج ناجع، فيطرق بابه يطلب طباً نبوياً أو رقية أو دعوة صالحة، ومنهم من تفاقمت معه المشاكل وتطورت إلى تخاصم، سواء كان الخصام بين جارين أو بين زوجين او بين ولدين أو أسرتين... وهكذا، جاءه فطرق بابه يبحث عن وفاق وتصالح رشيد، ومنهم من ضاعت به مفاهيم عن الدين لم يستوعبها، أوتشعبت الطرق أمامه، فيأتيه وهو في حيرة يبحث عن طمأنينة ورأي سديد يبدد قلقه وتشتته ويلمّم ما تفرق من فكره ونظرته للدين... وكلهم يمنحه السيد الشريف ما جاء لأجله لوجه الله تعالى، ولا يغادره إلا مسروراً، راضياً بما أخذ.

ويتابع عاشق النور: ومن الناس من يطرق بابه لحاجة أو طلب معونة، فيدرس حالته، وربما أوصى مدير مكتبه سيدي أبو كمال بصرف معونة تموينية له مما هو متوفر في مخازن الجمعية لهذا المقصد، في دعم الأسر المحتاجة.

ويتابع عاشق النور: لكن السيد الشريف، ومن خلال هذه اللقاءات اليومية مع الناس، لم يبخل عليهم بالدعوة إلى حسن العبادة وإلى حسن صلتهم بالله، ويمنح كل طارقٍ لبابه ما يناسبه من مستويات الدعوة، فمنهم من يحثه على الصلاة إن كان مقصراً فيها، ومنهم من يحثه على حسن الخلق مع محيطه داخل بيته وخارجه، ومنهم من يحثه على العمل للدين ولخدمة الدين... كما أنه يوجه المسلم إلى أن يرتبط بربه مباشرة بالرقية والدعاء وتلمس الشفاء على بابه تعالى، فيكون بمثابة الدليل معهم إلى الله تعالى، ويعلمهم كيفية طرق باب الله تعالى، ووسائل هذا الطرق... كل ذلك وغيره كثيرٌ مما يبذله السيد الشريف مع الناس بمختلف مشاربهم وأعمارهم وثقافاتهم، وقد كان هذا الأسلوب ناجعاً مع الجميع بحيث يخرج الساعي على بابه، مرتاحاً واثقاً ذا عزيمة على تغيير سلوكه مع ربه ومع المحيطين به...

يقول عاشق النور بإكبار وفخر: معلوم أن رجال آل البيت كانوا على الدوام، مركز الوصل والعطاء بين المتبرعين والمحتاجين، فأبوابهم مفتوحة لكل من رغب بالتبرع ولم يرغب بظهوره على الملأ كمتبرع، فيكون دور رجال آل البيت استلام التبرعات لتوزيعها على نية المتبرع، وكذلك الشأن للمتلقي فتلقيه المعونة من رجال آل البيت أكثر إكراماً له وأكثر ستراً لحاجته، وهذا الإنفاق يكون عادة من آل البيت على حبه تعالى، وعلى حبّ سدّ حاجة المحتاج ومساعدته، وعلى حبّ اتباع جدهم الرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾، أو في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ... ﴾.

المهم أن السيد الشريف اتخذ من مقابلات الناس اليومية منبراً للدعوة المباشرة ومحطة لمساعدتهم في أي مطلب يقدر عليه، وهذا باب كبير أتعبه كثيراً وأرهقه واستنفذ الكثير من وقته وجهده، لكنه مسرور به وراضٍ به لأنه يفتح له باباً للعمل الدعوي المباشر، ويراه جزءاً مهماً في دوره الاجتماعي كشيخ للطريقة لا بدّ من مساعدة الناس فيه، يقول السيد الشريف: **(أخذت على نفسي طيلة هذه المدة ألا يمر يومٌ عليّ من دون أن أدعو شارداً إلى رحاب الله، وكان أن يسّر الله لي ذلك من خلال الأعداد الكبيرة من الناس الذين يأتونني يومياً لأخذ المشورة، والسؤال عن كيفية الرقية من الأمراض وغيرها، فكنت أستغل هذه المقابلات للدلالة على الله، والحقيقة أنني اتخذت من هذه المقابلات منهجيّة ثابتة وواضحة، تقوم على إرشاد الناس كيف يرقون أنفسهم من دون أن أرقيهم أنا، فكنت وما زلت أطلب من الزّائر أن يحافظ على الصلاة أولاً، فإن كان مصلياً أرشدته للرقيةِ المناسبة... أما إن كان غير مصلّ تكلّمت معه عن الصّلاة وأهميّتها، فلا أدعه حتى يُعاهدني على الإلتزام بالصّلاةِ فإن عاهد، شخّصتُ حالته وتبينتُ أزمتهُ وعلتهُ، مرضيّة كانت أم نفسيّة، ثمّ أدلهُ على الآياتِ المناسبةِ، والأذكار التي يُرْقِي بها نفسه، وإن لزمه شيء من الطّب النّبوي كالأعشاب أو العسل أو التمر أو نحوه أرشدتهُ إليه، والتجأت إلى الله أن يستجيب. هكذا كانت طريقة العلاج عندي، وقد كان من كرم الله عليّ أن وفّقني في هذا غاية التوفيق، حتى تزاحم الناس على بابي مما أتاح لي فرصة الدعوة، وفتح أبوابها أمامي، وكانت هذه المقابلات كلها من دون مقابل ولوجه الله تعالى)**.

البَابُ الثَّانِي

العلاقة الوطيدة مع العلماء

(الشيخ نوح القضاة رحمه الله تعالى)

سألت عاشق النور: ما بال السيد الشريف يثني كثيراً على الشيخ نوح رحمه الله؟ وكان يتواصل معه في كثير من الأوقات قبل وفاته؟ وكانا يتباحثان كثيراً في شأن التصوف وسُبل إصلاحه من الداخل؟ ويتباحثان بقضايا الشأن العام للأمة؟ قال العاشق للنور وهو يعصر ذهنه ليتذكر بعض التفاصيل: عام ٢٠٠٤ م، تعرّف السيد الشريف على الشيخ نوح القضاه مفتي الجيش السابق، وزاره في بيته في مدينة إربد، وجرى بينهما حوار حول التصوّف، وحول أحوال المسلمين عموماً، وأذكر أن السيد الشريف قال حينها: **(الحقيقة أني أعجبت بهذا الرجل كثيراً، فهو عالم رباني، وأحسب والله أعلم ولا أزكّي على الله أحداً، أحسبه من الصالحين الذين جمعوا بين العلم والتقوى وحبّ أهل الله).**

ومعلومٌ أن الشيخ نوح رحمه الله من الرجال القلائل والنادرين في تاريخ المسلمين المعاصر، الذين جمعوا بين العلم والتقوى، والورع والعطاء المستمر حتى وفاته، ولأنه رجل بأمّة فكان كالشجرة المثمرة التي تموت في قمة عطائها وهي واقفة، كان رحمه الله يحمل في وجهه سيما العلماء الربانيين، وكان صاحب فكاهة خفيفة، تخفف قليلاً من هيبته الشديدة، وكان كريماً متبسماً ودوداً مع الجميع، وقد زاره السيد الشريف مرة في بيته فوجده في المسجد المجاور لبيته، يقيم احتفالاً

بذكرى ميلاد الرّسول ﷺ، فلمّا علم بقدوم السيد الشريف مع عدد من إخواننا ودخوله المسجد لمتابعة برنامج الحفل، أشار رحمه الله لعريف الحفل أن يقدّمه ليتحدث بهذه المناسبة الكريمة، فتحدّث بما يليق بصاحب المناسبة ﷺ، ثمّ انتهى الحفل، فقام واصطحب السيد الشريف وأتباعه إلى بيته المجاور، وكان معه من إخواننا ما يقرب من عشرين شخصاً، ودار الحديث بينهما، وكان حديثاً ذا شجون، تمتعنا نحن العاشقين بما دار بينهما... فقد شكا له السيد الشريف حال أهل التصوّف في هذا الزّمان، وما آلت إليه شؤونهم، وأشار هو إلى الحملة الكبيرة على التصوّف، وتبادلا الهمّ بهذا الشأن، وكان واضحاً ألمهما ووجعهما المشترك، وكان هذا اللقاء بداية طيبة لعلاقة متينة أثمرت أكلها فيما بعد، لما فيه مصلحة المسلمين، يقول السيد الشريف عن هذه الزيارة: **(وقد كان في زيارة سابقة يتحدّثُ معي بتحفظٍ عن التصوّفِ، أما في هذه الزّيارة فكان الأمرُ مختلفاً، إذ تحدّث عن أهمية لمّ الشملِ وجمع الصّف، قلت له: أنّ هناك أموراً تبدو على السّطح، وتشير إلى مخالفات صريحة لأحكام الشّرع الشّريف، ولا يمكن التقارب مع أصحابها لأنها قد تؤكد الاتهامات التي يُتهم فيها التصوّف، فكان أن اتفقنا في نهاية اللقاء).**

يقول عاشق النور متذكراً تلك الزيارة وما رافقها من حفاوة وإكبار وتوقير: قام رحمه الله لتوديع السيد الشريف ومن بصحبته من إخواننا، وهو يخاطبهم متبسماً بما يُكنّه في قلبه للسيد الشريف: **(شيخكم هذا! عضواعليه بالنواجذ)**. كان رحمه الله من دون أن يدري عاشقاً للنور مثلي، لكنه كتم حبه وأخذه معه في سريرته إلى آخرته، من الممتع يا أخي أن ترى نوراً يقابل نوراً، أو ترى عالماً ربانياً يقابل نوراً وضيئاً من آل البيت، أو ترى التودد بينهما وحديث الغرام الصامت يسري بين فؤادهما، ليتك كنت معي حين ودع أحدهما الآخر، كان رحمه الله يشكر

السيد الشريف على تفضله بالزيارة وتحمله مشقة السفر إلى إربد، وفي هذا الشهر المبارك، وكان السيد الشريف يشكره على حسن الإستقبال والضيافة. ثمّ بعد فترة فوجئ السيد الشريف بنبأ سفره رحمه الله إلى الإمارات حيث طلبتهُ الحكومة هناك لتأسيس دار للإفتاء أو ما شابه...

يقول عاشق النور متابعاً بحماسة وحرارة: بعد حين، وبعد أن توالت الأيام، إذا بسالم باشا الترك، يُعيّنُ رئيساً للديوان الملكي في الأردن، فذهب السيد الشريف لتهنئته في بيته بمنصبه، وفوجئ بأركان الدولة كلها عندهُ، فما كان منه حينما رآه إلا وأدخله إلى صدر المجلس، ونادى في ضيوفه قائلاً: أعرفكم على شيخي، الذي ألازم وعظه منذ ربع قرنٍ، وأوصيت أولادي بملازمةِ وعظهِ، ثمّ بعد الزّيارة نهض السيد الشريف للمغادرة فصحبه إلى الباب مودعاً، وقال له: انظر في أي أمر، ترى فيه خدمة للدّين وأستطيع عمله، فلن أقصّرَ إنشاء الله، فانتهزها فرصة ولم يضيّعها! فقال له: الشّيخ نوح!. (وكان السيد الشريف قد اصطحب الباشا قبل ذلك بزيارةٍ إلى الشيخ نوح)، قال: ما به؟ فقال السيد الشريف له: نحن هنا في الأردن أحوج إليه من الإماراتيين، قال: وكيف؟ قال له: الشيخُ نوح رجلٌ يندُرُ وجودُ أمثالِهِ من العلماء الرّبانيين في الأردن، قال: وماذا تقترح؟ فذكر له أكثر من فكرة للاستفادة من الشيخ نوح هنا في الأردن. فقال الباشا: أكتب اقتراحك على ورقة وأرسلها لي، وإن شاء الله لا أقصّر.

يقول السيد الشريف: **(وكنت قبل سفر الشيخ نوح قد تناقشت معه حول كيفية النهوض بالواقع الإسلامي في الأردن، فكان أن أشار إليّ بجملة من الخطوات ومن وحي هذه الخطوات كتبت للباشا مقترحات لدور يؤديه الشيخ نوح، وتكلمت عن أهمية الشيخ نوح، وحاجتنا إليه وإلى منهجيّته وعلمه، وأرسلت الورقة إلى الباشا. وبعد**

أسابيع عُيّن الشيخ نوح مفتياً للأردن، وأنيطت به مسؤولية رفع سويّة دائرة الإفتاء، وهو ما أراه على الوجه الأكمل، ورفع من مستوى الدّائرة، واكتسبت الدائرة في عهده ثقة الناس، وانفصلت عن وزارة الأوقاف وصارت قبلة للمستفتين من الناس).

يقول عاشق النور: حاول الشيخ نوح رحمه الله الاستفادة من السيد الشريف في دائرة الإفتاء بعد تعيينه فيها، لرفع سويتها ومصداقيتها عند الناس داخل الأردن وخارجه، لكن السيد الشريف رفض ذلك متعللاً بأن دوره في التربية والإرشاد، ومتفرغ لهذا الدور، وليس دوره في الوظائف والفتيا، وأن هذا الأمر له رجالٌ أكفاءُ مجتهدون، منتشرون في ربوع الأردن، والبلد يحتاج لهم اليوم، يقول السيد الشريف: **(زرت الشيخ نوح في الدائرة الجديدة مهنئاً، وإذا به يقول: أريد تعيينك مفتياً، قلت له: أنا لست أهلاً للإفتاء، ورسالتي بخلاف ذلك. قال: وكيف ذلك؟ قلت له: أنا شيخ طريقة، وظروفي لا تتناسب والوظيفة، قال لي: أمرٌ غريب أعرض عليك فترفض! وأعرض على الشيخ زكريّا فيرفض! (الشيخ زكريّا هو شقيق الشيخ نوح وهو رجل زاهد وأحسبه ولا أزكّي على الله أحداً، من الصالحين)، فمن للإفتاء إذن؟ أردف الشيخ نوح قائلاً. قلت له علماء الإفتاء العسكري المتقاعدون الذين ربّيتهم فيهم الأهلية والخير).** وهذا ما كان، وبتعيين الشيخ نوح رحمه الله في هذا المنصب الرفيع تمّ ضبط فوضى الفتاوى وردها لأهلها ليتصدروا الإفتاء، بعد أن اختار الشيخ نوح رحمه الله رجالاً فضلاء أتقياء، وحملوا الأمانة بهمة وعلم، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

يقول عاشق النور: كانت العلاقة بينهما متينة ومتنامية، وبنيت على الحب والإكبار والاحترام المتبادل، وكانا كثيراً ما يلتقيان

ويتباحثان في شأن التصوف وكيفية إحيائه على النهج القويم، إما تقويم أو محاربة أدعيائه، أو مناقشة مواضيع الدعوة وضرورة أن تكون راشدة بالحكمة ولين الخطاب، أو يبحثان الشأن العام للمسلمين، وكيفية العمل للنهوض بالواقع الحالي للأمة، فكان يجمعهما الكثير، من الوجع العام، والهمّ العام والرؤية المتقاربة في الحلول، وقد أقام الشيخ نوح يوماً وليمة في بيته على شرف الحبيب عليّ الجفري، ودعا السيد الشريف فيمن دعا لحضور الوليمة، وكان ممن دعاهم الشيخ عبد الكريم الخصاونة مفتي الجيش وقتها، والذي أصبح مفتياً عاماً للأردن بعد الشيخ نوح، كما دعا الدكتور عبد النّاصر أبو البصل رئيس جامعة العلوم الإسلامية، والشيخ اسماعيل سعيد الكردي، الذي كان له الفضل في معرفة السيد الشريف بالشيخ نوح رحمه الله. يقول السيد الشريف: **(وجرى حوار في الجلسة حول واقع الدّعوة في العالم الإسلامي. وأذكر يومها أن الحبيب الجفري تلقاني عندما دخلت بقوله: أهلا بابن العم. وكانت لي بعدها عدّة لقاءات مع الحبيب الجفري).**

يقول عاشق النور: تنامت العلاقة بين السيد الشريف والشيخ نوح، وتناغمت أرواحهما، من ذلك أنه أثناء عمل الشيخ نوح في دائرة الإفتاء، يذكر السيد الشريف ويقول: **(رأيت في منامي ليلة، الشيخ نوح يخرج من الدائرة، ويتجه إلى مكان مهجور، ويغتسل فيه غسلاً لا كأي غسل، يفرك فيه أعضاءه بشدة شديدة لم أعهدها في غسل، ثم يذهب إلى مكان آخر ويغتسل فيه غسلاً عادياً، توجّهت في اليوم التالي إليه في دائرته، وقصصت عليه الرؤيا، أطرق طويلاً، ثمّ قال لي: بماذا تؤوّله؟ قلت: الخروج من الدائرة، ثمّ أمسكت عن بقيّة الكلام... مرّت أسابيع، وفي صبيحة أحد الأيام قرأتُ في الصّحف خبر استقالة الشيخ نوح من الإفتاء، وتعيين الشيخ عبد الكريم الخصاونة مفتياً عاماً مكانه).**

يقول عاشق النور وهو يتنهد متذكراً نهاية أيام الشيخ نوح: مرّت الشهور، وفي أحد الأيام، وكان السيد الشريف في زيارةٍ لتركيا، وإذا برسالة تصله من سيدي خلدون، يخبره فيها أن الشيخ نوح مرض مرضاً شديداً، وأنه يعاني من مرض السرطان في ظهره، وأنه سينقل للعلاج في أوروبا... وبعد غياب نحو الشهرين في أوروبا أعيد إلى الأردن، وأقام في المدينة الطبية لتلقّي العلاج، ولم يُسمح بزيارته، وكأنه كان في غيبوبة. وفي ١٩ / ١٢ / ٢٠١٠ جاء الخبر ينعى الشيخ نوح إلى رحمة الله تعالى، رحل بعد أن غرس في كل وادٍ في الأردن بذرة من بذور الرجال الأتقياء، وترك خلفه إرثاً ومنهاجاً قويماً ليسير عليه طلابه ومريدوه وأحباؤه، ممن أحب الدين الوسط والمنهج السليم للدين، رحم الله هذا الشيخ النموذج وأسكنه فسيح جناته، وتأويل الرؤيا: أن الغسل الأول فيها كان المرض الشديد الذي عاناه قبل وفاته رحمه الله، والغسل الثاني كان تأويله: غسل الموت.

البَابُ الثَّالِثُ

فكرة إنشاء جامعة

قال عاشق النور ونحن في طريق المطار نسير في نزهة باتجاه الجنوب: لا يتوقف طموح السيد الشريف في تنوع أساليب الدعوة، وليس لروح الدعوة في داخله سقف يخفف من اندفاعه وتطلعاته، ففي عام ٢٠٠٤م، أعدّ مع أخيه سيدي محمد، دراسة متعمقة لتأسيس جامعة

في الأردن، على قطعة أرض تملكها مثابة دار الإيمان، تكون متخصصة فقط في تدريس الشريعة واللغة العربية، تحمل عبء تدريس المنهج القويم للإسلام، وفق رؤية حضارية، تستوعب الرأي والرأي الآخر، وتستوعب الفهوم المتنوعة عن النصوص الشرعية، وتطرح الإسلام الوسطي الذي جاء به صاحبه ﷺ، من دون غلو أو شطط أو تشنج، وتكون عمان بذلك حاضنة لهذا النهج الوسطي الجامع لكل أطياف الفكر والعمل الإسلامي، واقترحا لها اسماً هو: (جامعة الأزهر الأردنية)، وأظهرا في الدراسة حاجة الأردن لهكذا جامعة، وضرورة التركيز على مناهج الأزهر الأصلية، التي كان لها في تاريخنا الإسلامي الأثر الكبير في تجميع المسلمين ونشر ثقافة التسامح التي يتمتع بها الإسلام، وكذلك المنهج الوسطي المعتدل، ولما في منهاجها من نفع نحن بحاجة إليه اليوم، أمام هذا الموج الهادر من الفتاوى والمناهج المستحدثة والغريبة عن ديننا وقيمه، والتي كان لها بالغ الأثر السّيء فيما آلت إليه أحوال المسلمين...وعرض السيد الشريف تلك الدراسة على سالم باشا لتقديمها للجهات المختصّة، حتى تنال الموافقات الرسمية، ويشرع في إجراءات الترخيص، وكان أن عرضها سالم باشا على الأمير غازي بن محمد، الذي استدعى السيد الشريف لمناقشة الفكرة، يقول السيد الشريف: **(فقابلته في بيته في لقاءٍ دام أكثر من ساعتين، كانت حصيلتهُ أن الحكومة تريد هي أن تتبنّى التعليم الديني العالي، ولا تحبّذ الترخيص لجهات خاصة، واقترح عليّ أن ننشئ مدرسة أزهرية بالتعاون مع مؤسسة آل البيت، إلا أن ملكية الأرض للمثابة حالت دون إتمام هذه الفكرة. وبعد مدة جرى الإعلان عن تأسيس جامعة العلوم الإسلامية، برئاسة سمو الأمير غازي، وقد وجدت فيها وفي منهاجها وطاقم تدريسها بديلاً مقبولاً عن الفكرة التي تقدّمنا بها، وهو ما سرّني فعلاً).**

البَابُ الرَّابِعُ

زيارة فلسطين وكتاب الدلالة

يقول عاشق النور عن ذلك الحسّ الداخلي عند السيد الشريف للدعوة ولهداية الناس للمنهج الرباني، في داخله شيء ما متوهج دوماً، يحثه على الدعوة والعطاء باستمرار، شيء ما قلق في داخله، يجعله ينوع السبل في سبيل تبصير الناس والمجتمع، فقد قام بزيارة إلى فلسطين عام ١٩٩٨م، ليطلع عن كثب على أحوال الناس هناك وينظر إلى أنواع معاناتهم، وليرى عن قرب فهم الناس دينهم، وفهمهم سنن ربهم، فزار خلال تلك الزيارة القدس الشريف وزار فيه المسجد الأقصى، وسمع هناك ألمه وحشرجة بكائه وغربته، فتألم لألمه وأصابه كرب وغمّ، يقول السيد الشريف: **(وأخذني فيه الوجع والألم، حتى لكأني تمنّيت أني لم أزره للحالة المحزنة المبكية التي بدا عليها، تأمّلت مآذنه الخرساء وقبابه المنحنية، وكأن كلاب الأرض قد تجمّعت من حوله)**، كما زار الحرم الإبراهيميَ الشريف، وزار قبور الأنبياء فيه، يقول السيد الشريف: **(وأخذني حال شديد عند مقام جدّ الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام. وقد عكّر صفو الزيارة وجود الصّهاينة في المسجد وتدنيسهم له)**. كما زار زاوية الأشراف المغاربة إلى جانب الحرم الإبراهيمي، وزار قبور أجداده فيها، وزار زاوية سيدنا خيرالدين الشريف (جده) قدست أسراره، وقام بتجديد فرشها، وأقام له أبناؤها حفل استقبال فيها، حيث جاء عدد كبير من أبناء المدينة لتهنّئته بالزيارة. مكث في الخليل ثلاثة أيام استقبل فيها كثيراً من المحبين والأقرباء

والأصدقاء. ثمّ توجه مسافراً نحو شمال فلسطين، حيث زار مدينة قلقيلية، واطّلع فيها على خدمات زاوية الأشراف المغاربة فيها، وعلى خدمات مثابة دار الإيمان فيها، والتقى بإخواننا هناك، واطمأنّ على أحوالهم وشؤونهم، ثمّ توغّل إلى الشمال إلى الداخل الفلسطيني، الذي احتلّ عام ثمانية وأربعين. فزار فيها بُحيرة طبريا والجولان والناصرة وصفد وإصبع الجليل وعكا وحيفا ويافا والمثلث، وأقام بضعَ ليال في كفر قرع، حيث التقى ببعض الإخوان، واطّلعَ من آخرين على واقع الدّعوة بشكل عام، وواقع التّصوّف بشكل خاص، ومما سرّه وجود إقبالٍ على الدّين لدى المرابطين داخل فلسطين، لكنه وجد سوء فهم عن التّصوف عندهم، نظراً لكثيرٍ من الممارسات الخاطئة التي تمارسُ هناك باسم التّصوّف، والتقى بأعدادٍ كبيرةٍ من النّاس هناك في المساجد والبيوت، وألقى الكثير من الدّروس والمحاضرات والنّقاشات والحوارات، حتى إنّ صوته بُحّ لكثرة ما تكلّم وحاور، واستطاع في أيام معدودةٍ تغيير كثير من الصّور السّائدة إلى الأفضل، من خلال طرحه لمفهومه عن التصوف في هذا الزمان، وكيف يطبق هذا الفهم على أرض الواقع في عمان، لكنّ الأمر يحتاج إلى شهور وسنوات لا إلى أيام.

يقول عاشق النور: إنّ بركات هذه الزيارة عظيمة، فهذا التطواف في البلاد، حرك في داخل السيد الشريف حسّ العمل الفعال للدعوة، وتأصيل هذا الفكر الدعوي، والمنهج التربوي، بمادة غنية يحتاجها الناس في عصرنا، حتى يميزوا بين الغث والسمين، ولذلك عند عودته من زيارة فلسطين الأولى، عكفَ على جمع الأسئلة التي كانت تطرح على الدّوام حول التصوف، وجلس بضعة أشهر للإجابة عليها، ولتوضيح شرعيتها وتأصيلها بالأدلّة الشرعية، فكان أن تجمّعت مادّة

جيّدة قام بتحويلها إلى كتاب سماه (**الدّلالة النّورانيّة للطريقة الخلوتية**)، ساهم في تشكيل وعيّ جيّدٍ لدى أبناء الطّريقة وللمتسائلين من حولها.

البَابُ الخَامِسُ

التقريب: حاجة مُلحة للأمة

يقول عاشق النور: إن تفرق الأمة إلى أحزاب شتى، وكل حزب بما لديهم فرحون، والفكر الهدّام المنتشر بين أدعياء العلم الذي يقصي الآخر ويكفّره ويبدّعه، وأحياناً يخرجه من الملة، وعدم الاستعداد عند البعض لقبول الآخر إن اختلف معه في الفروع أو الفهوم، هو نذير خطر محدق بالأمة أشد من خطر الأعداء...ويرى السيدُ الشريف أن المدارس الإسلامية المتنوعة، تثري المشهد الثقافي الإسلامي، وتثري الفكر الإسلامي، الناتج عن الفهوم المختلفة والاستنباطات المتنوعة للنصوص الشرعية، وأن هذا التنوع هو حال صحية وليست مَرَضية، ومن هنا كان ولا يزال يدعو إلى أن يكون هذا التنوع في الفهوم والاستنباطات، محل التقاء وتجاذب للحوار الدائم والمستمر بين المسلمين، ومحل إكبار للجميع، لأن الإسلام وعاء يسعُ الجميع، ويسعُ هذا التنوع في الفهوم، وهكذا كان شأن الصحابة رضوان الله عليهم، فقد تنوعت فهومهم عن النبي ﷺ، وتنوعت استنباطاتهم، ومع ذلك كان حبل الود هو الرابط بينهم جميعاً، ولم يكن الفهم عن الله أو عن رسوله ﷺ سبباً للنزاع بينهم في يوم من الأيام...

ويقول عاشق النور: كما أن العمل للإسلام يختلف من مدرسة إلى أخرى ومن فهم إلى فهم آخر، لكن العمل للإسلام مهما يكن شكله ومضمونه، فهو محل تقدير من السيد الشريف دوماً، بل ومحل احترام، ويقول: إنّ أيّ جُهدٍ يُبذل من أي مسلم، ومهما كان فكره، فهو في صالح عموم المسلمين حتماً، وكلٌ منا على ثغر، كما يؤكد دوماً، أن الحقيقة لا يستطيع أن يحتكرها مسلم أو مجموعة، فهي كانت فقط عند النبي ﷺ ثم تفرقت بين أصحابه، على قاعدة: **(بأيهم اقتديتم اهتديتم).**

كما يرى السيد الشريف أن منهج التصوف الصحيح، وفكره النيّر ورجاله الأتقياء، هم الأقدر على جمع الصف الإسلامي المشتت والمبعثر اليوم، وهم النقطة الوسطى القادرة على هذا الجمع، وأنه لا فلاح للأمة ولا خروج لها من أزمتها من دون هذا الجمع والتلاقي. ومن الملاحظ بعد دراسة فكر السيد الشريف في هذا الإطار ذكره الدائم، أن الأمة بخير ما اجتمعت على الثوابت المشتركة وهي كثيرة جداً، وذكره أيضاً: أن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا عليه وفرّقنا وهو قليل جداً، والبداية تكون بالرغبة عند الجميع في التلاقي، وأن تكون هذه الرغبة صادقة في حنايا القلب، حتى يُسهّلَ الله تعالى هذا التلاقي الإيجابي، وأن نبتعد عن إقصاء الآخر مهما كان منهجه، وأن نتوقف عن تكفير الآخر مهما اختلفنا معه...

وقال عاشق النور: إن هذا الفكر النير موجود في الأمة، وموجود عند كثير من العلماء والصالحين والغيورين على الإسلام، لكنّ المشكلة أن صوت التجميع ضعيفٌ وواهٍ، وصوت التفريق والعداوة وزرع البغضاء بين المدارس الإسلامية هو السائد والأقوى، ولا يخلو الأمر من أيادٍ خبيثةٍ تُضرم النار في هذا الفكر المفرق كلما خَفتَ لهيبها..

وأذكر أن السيد الشريف قال مرة: **(عند تخرّجي من الجامعة، طُلب منّي ما يسمّى: ببحث التخرّجْ، فاخترت له موضوعاً رأيته مُهماً، وهو: (التّقريب بين المدارس الإسلامية ودور التّصوّف فيه)، وقدّمته للجامعة، وحصلت على درجة الامتياز به، كما حصلت على درجة البكالوريوس بدرجة الإمتياز أيضا في الدّراسات الإسلامية).** ولمّا اشتدت الهجمة على العالم الإسلامي في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وبعد احتلال العراق وحرب لبنان، وكان واضحاً أنّ من أهداف الأعداءِ إحداث فتنة بين المسلمين أنفسهم، من خلال إثارةِ الفتن المذهبيّة والطائفيّة والأقليات الإقليميّة، وإثارة النعراتِ بين أطياف المجتمعات، لتنشغل بنفسها عن عدوّها، حتى يتفرّغ العدو لتحقيق أهدافه وأطماعه. يقول السيد الشريف: **(ومما آلمني أنّ كثيراً من الدُعاة وأشباههم، وقعوا في هذه المصيدة، إنْ بدرايةٍ، أو بسوء فهم منهم، أو ببلاهةٍ وقِصَر نظر، فراحوا ينفخون في نار الفتنة، التي إن حدثت لا سمح الله، فلن تُبقي ولن تذر، وقد كنت أعمل في خطب الجمعة والدّروس والمحاضرات على إطفاء جذوة هذه النار ما استطعت لذلك سبيلاً... ثمّ تذكرتُ بحث التخرج، فقرّرت تحويله إلى كتاب أنشرهُ، عله يخفف من غلواء هذه الفتنة، فكان أن عرضته على الشّيخ نوح رحمه الله، الذي أعجبَ به، وقدّم له مقدّمة نُشرت على صفحاته الأولى)**...

يقول عاشق النور متألماً: ولكن للأسف كان الأمر الذي دُبّرَ بليل طبقاً لمؤامرةٍ حيّكت خيوطها في ليل بهيم، كان الأمر أكبر من أي جهدٍ، فقد استنفرتْ فيه وسائل الإعلام المغرضةِ بكل أشكالها، من مقروء ومسموع ومشاهد، وقد كانت هذه الحلقة ضمن سلسلة حلقات التداعي على هذه الأمّة. وما زال معول الهدم في جسد المسلمين يفعل فعله، بأيدي المسلمين، وبتحريض دوائر غربية لا تريد الخير للمسلمين، وكلنا أمامهم سواء، نسأل الله العافية والرشاد.

يقول السيد الشريف: **(والحقيقة أن فكر التّقريب ظلّ يلازمني عقوداً طويلة حتى إنّي في تسميتي لأبنائي وبناتي كنت أتمثّل هذا الفكر فسميت ولدي الأول محمد نسبة إلى النبي العربي الذي جمع العرب بعد شتات، ثمّ صدّيق نسبة إلى أبي بكر الذي أطفأ نار الفتنة بعد الردّة، ثم عليّ نسبة إلى الإمام عليّ شيخ المقربين الذي أبى الفتنة، وكان بالنسبة للشيخين أبي بكر وعمر نعم المستشار ونعم الولي، وكان للأمة نعم القائد... أما بناتي فكبراهن امتثال نسبة إلى الإنصياع لأمر الله ورسوله والطاعة المطلقة، أما بُشرى فلما أراه من فجر صادق قادم لهذه الأمة، وأما أسوة فهي القدوة الصالحة للأمة قدوة في العمل وفي القول وفي الطاعة والإخلاص قدوة وأسوة في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، أما سلمى فهو من أسماء الكعبة، وهو من السلامة أيضاً، فالكعبة هي قبلة كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ومدارسهم، وفي الاجتماع على القبلة الواحدة والهدف الواحد سلامة هذا الدين وسلامة هذه الأمة).**

الفصل الخامس

قراءات السيد الشريف في الواقع الإسلامي

مقدمة

الباب الأول: لابدّ من الإسلام الشامل في مقابل الهجمات المستمرة

- أفغانستان... مصيدة أخرى
- ثمنٌ باهظ لبضاعة مزجاة

الباب الثاني: الحركات الإسلامية ودورها: مراجعة نقدية هادفة

- احتكار الحقيقة
- الاهتمام بالشكل من دون المضمون
- العبث بالأرواح باسم الإسلام
- السياسة والحكم
- إحياء القلوب بالقرآن
- تحري أشخاص الجهد الدعوي
- مراعاة الأدوات الدعوية لكل عصر

مُقَدِّمَة

يقول عاشق النور وهو يتحدث عن فكر ومنهج السيد الشريف الإسلامي الوحدوي: لقد بذل السيد الشريف جلّ عمره في الحديث عن وحدةِ الأمّة، وكان ولا يزال يتلمس قوتها بوحدتها، وقد أمضى عمره يحلم بوحدة هذه الأمّة من جديد، وعند كل بارقةٍ تلوح في شرق العالم الإسلامي أو غربه، يتحمّسُ له، عساه يكون شرارة الوحدة المرتقبة، وقد كان يتابع الأحداث منذ نعومةِ أظفاره، بكل التفاصيل وبمنتهى الشّغف والاهتمام. بحكم صلته الوثيقة بوالده الجليل رحمه الله، وكانت خطب الجمعة التي يلقيها في المساجد تغطّي الأحداث ضمن قالب وحدويّ غيور. يقول السيد الشريف: **(ولا أذكر في حياتي أنني وقفت ضدّ أي مشروع نهوضي للأمّة، علّ الله يطلع عليه ويؤيده، بدءاً من المشروع الناصري، وانتهاءاً بالمشروع الصدّاميّ، مروراً بكلّ مشاريع الأمّة، التي تبيّنَ لاحقاً أنها على غير هدىً، لكنها الغيرةُ على هذه الأمّة الخيريّة، والتعلق بسرابٍ عساهُ يضيء شمعة في الظلام الدّامس، وبدلاً من تقدم المسلمين للأمام، كان التراجع للخلف).**

الباب الأول

لا بدّ من الإسلام الشامل: في مقابل الهجمات المستمرة

يقول عاشق النور: من شدة اهتمام السيد الشريف بنهضة الأمة، كان يراقب كلّ الحركات الإسلاميّة، وكان يرقب خطواتها، يقول في هذا الشأن: **(وأنقدُ في سِرّي أخطاءها، وأدرك حين أرى الأخطاء أنها ستتعثر؛ لأنها خالفت سُنَنَ الله في التغيير، وسُنن الله في الجهاد، وسُنن الله في الدعوة، وسُنن الله في النظرة للآخر، مسلماً كان أو غير مسلم. في حرب ١٩٧٣م، كنت صغير السن، لكنني كنت أرقبُ تقلب أبي على جمر الصبر، وهو يُتابع الأحداث لحظة بلحظة، إلا أن الصبرَ لمّا تقضّى، لم يُبق لنا إلا الجمرَ يحرقنا بناره، فأمّة تقاتل بصيحات القومية والوطنية والإقليمية والاشتراكية والإلحاد أحياناً، أنّى لها أن تنال نظر الله، ومع ذلك كنا نتعاطف مع الجنود الصائمين المُكبّرين).**

يقول عاشق النور: ثم بدأ الوعي عند السيد الشريف يتشكل، بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا سبيل للخروج من المهانةِ والذلةِ إلا بالإسلام، نعيشه واقعاً في تفاصيل كل حياتنا، وصار هذا ديدنه، وهذا منهجه الذي ينافح عنه ويدعو له على المنبر وبين أتباعه، ثم جاءت أحداث لبنان والاقتتال الداخليّ فيه، لتبدو لنا صدق مشاعره وتدفق عواطفه، فبمقدار تعاطفه مع الثوار الغيورين على ثورتهم ونبل أهدافهم، إلا أن رفعهم الشعارات الأرضية، والرايات العلمانية، كان يُشير إليه بالفشل القادم من قريب، وليس فقط من بعيد، وكان يحزنه

جداً، أن نتربى على قيم الوطنية والديمقراطية والشعبوية بعيداً عن كل أسبابِ النصر، المتمثلةِ في ديننا العظيم وقيمهِ وسُننهِ، وكان يقول: مخجلٌ جداً أن ننادي بالجهوية والإقليمية والشمال والجنوب والشرق والغرب، والله تعالى قد جعلنا من قبلُ أمّة واحدة... ويقول: مقرفٌ جداً أن نقلد الغرب وأمريكا في قيمها المتهتكة وأخلاقها المنحلة وديمقراطيتها المخادعة، ثم نقاتل ربيبتهم إسرائيل بدوافع الوطنية والقومية، وكان يتوجّع وهو يقول: مؤلمٌ جداً أن نُجرّبَ كل المفاهيم، وكل تجارب الأمم الأخرى في مجابهة أعدائها، وكلها تفشل معنا وتردنا إلى الوراء، وتدخل في نفوسنا الإحباط واليأس، وندع السبيل الوحيد للنصر من دون تجربتة، وهو سبيل الله الذي وعدنا بالنصر إن نحن سرنا وفق ما أمر، وعدنا بالنصر إن نصرنا دينه، فانتصرنا لكل شيء إلا للدين!... والسؤال المحير الذي كان يؤلمه: كيف ينتصر من يجاهد وهو يحتسي الخمر؟ كيف ينتصر من يجاهد وهو زانٍ لم يتب؟ كيف ينتصر من لا يعرف الصوم ولا الصلاة؟ حتماً سيولي الدبر!

يقول عاشق النور: وبينما نحن في سكرة الهزائم والانكسارات، وتردي حال الأمة، وبُعدها الشديد عن الإسلام ودواعيه، إذا بأحداث الثورة الإيرانية في إيران، ومضة من نور شعّ في هذه الثورة لرفعها راية الإسلام، لكنها سرعان ما ذهبت هذه الومضة كما ذهب غيرها، وقد آلمه كثيراً جداً، بدء الحرب مع العراق، يقول في ذلك: **(كنت أرقب إيران التي كانت في خندق إسرائيل أيام الشاه، وأتمنى أن تكون في خندق المسلمين، ولما تخلصت من فرعونها وجاءت براية الإسلام، كاد لها ولنا الأعداء، وأوقعونا في محرقة الحرب العراقية الإيرانية، التي دامت ثماني سنوات أحرقت فيها الأخضر واليابس، وبُدّدت فيها ثروات الدول العربيّة وفتكت بالثورة الناهضة وما عوّلنا عليها من آمال، وفتكت بالمشروع العراقي المعوّل عليه أيضاً، هكذا نحن في**

هذه الأمة ما أبسط أن نفرّط في مكتسباتنا، وما أبسط أن يخدعنا عدوّنا، وأن يوقعنا في دماء بعضنا بعضاً).

يقول عاشق النور: انتهت الحرب بخسائر فادحة في المستوى العسكري والمادي والسياسي والاقتصادي والديني والأخلاقي، تماماً كما أراد لها العدو، وذهبت هذه الحرب بأي أمل لدى الشعوب في المشروع العراقي النهضوي، وكذلك بالمشروع الإيراني الإسلامي، ثمّ جاءت حرب العراق على الكويت، تماماً كما أراد العدو لضرب القوة العراقية الصاعدة، وجرى استدراج العراق لهذه المصيدة بسهولة، لأن الأمور تسير على غير هدىً، يسير المرء فيها مكباً على وجهه، ومع ذلك وغيرة على المشروع النهضوي، كان السيد الشريف يقف إلى جانبه رغم كل مؤشرات الفشل ولكن ما باليد حيلة، لأن دواعي التوجه لوحدة الأمة أقوى في داخله ووجدانه من أي نداء.

أفغانستان: مصيدة أخرى:

يقول عاشق النور: أما حرب الاتحاد السوفييتي الشيوعي على أفغانستان فكانت نظرة السيد الشريف إليها من باب الشفقة على الشعب الأفغاني الذي اكتوى بنارين نار القوة الإلحادية الباطشة التي لا تعرف الرحمة، ونار الأمريكان وحلفائهم الذين رقصوا على جراح الأفغان واستغلوا رغبتهم في التحرر، واضطروا لأخذ المعونة منهم ومن حلفائهم، فوقعوا بين نارين... فاستطاع الأمريكان من خلال المجاهدين إسقاط امبراطورية الإلحاد، ثم بعد ذلك هجموا على المجاهدين لحرقهم مرة أخرى. وكانت مصيدة للمسلمين أجهز فيها الغرب الحاقد على أي فكر تحرري لدى الشعوب الإسلامية، وكان السيد الشريف يعي هذه الحقيقة وقد أبدى كامل التعاطف في وعظه وخطبه مع هؤلاء الضحايا.

كانت أفغانستان أملاً يراود المخلصين في الأمة، واندفع الشباب المسلم من كل أطيافه ومدارسه لمناصرة هذه البذرة الواعدة، لكن الأمريكان كانوا بالمرصاد، فأجهزوا على الجميع، ونشأ من بقاياهم شباب كره الغرب وكره أفعالهم، وحمل فكراً جديداً يقوم على الحقد والبطش والقتل لكل الناس، فارتد الإخلاص للإسلام إلى فكر ومفهوم للجهاد دخيل لم يعرفه الإسلام ولم ينادي به، وبدأ الهرج والمرج في البلاد... نسأل الله تعالى أن يردنا إلى ديننا ومنهجه رداً جميلاً.

ثمن باهظ لبضاعة مزجاة:

يقول عاشق النور: ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي يعتقد السيد الشريف أن فاعلها هم الصهاينة مع اليمين الغربي المتصهين، لكنهم حمّلوا المسلمين وزرها، وهذا أمرٌ دبر بليل، فبدأوا بحرب شرسة ووقحة على ديار المسلمين، لغاية في أنفسهم، وجاء على إثرها احتلال أفغانستان بالكامل، وأعقب ذلك احتلال العراق وسقوط بغداد، وكأن كل بناية من بنايات نيويورك احترق بدلاً منها بلدٌ عربيّ أو إسلاميّ. وسقوط بغداد لدى المسلمين يعني لهم الكثير، لأنه يوجع القلب، فقد كانت عاصمة الخلافة، ومركز إشعاع حضاري، وكانت ملتقى الثقافات في التاريخ. وإصرار الغرب على إسقاط بغداد كان له دلالات أرادوها، وكان لهم ما أرادوا... تألم العرب والمسلمون كثيراً لهذا السقوط الذي جاء بعد ستين عاماً من سقوط فلسطين، فنكأ سقوطها جرحاً نازفاً من سنين...

يقول عاشق النور: كانت بغداد عاشقة للنور دوماً، وضمت في أحشائها كثيراً من النور والحب والغرام، وكان ولا يزال المسلمون يتوسلون إلى الله بأهل بغداد الطيبين، ويتوسلون إليه بالنور المضيء أبداً في وجنتها وجبينها، ويتوسلون إليه بالعلوم التي أهدتها للعالم حتى

غدت به أكبر، ويتوسلون إلى الله تعالى بالكرم البغدادي والقدر البغدادي والعشق البغدادي، جريحة بغداد وحزينة، وتنام على ذكرياتها الجميلة، التي سرقها منها الأمريكان، كما كانت معشوقة لكل المحبين، وما زالت صبية جميلة وضاءة رغم أنها بلغت الألف سنة من عمرها أو تزيد...

يقول عاشق النور: دُمرت أفغانستان ونهبت خيراتها، وأهينت كرامة شعبها، ودُمر العراق ودمرت مكتسباته، وقتل أهله وعلماؤه، واستقوى الأعداء على الأمة بهذا العنف في التقتيل والإجرام الممنهج والمقصود...وجاءت أمريكا وجاء معها الغرب المتصهين، في هجمة على المنطقة الإسلامية لإعادة تشكيلها بما يتناسب مع أطماع الصهاينة، بحيث تكون الشعوب فيه مستكينة ذليلة منقادة، ووقع الشباب العربي والمسلم، في حبل الإحباط واليأس والمهانة، وسُدّت في وجهه كل الآمال بالحرية والكرامة والنصر، وجاءت الأزمة الاقتصادية لتزيد الطين بلّة، فازداد الفقر وازدادت البطالة... وفوق كل ذلك أطلت الفتن من جديد، أمر ما دبّر بليل من حاقدين على هذه الأمة، لضرب كل مقومات نهوضها، ومنع إحياء مشاريعها، وتثبيط عزيمة شبابها، ولإيقاع العداوة بينهم... فأطلّت الفتن المتنوعة، هذا مسلم وهذا مسيحي، وهذا سنّي وهذا شيعي، وهذا أمازيغي وهذا عربي... حتى بين أبناء القطر الواحد، هذا شرقي وهذا غربي، هذا أبيض وهذا أسود، هذا شمالي وهذا جنوبي، كما أطلّت مشكلة السودان وعملية تمزيقه بين العرب والأفارقة، وأطلت مشكلة العراق بين العرب والكرد، وبين السنة والشيعة... فتنٌ كقطع الليل المظلم، حتى صارت الأمة الواحدة قبائل شتى، وصار الدين الواحد مذاهب وطوائف... وها نحن صرنا كالغنم في الليلة المطيرة... يقول السيد الشريف: **(حاولت طرح كل هذه المواضيع في خطب الجمعة والدروس وفي المناسبات، وكنت على الدوام أرى الشعارات البرّاقة، وأرى كل حزب بما لديهم فرحون،**

وعدت من جديد أطرح فكر التقريب، وأن لا نجاة لهذه الأمة إلا بالإسلام، وأنها الكلمة الأحب إلى الله، لأنه سمّانا بها، وكنت أتمثلُ قول الله عزّ وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾، وأن هذا المسمّى: (مسلم)، أفضل بكثير من مسمّى صوفي أو إخواني أو وهّابي أو تحريري أو سنّي أو شيعي، أو أي مسمّىً آخر، قد يوقع الفتنة بين أبناء الأمة الواحدة).

يقول عاشق النور: ومن وسط هذا الإحباط والتردي، الملاحظ في أحوال المسلمين، ومن وسط هذا اليأس من بارقة أمل لدى الشعوب العربية والإسلامية، في عون أهل الأرض، أو في مدد الله، بعد تلك الانهزامات والانتكاسات المتكررة، ومن وسط عزوف الناس عن الدين وأهله...جاءت حرب اليهود الصهاينة على لبنان في صيف عام ٢٠٠٦م، ثمّ حربهم في شتاء عام ٢٠٠٩م على غزّة، واللتان صمد فيهما الشعبان ببسالةٍ وعزةٍ وكبرياءٍ، وتحملوا الأذى الواقع عليهم، وتحملوا ألم الحرب والدمار بصبرٍ وعزيمةٍ وإباءٍ، كل ذلك قد برهن لمن حول السيد الشريف من الأتباع والمحبين، على حقيقة ما كان يكرره كثيراً بقوله: من أن هذه الأمّة، أمّة خيرية لا يفنى خيرها، وإن خبا ومرض واعتلّ، لكنها أمة لا تموت ولا ينقطع خيرها لأن الخير فيها يتجدّد، وأنه لا ينقطع صوتها، ولو خفت أو بُحّ أو صمت يوماً، فلا بدّ له أن يعود يصدح بالحق والسّداد، وأن وهج نورها وإن وهى يوماً أو يكاد، فلا بدّ له من أن يعود ليشع فيها ثانية لينير درب الحائرين والمتعبين.. وبذلك بات السيد الشريف أكثر إيماناً ويقيناً، بأهمية فكر التقريب بين أبناء الأمة الواحدة، وأنه لا بدّ من إعادة التجميع لكل أطياف المجتع المسلم... ويبقى السؤال الملحّ أبداً: ما هو دور التصوّف الصحيح في التقريب؟

الباب الثاني

الحركات الإسلامية ودورها

مراجعة نقدية هادفة

يقول عاشق النور: كان السيد الشريف ولا يزال يتابع عن كثب واقع الحركات الإسلامية، ويرصدُ إيجابياتها وسلبياتها، ويسرهُ نجاحات أي حركة، ويرى في أي نجاح، رصيداً لصالح المسلمين، وتسوؤه أي سلبية أو إخفاق يظهر عند أي حركة، ويراه جرحاً مؤلماً في جسد العمل الإسلامي، لأن المسلمين جسدٌ واحدٌ، وهذه المتابعة الحثيثة منه، جعلته يتجنب كثيراً من أخطائهم أثناء مسيرته الدعوية، كما أنه عندما يحاور بعضاً من رجالات هذه الحركات، فإنه لا يبخل عليهم بالنقد البناء، أو النصيحة الهادفة، لأن المركب الذي يسير بالمسلمين واحد، والنفع والضرر يصيب الجميع. ومن ملاحظات السيد الشريف على هذه الحركات، يحضرني بعض السلبيات التي لاحظها فيهم، والتي تعدّ مقتلاً للحركات الإصلاحية الإسلامية، ولا بأس من ذكرها لاستخلاص العبر، ولتكون منارة للعمل الدعوي المخلص لأي داعية، من ذلك:

أولاً: احتكار الحقيقة:

تدّعي غالبية هذه الحركات أنها تحتكر الحقيقة، بل وتطرّفت أخرى وادّعت أنها تملك وحدها الحقيقة، وكلّ ما سواها ضالّ أو كافر، وعلى أقل تقدير تصف سواها بالمبتدع، فاختطفت بذلك الدين وتألّت على الله، وعادت بالناس إلى القرون الوسطى وصكوك الغفران، وبدأت

تفرز الناس: هذا إلى الجنّة وهذا إلى النّار، بمعنى مَن على فكري ومنهجي فهو إلى الجنة، ومن يخالفني فإلى النار، وأخذتْ بتكفير النّاس، مع أن الرّسول ﷺ يباهي بأمته الكثيرة، ولكنهم يعملون على تقليلها بالتّكفير وإخراج أهل الملّة من الدّين.

يقول عاشق النور: ومما يؤلم السيد الشريف في دعوتهم، أنّهم لا يقبلون في المجال الفقهي غير فقههم، وهذا الفكر يضعف الأمة ويشتتها، وهذا أيضاً مناقضٌ لتاريخ هذه الأمّة الغنيّة بالتّنوّع الفقهي الذي أثرى الحياة الإسلاميّة بل الإنسانيّة، ومنحها القوة والعزة والمنعة، من هنا يرى السيد الشريف، أنّ الجماعة التي تفرق المسلمين وتفرزهم، ولا تقرب بينهم، لا يمكن أن يكون لها دور في نهضة الأمّة.

ونظرية السيد الشريف في ذلك المنهج واضحة وبينة: أنّ الذي يُفرّق لا يمكن أن يَجمَع ويَلمّ، لأنّ الذي يفرق لا يقوى على قبول الآخر، وهذه الأمّة بحاجة لمن يجمعها بكل أطيافها ومدارسها وطوائفها ومذاهبها، برّها وفاجرها...وهنا أقف إكباراً وإجلالاً لهذا الطرح ولهذا الرأي السديد من السيد الشريف، لأن قوله: فاجرها، يعني أنّ الشّباب الذين ضلوا وحادوا عن الطريق وجادّة الصواب، يرى فيهم خيراً، وهذه رؤية أهل الله لكل الناس، ورؤية من يريد الخير لكل الناس، ورؤية الداعية السويّ غير المضطرب، ورؤية الداعية غير المأزوم، ورؤية الذي ورث عن النبيّ ﷺ حرصه على هداية الناس، كل الناس، بالحكمة والموعظة الحسنة، لأن سبب ضلال وابتعاد هؤلاء الناس عن درب الله، هو الإحباط واليأس والألم المستمر مما يرى ويسمع ويعيش، أحبطه الواقع المرّ للأمة، وأفقده توازنه لأنهُ أصيب في مقتل، أصيب في كرامته وعنفوانه وأماله ومقدّساته، فراح للفسق قهراً، ليُسكت ضميره الذي آلمهُ وخْزهُ، فراح يتمطّى، وترك صلاته وصيامه ووقوفه

بين يديه تعالى لينسى واقعه المحبط... لكننا لو دققنا النظر في قلب أي شاردٍ، لسمعنا هاتف العشق في داخله لربه، ولسمعنا نبض الحبّ بين ثنايا فؤاده لخالقه، ولسمعنا آهات الحبّ للنور المحمديّ تحرق شغاف قلبه، لذا فهو في بعده وكدره، يريد أخاً سنداً معيناً ناصحاً، يميط لثام الإحباط واليأس عن فطرته الأصلية، ويكشف عن خبايا قلبه المتلهفة لربه، ويأخذ بمجاميعه إلى الله عزّ وجلّ، ويُحيي فيه الأمل والرّجاء من خلال هذا اليأس والخمول الجاثم على قلبه...أمّا أن يُنعت بالكفر والضّلال، فهذا ما يجعله سادراً في غيّه، فريسة للشيطان، والأصل أن لا يكون المرء عوناً للشيطان على أذيّة أخيه، بل عوناً للأخ على حبائل ومداخل الشّيطان.

يقول عاشق النور: أما رأيت معي إلى حركات الشباب اليوم في تونس ومصر، كيف أظهرت لنا الوعي والرشاد بين شباب الأمة، وكيف أظهرت إرثاً حضارياً راسخ الجذور، كثيراً ما راهن عليه الدعاة والمخلصون من هذه الأمة، وكيف استطاعوا من خلال فهمهم لدينهم وثقافتهم، أن يستوعبوا كل المكونات الشعبية، بل وكل الأفكار والطروحات على الساحة، فكانوا جديرين بهذه المبادرات الواعية، وقد خرجوا من قلب المحنة أكثر وعياً ونضجاً، بعد أن استخدموا العولمة وأدوات العصر الحديث لإحياء الأمل في الأمة من جديد.

ثانياً: الاهتمام بالشكل من دون المضمون:

يقول عاشق النور: ومما يأسف له السيد الشريف، أنّ بعض الحركات الإسلامية، اهتمّت بالمظهر بعيداً عن الجوهر، حتى أفرغت الدّين من محتواه، وأفرغت أعمال الإسلام من روح ذلك العمل، فالصّلاة غدت اهتماماً بالحركات، بلا خشوع أوأثر في النهي عن

المحرمات، والحج غدا إرهاقاً ومشقة، أو رحلة استجمام، بعيداً عن حكمةِ تشريعهِ كمؤتمر جامع للمسلمين، يتدارسون فيه أحوال الأمّة، ويجتمعون فيه على همّ يجمعهم ورأي يلمهم. وهكذا... اهتمّوا بظواهر الأمور والتشريعات، وأهملوا جوهرها، أغفلوا جانب الأخلاق وركّزوا على الطّقوس والحركات، يقول السيد الشريف: **(أذكر يوماً وقد رأيت المساجد في صلاة التّراويح والجمعة تغص بالمصّلين، أذكر أنني سألت النّاس في موعظة، إذا كان الناس كلّهم في المساجد في اللّيل! فمن هم اللذين يرتشون ويسرقون ويبغون ويغتابون ويزنون في النّهار وفي اللّيل؟)** لكن.. للأسف هكذا هو حال التّديّن السّائد والمغشوش، القائم على الطقوس إلا ما رحم ربّي.

ثالثاً: العبث بالأرواح باسم الجهاد:

يقول عاشق النور: ومما لاحظه السيد الشريف، أنّ فكر الجهاد الذي انبثق عن هذا الفكر الظّلامي، قد ضلّ طريقة قي أغلب الأحيان، ففي الوقت الذي تعربدُ فيه اسرائيل، فى فلسطين وفي لبنان وفي غزّة وفي العراق، نرى هؤلاء يتركون الأعداء ويجاهدون في المسلمين، جاؤوا إلى آياتٍ نزلتْ بالكافرين، فأنزلوها بالمسلمين، فتراهم يستبيحون قتل المسلمين بالتأويل الواهم، يسيئون الصّنع من حيث يعتقدون أنّهم يحسنون، ولا أراهم إلا من الأخسرين أعمالاً... نراهم وقد أجازوا قتل المسلم بالشّبهة أو حتّى من دون شبهة... وإلا فكيف ينزل أحدهم إلى السّوق مكتظاً بالمتسوّقين الأبرياء، ويفجر نفسه فيهم، أو كيف يفجر أحدهم نفسه في حفل فرح أو منزل ترح أو في موكب عزاء؟ أياً يكن من في الصّالة أو في ذلك الجمع من البشر؟ متى أجاز الإسلام قتل الأبرياء من المسلمين، بل ومن غير المسلمين بهذه الصّورة؟ يقول السيد الشريف: **(كنت دائماً أتساءل: إن كان عندكم فائضُ قوّة، وفائضُ**

مقاتلين، فلماذا لا توجّهونه إلى الصّهاينة الذين أحتلوا الأرض، وانتهكوا العرض ودنّسوا المقدّسات؟ أليست إسرائيل هي سبب كل مآسي أمتنا من الشّرق إلى الغرب؟)

يقول عاشق النور: مما يؤكده السيد الشريف دوماً أن الإسلام لا يعادي أحداً من البشر، بل هو رسالة سامية للناس كافة، وهو دين لا يبدأ العدوان، بل يرد العدوان، وعدوه واضح دوماً، فالإسلام دين منفتح على كل المجتمعات والحضارات، بل هو دين يستوعب الجميع بحوار قائم على كلمةٍ سواءٍ، لكنّ هذا الصنف من الدعاة الأدعياء، فتح جبهة عداءٍ (باسم الإسلام) بين الإسلام والمسلمين من جهة، وبين العالم أجمع من جهةٍ أخرى، فراح يضرب ويفجّر في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، في العالم كله، فيصيب ويقتل المدنيّين هنا وهناك، فبأي شريعة يفعل هذا؟ ومن الذي قال له: أنّ الإسلام يعادي الشّعوب غير المسلمة، وهل أباح الإسلام قتل غير المسلمين ممن لم يعتدوا ولم يقاتلوا الإسلام والمسلمين؟ ولم يظاهروا على الإسلام والمسلمين؟ ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم؟ هل حَكم الإسلام على مجتمعات الصّين واليابان وإسبانيا وأمريكا وغيرها من المجتمعات بالرّدّة والقتل؟ من الذي قال هذا؟ وهل هكذا ينتشر الإسلام؟ ألم ينتشر الإسلام بعدله وحكمته وكلمته الطّيّبة ومحاكاته للفطرة، بل بالسلوك السويّ لأبنائه المخلصين! وقد أحرج هذا النمط من العداء، العلماء والدعاة والمصلحين، فصاروا في موقف الدفاع وتلقي الهجمات ضدّ الإسلام، بدل أن يكونوا دعاة على المنهج السويّ للدين، يقول السيد الشريف: **(كنت دائماً أقول في كلّ مجالسي أن العالم المتحضّر اليوم قد حبانا من علومه ومكتشفاته وخبراته الشّيء الكثير، ويكفي أن أدلل على ذلك بمكتشف (البنج) الذي خفف من معاناة المرضى في الجراحات والعمليّات والآلام،**

تخيّلوا العالم بلا (بنج) ألسنا مأمورين بمكافأة من أسدى إلينا معروفاً؟ فبماذا نخدم البشريّة اليوم؟).

يقول عاشق النور: مما يؤكده السيد الشريف أن البشريّة الحائرة اليوم بحاجة إلى خدمة كبيرة لا يقدر عليها إلا المسلم، لأنّ ما تحتاجه البشرية، يملكه المسلم ومستحوذ عليه... وهو سرّ السعادة وإكسير الهناء، وهي تحتاج إلى من يدلها على الفطرة، والتي هي بأمسّ الحاجة اليها، وإنّ الغرب بكل منجزاته اليوم، والتي خدم فيها الإنسانية، وجعل الحياة على الأرض بهذه المنجزات أسهل وأجمل، هو أحوج ما يكون إلى الإسلام الذي هو فطرة أبنائه وأبنائنا، ولا بدّ من إيصال الرّسالة إليه، وقد وضع هؤلاء الأدعياء على الإسلام، حاجزاً سميكاً بين قلوب الغرب وبين الإسلام، بنهجهم العدواني، وقتلهم لمن وقف في طريقهم، أو تعثر فيهم في فرح أو على ناصية شارع، أو مجمع سكني وكان حظه سيئاً، يا لضعف حجتنا غداً، إذا كان الغرب حجيجنا في الموقف الأكبر يوم القيامة، ونحن لا عذر لنا نملكه يرد عنا موقفنا الصعب بين يدي رب العالمين، سيقولون وهم صادقون، ويشكون تقصيرنا في الدعوة وهم يبكون، ويقولون لربّ العالمين: هؤلاء هم الذين شوّهوا الفطرة، وجاءوا لنا بإسلام مشوّه، صوّروه لنا إسلاماً أحمراً يحب القتل ويبحث عن دماء، صوروه لنا معول هدم وقتل ودمار وحقدٍ أسودٍ، فرفضناه. أين المهرب يومئذٍ، من غضب الجبار؟

يقول عاشق النور: طبعا هنالك من أهل الغرب من هم أعداء لا شكّ في ذلك، وهذا جليّ وواضح في فكر ومنهج السيد الشريف، لكونهم احتلّوا الدّيار، ودنّسوا المقدّسات، وأعملوا في الناس القتل والترهيب والإذلال، وظاهروا علينا... هؤلاء لا نقول فيهم إلا ما قاله القرآن، بضرورة جهادهم، وعدم ولائهم والحذر من مكايدهم، وضرورة

معاداتهم ومحاربتهم، ولكن بفقه الجهاد وشروطه، كما فسّره الرّسول ﷺ، لا كما فسّرته الأهواء والرّغبات، جهاد الدّفع وجهاد الطّلب، وفي ذلك تفصيل يرجع إليه في مواضعه ويؤخذ من أهله.

رابعاً: السياسة والحكم:

ويقول عاشق النور: وهناك صنف آخر من الدّعاة، جعل جلّ اهتمامه بأمور السّياسة ومراكز الحكم، وأراد التّغيير من القمّة إلى القاع، قائلاً إنّ الله ليزع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن، يقول السيد الشريف: **(وهذه قاعدة لا أراها تنطبق على واقعنا المعاش الآن، هذه تصلح في حالٍ تقوم فيها دولة القرآن وفيها بعض المفسدين الذين يزع السّلطان بهم، كما لا يزع القرآن، لأن حقيقة القرآن لم تلامس شغاف قلوبهم).**

خامساً: إحياء القلوب بالقرآن:

يقول عاشق النور: لا يقوم الإصلاح إلا على منهج القرآن وإحيائه في القلوب، وعلى إحياء حياة الرسول ﷺ في قلوبنا وحياتنا، وحتى يعود للقرآن توهجه وتألقه في حياتنا، وهذا يحتاج إلى جهد كبير من الجميع، لمختلف أصناف المسلمين، لتحيا القلوب المستكينة والظامئة، يقول السيد الشريف: (**أما في واقعنا الحالي فالقرآن هو المطلوب في حال الإصلاح المنتظرة، ولا أرى أهميّة ترجى من أي عمل سياسي، إنّما بالدّعوة الخالصة لله لإصلاح الفرد، الذي بصلاحه يصلح المجتمع، وإن صلح المجتمع صلح كل شيء بما فيه السّياسة، بل إن البعد عن السّياسة سياسة، فلا يمكن للداعية أن يبدأ بالسياسة، لأن السياسة فيها مكتسبات ولا يمكن لصاحب المكتسبات أن يتنازل عنها، إلا إذا صحّ قلبه، أمّا إذا لم يصلح قلبه، فسيقف في الخندق المقابل**

مترسماً، محارباً، بكل ما أوتي من قوّة، وهنا تقع المواجهة ويخسر الجميع ونخسر الدّعوة وينحل العقد).

سادساً: تحري أشخاص الجهد الدعوي:

يتابع عاشق النور: وصنف آخر من الدعاة كان جلّ أتباعهم من المستويات التّعليمية المتوسّطة أو ما دون المتوسّطة، وركزوا جهدهم في البيئات الفقيرة، وهذا جهد مبرور ومطلوب، لكنه لا يحدث التأثير ولا التغيير المطلوب لحياة المجتمع، ويرى السيد الشريف، ضرورة أن تحاكي الدّعوة الفئات التّعليمية العالية، والمستويات العقليّة اللامعة، وأهل الثقافة والفكر النيرين، بل وإعداد فئات الطّلاب اللامعين إعداداً علمياً تربوياً دعوياً، ونشرهم في بيئاتهم حتى يؤثروا في مفاصل المجتمع الفاعل والمؤثّر.... هكذا تكون الدّعوة النّاجحة عندما يكون فيها دعاة لامعون كمصعب بن عمير ﷺ، داعية المدينة المنوّرة الذي حوّل يثرب إلى مدينة منوّرة قبل الهجرة، ومعاذ بن جبل ﷺ، داعية اليمن، وأبي بكر الصّدّيق ﷺ، وقوّة تأثيره في بيئته، وعليّ بن أبي طالب ﷺ في تميّز شخصيّته (كاريزما) وعثمان بن عفّان ﷺ في قوّته الاقتصادية اللازمة، وعبد الرّحمن بن عوف ﷺ في قدرته الخارقة على تحقيق المعجزات الماليّة، وعمر بن الخطّاب ﷺ في ملكاته التغييرية والإداريّة... بمثل هؤلاء تقوم حركة التغيير والإصلاح في المفاصل المهمّة من المجتمعات.

سابعاً: مراعاة الأدوات الدعوية لكل عصر:

ويتابع عاشق النور: يقع بعض الدعاة والمصلحين، وكذلك بعض الجماعات الإسلامية، في مطب الفارق الزمني بين عصر النبوة والعصر الحالي أو العصور اللاحقة، والمطلوب من الدعاة والمصلحين

مراعاة الفوارق الزمنية بين العصور، ومع أنّ ثوابت الإسلام لا تختلف من عصر إلى آخر، لكن أدوات الدعوة تختلف باختلاف العصور، وهذا الفهم مهم جداً في بناء الأفراد، ولكل عصر أدواته الواجب استعمالها، وما يصلح من هذه الأدوات لعصر سابق، قد لا يصلح لعصر لاحق، والمشكلة التي لاحظها السيد الشريف في هذا الإطار، أن هناك صنفاً من الدّعاة لم يستطع هدم الهوة الزّمنيّة الشّاسعة بين دولة الفاروق وعصرنا الحاضر، فيُريد من مجتمع اليوم أن يستخدم أدوات وعناصر المجتمع الفاروقي وهذا صعب، يقول السيد الشريف: **(طبعاً أنا أتكلّم عن الأدوات لا عن الثوابت، مجتمع اليوم أدواته مختلفة ودعوته تكون مختلفة، فنراهم على سبيل المثال يركزون في مظهرهم ولباسهم على مظهر ولباس تلك الحقبة... هل نريدُ من مجتمعنا اليوم، في عصر الأناقة والأزياء أن يلبس كله (الدّشداش القصير) والسروال الأطول منه قليلاً، حتّى نقول أنّنا على الصّواب، أنا أركّز دائما على الجوهر لا على المظهر، فليلبس النّاس ما شاؤوا طالما أنه في الإطار الشّرعي، وضمن حدود ستر العورة عند الرّجال والنّساء، كما عرّفها الشّرع، قلت إنّ الأدوات يمكن استبدالها طالما لم تمسّ الثوابت).**

الفصل السادس

بعض ملامح العمل ومنهاجه

الباب الأول: العمل التربوي أسس وقواعد البناء:

- مقدمة
- أو أهلك دونه
- تحديد المقاصد
- صناعة جيل يحمل عبئاً
- الزواج والعفاف

الباب الثاني: الدعوة على بصيرة:

- مقدمة
- مفاهيم الرسالة

الباب الثالث: بعض الأساليب عند السيد الشريف

- مقدمة
- أسلوب التربية عند السيد الشريف
- أسلوب الموعظة عند السيد الشريف
- أسلوب الخطابة عند السيد الشريف
- أسلوب الحوار عند السيد الشريف

الباب الرابع: بعض التوجيهات القلبية من السيد الشريف لأتباعه:

- مقدمة
- نظرية الاحتساب
- السنن الإلهية وضرورة فهمها وقراءتها
- الدعوة على بصيرة وشروطها
- التغيير حتى يغيروا ما بأنفسهم

البَابُ الأَوَّلُ

العمل التربوي: أسس وقواعد البناء

مقدمة:

يقول عاشق النور: منذ بداية التنصيب، عرف السيد الشريف حجم المهمة الموكولة إليه، وعرف دوره كشيخ مربٍ، وعرف أن أمامه مهمة تنوء بحملها الجبال، وكان واضحاً أمامه السبيل الذي سيسلكه إلى مبتغاه، وكان واضحاً له حجم الصعوبات والعقبات التي أمامه، وعرف من البداية، أنه في الجبهة أمام الشيطان وأعوانه من الإنس بمفرده، إلا عون الله تعالى ومدده، فشمّر مباشرة عن ساعد الجدّ، وحمل الأمانة بمسؤولية وعزم، ولنا أن نتصور صعوبة هذه البدايات وهو بمفرده، ولنا أن نتصور الإرث الثقيل الذي حمله وهو في الساحة وحده، ولنا أن نتصور حجم الضغوط الهائلة التي نزلت به لثنيه عن هدفه، ولتثبيطه عن متابعة المسير... لكنه كان يسير وما يزال على بصيرة وهدى، وكان ذا عزيمة تعادل عزيمة مجموعة من الرجال الأقوياء، وكان إصراره على تذليل الصعاب ومتابعة المسير مهما كلفه ذلك من عناء، لا يعادله في ذلك إلا عزائم الأولياء... ولك أن تعذر عشقي له وانشدادي إليه بالكلية، فلم أر كمثله في الوضاءة والجمال، ولم أر كمثله في العزيمة والإصرار على الحق، ولم أر كمثله في الوعي والإدراك، ولم أر كمثله في وضوح معالم الطريق أمامه... إنه مميز من حيث نظرت إليه، ويأسرك في كل التفاصيل، ولأنه مُزج من نور طهارة آل البيت، وتربى في كنف سيدٍ من آل البيت، ولأنه واضح جلي في كل ما يقول

ويفعل، ولأنه حريص على اتباع جده بكل حركة وسكنة والتفاته، فإنه ملتقى المحبين والعاشقين والباحثين عن وهج مشع بين النجوم...

أو أهلك دونه:

يقول عاشق النور بلسانٍ يقطر منه شهد المحب: أمضى السيد الشريف اثنان وعشرون عاماً في زاويته، وبين أحبابه ومريديه، وكانت عينه في مراقبة هذا الواقع المتنوع عن الحركات الإسلامية، وكانت تعصف فيه هذه الأفكار المتنوعة عن سلبيات العمل الإسلامي عصفاً ذهنياً وروحياً، وكان يؤلمه كثرة الإحباطات وكثرة التراجع الدعوي، وكان خلالها يتلمس الأرض قبل أن يخطو، حتى لا تطأ قدماه إلا الأرض الصّلبة والمتينة، والتي يستطيع الانطلاق فيها بشكل قويّ ومتميّز وثابت، لذلك عصف خلال هذه الفترة بكلّ الاتجاهات وسلبياتها وأخطائها جانباً، بعد أن راقبها ودرسها ووعاها، يقول السيد الشريف: **(وصرت أغرس الإيجابيات عند أتباعي غرس السّاقي، وأحفظهم حفظ الرّاعي الذي يتعهّد غرسه برمش عينه، وكنت واثقَ الخطى، سوياً على صراط مستقيم، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً... أزلّ أحياناً، فما إن تأتي الإشارة، التي لم تتأخّر يوماً حتّى أرعوي، وأقف أوّاباً لا ألوي على شيء، ضحّيتُ في هذه المدّة بعشرات الرّجال الذين لم أجد فيهم جَلداً وفهماً لما انتويته، فمن أراد منهم الدّنيا تجاهلته، ومن أراد الجهل علّمته، فإن لم يتعلّم نبذتهُ، ومن أراد الجاهَ وحبّ الرّياسة أبعدتهُ، ومن أراد الدّين للدّنيا خاصمته... بقيت على أهدافي وخطتي من دون رمشة عين، وبإصرار الواثق بالوعد، لم أسمح لأحد أن يغيّر مقاصدي، ولم أترك لأحد أن يسيء لدعوتي، تمردت على أدعياء التّصوّف أولاً، وعرّفت لهم ما هو التّصوّف الحقّ. يشهدُ الله أنّني لم أنتصر في ذلك لهوىً أو لدافع نفسي أو شخصي، إنّما هي الغيرة على**

دور أنيط بي، وعاهدت الله أن لا أحيد عنه، ولا أتركه بإذن الله أو أهلك دونه).

قام السيد الشريف بتربية الأتباع على منهج واضح ومسدد، حثهم على الإخلاص بداية، ثم حثهم على تخصيص النية في العمل لله، ثم ساعدهم في علاج آفاتهم ومراقبة عيوبهم والانشغال بها بدل عيوب الناس، ثم مشى بهم في مدارج السالكين في علاج أمراض القلوب وتنقيتها، كل ذلك بمهارة الطبيب الحاذق، ثمّ وضعهم على الدرب السويّ، وأخذ يراقبهم من قريب، فمن قصّر أو زلت قدماه، بادر إليه بالنصيحة والمساعدة ليقف من جديد وليتابع المسير، فهم السيد الشريف عن ربه، وفهم أتباعه عنه، وسار بهم بهمة وعزيمة إلى برّ الأمان، حتى غدت أرواحهم أطهر، وقلوبهم أنظف ونفوسهم أرضى... وهو في كل هذا المشوار ثابت على منهجه لا يغير ولا يبدل.

تحديد المقاصد:

يقول عاشق النور: ومما يزيدني عشقاً وحباً له، وضوح منهجه وتحديد مقصده، فلا يتكلم بلونين أبداً، ولم يَحِدْ عن منهجه منذ انطلق يوم التنصيب، نعم! فقد حدّد مقاصده منذ البداية، وسار عليها كما هي من دون تغيير أو تبديل، وشرع منذ البداية في صياغة المنهج الذي سيسير عليه، وسار عليه كل هذه المدة، وأحسبه سيتابع المسير عليه للنهاية إن شاء الله، ومن يرجع إلى دروسه وخطبه السابقة سيجد أن المنهج والمحتوى لم يتغير أبداً، وسيجد أن طريقته في التربية... وطريقته في الدعوة لم تتغير، ثابت على منهج واضح وجليّ، ومن يراقب منهجه سيجد أنه يستند إلى كتاب الله عز وجل أولاً، فهماً واستنباطاً وفقهاً عن الله تعالى، ومعلوم أن علماء آل البيت خير من فقه

الدين وعلم التأويل، وكذلك يستند إلى سنّة رسول الله ﷺ، ومن عايشه أو تابع خطبه ودروسه ومواعظه، سيجد نكهة أخرى للسيرة وللسنة لديه، بحيث ينساق بالحب للنبي ﷺ وبالحب لمتابعته والاقتداء به، وتعيش مع السيد الشريف أجواء السيرة النبوية بكل تفاصيلها ومنعطفاتها، وينقلك حاله مع جده ومع سرده لسيرته وسنته إلى أجواء أخرى تنبض في القلب والوجدان، فيرى المرء أنه في عصر النبوة بين الصحابة هناك في أزقة المدينة المنورة... وكذلك يستند المنهج إلى معرفة السيد الشريف لسنن الله الكونيّة، ومراقبته لهذه السنن والسير وفقها، وبذلك تناله يد التأييد الربانية والمدد الرباني، لأن من وافق السنن الإلهية وُفق، ومن خالفها فشل وخاب... وكذلك اتخذ من تجارب السّابقين من مشايخ الطريقة ومن أجداده من آل البيت منهجاً ونوراً يسير به في الناس... وبعد أن حدد المقصد، وحدد الأساس الذي يستقي منه طريقه ومنهاجه، انطلق في دعوته ودروسه وخطبه ومواعظه وتربيته لمريديه، وقد دوّن كل ما تكلم به، على الورق أو على أشرطة التسجيل، وسيقوم بطباعته وتوزيعه إن شاء الله.

صناعة جيل يحمل عبئاً:

يقول عاشق النور: وقد وفق الله تعالى السيد الشريف بفراسة علم الرجال، وعمل طيلة هذه الفترة على اختيار الرّجال الأكفاء، الذين سيحملون همّ هذه الدّعوة وعبئها، وكان أن قيض الله له منهم الكثير، وبنفس المواصفات التي أرادها ورغبها، يقول السيد الشريف: **(وقد علمتُ أنّ ساعة العمل تستوجب البدء من الصّفر، لصناعة جيل جديدٍ بمواصفات جديدة، يحمل عبء الدّعوة إلى الله على بصيرة. فشغلتهُ بالطاعة، حتّى لا تشغله نفسه بالمعصية، شغلتهُ بالحق حتى لا تشغلهُ**

نفسه بالباطل، وهم اليوم أراهم نخبة من الذاكرين المتّقين المتعلّمين الذين أدركوا واجبهم حقّ الإدراك).

يقول عاشق النور: في مرحلة بناء الجيل الذي سيحمل الدعوة، كان التنوع في الشّباب داخل الزاوية مميزاً ومتنوعاً، فقد وجد في الزاوية مجموعة من الشّباب الواعد، جُلّهم من حملة الشّهادات العليا في مختلف التّخصصات العلميّة من الطّب والهندسات مروراً بالصيدلة والفيزياء والقانون، وانتهاءً بالإدارة والمحاسبة، وهناك أيضاً الذين لم يحالفهم الحظ بإكمال دراساتهم الجامعية، لكنهم أيضاً دعاة ناضجون لا يقلون عن أقرانهم المتعلمين في مستوى التّقوى والفهم لرسالتهم. كلهم والحمد لله جنود مثابرون مخلصون، يُشكلون مجتمعاً صغيراً متكاملاً متجانساً، هذا فيما يتعلّق بالرجال.

أما بالنسبة لنشاط النساء، فهو لا يقل شأناً عن نشاط الرجال، بل إنّهن برعن أكثر في بعض المجالات، كتعليم القرآن على سبيل المثال، وهُنّ أيضاً يُشكلن فيما بينهنّ مجتمعاً متكاملاً متجانساً مكتفياً بذاته.

يقول السيد الشريف: **(وكنت أصون هذا المجتمع بشقيه، وأحرص على سلامته وصونه من كل أسباب النّزاع والشّقاق، حتّى لا يفشل ولا تذهب ريحه).**

الزواج والعفاف:

يقول عاشق النور: وفي حرص السيد الشريف على العفاف في محيطه، ولأنه يعرف نوازع البشر ومتطلبات النفس ورغائبها، ولحرصه الشديد على السلوك الأخلاقي السوي للشباب من حوله، وفي حرصه على الجيل من الزيغ والانحلال، كان على الدّوام ينادي: من

استطاع الباءة من الشّباب فليتزوّج، لأن الزّواج من سنّة نبينا ومن سنن الأنبياء من قبله عليه وعليهم الصّلاة والسّلام، ويحاول دوماً أن لا يترك أعزباً أو عزباء في محيطه، وكان يحثّ الآباء على مساعدة أبنائهم على مصاريف الزّواج، وتسهيل إجراءاته وتخفيف مصاريفه، ويحث المقتدر منهم أن يزوّج ولده مبكّراً ما أمكن.

وللسيد الشريف منهجٌ للزواج متميزٌ وواضحٌ، ويناسب العصر الذي نحن فيه، يقوم على عدة طروحات منها، أنه يخفف أعباء المهر على الخاطب **(خير نساء أمتى أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً)**، بحيث يقوى عليه الخاطب، ولا يرهقه أو يثنيه عن الزواج، ولا يتجاوز الثلاثة آلاف دينار أردني، يشمل شبكة العروس وتجهيزها، وكذلك من منهجه، أنه لا يحبّ التفاخر في حفلة الخطبة أو العرس، وقد ألغى مصاريف الولائم العامة وأبقى على الولائم الخاصة بين العائلتين المتصاهرتين فقط، وضمن أفراد الأسرتين فقط، وبحيث تكون مظاهر الاحتفال بسيطة وغير مكلفة، وخالية من أي بذخ في المصاريف، ومن منهجه أنه جهز لهذه الاحتفالات صالةً تناسب الحفلات، في مقر المركز الثقافي، ومجهزة بشكل جيد وقدّمها من دون مقابل لحفلات أتباعه ومريديه ومحبيه، كما برع بعض أتباعه في تصوير الأفلام للحفلات، ولأن الفرح عادة يكون في شباب الزاوية وأتباعها، فترى الجميع يشارك بفرح وسرور، لأنهم يرون أن الفرح فرحهم، بل ويقدمون وصلات من الأناشيد الإسلامية، التي تناسب حفلات الزواج والأفراح، ومن منهجه أيضاً أنه يحث الخاطب على عدم تأخير فترة الخطبة، ويحثه على سرعة تجهيز بيت الزوجية، ويساعده أحياناً ببعض الأثاث أو ما شابه إن لزم الأمر، كي يتم الأمر بسرعة... وهكذا أوجد السيد الشريف منهجاً متواضعاً لكنه جميل ومتكامل وبكلفة بسيطة، وبدأت بذلك جموع الشباب تسرع في الزواج وأحياناً كثيرة بعد دخول

الجامعة، إذا كان الشابّ يستطيع تحمل مصاريف بيت الزوجية، وأحياناً مباشرة بعد التخرج، وقد بدأت تتشكل بيوتات جديدة في محيط أتباع السيد الشريف وعلى هذا المنهج، وقد طرح الله في هذه الزيجات البركة والعفاف، والاستقرار النفسيّ والروحي، وانطلق الشباب اليوم بعد هذا الإعداد للمجتمع بهمّة عظيمة للعطاء.

ثمّ ترجَم السيد الشريف هذا المنهج على أرض الواقع، ومن خلال أسرته الخاصّة، يقول السيد الشريف: **(فولدي البكر محمّد لمّا ذهب إلى الجامعة الأردنيّة كنت أحثهُ على الفضيلة والحرص على البقاء طاهراً، وأخبرته إن وجد في نفسه ضعفاً، فأنا على استعداد لتزويجه متى شاء، وفي عامه الثاني في الجامعة خطبت له ابنة عمّهِ، وفي عامه الثّالث في الجامعة زوّجته، وقبل أن يُنهي عامه الرّابع رزقه الله بولده البكر، وقد رأيت أثر ذلك الإيجابي على تكوينهِ النّفسي والفكري والرّوحي، وفعلتُ الشيءَ نفسه مع أخيهِ صدّيق، فهو الآن متزوّج وفي عامه الجامعي الثالث، ثمّ كان أن زوّجت كبرى بناتي امتثال فور دخولها إلى الجامعة الأردنيّة، وهي الآن في الجامعة ومتزوّجة، وعلى الدّوام أحثهم وأحثّ من حولي على الزّواج والعلم معاً، وطلبتُ منهم الاستمرار في التّحصيل العلمي للدراسات العليا فيما بعد البكالوريوس، وها هو محمد يتابع تحصيله العلمي بعد البكالوريوس والزّواج. ومع الإرادة كل شيء يسهل، وقد لمست الأثر الكبير لذلك فيهم على كل الصعد).** نعم سيدٌ شريفٌ يبدأ بتطبيق ما يأمر به على نفسه وبيته ومن يعول، وكذلك يفعل أهل الله والمصلحون، مما يعطي مصداقية لصاحب المنهج، ويجعل في قلوب أتباعه الإكبار والتوقير، بالإضافة إلى الحبّ العظيم.

البَابُ الثَّانِي

الدعوة على بصيرة

مقدمة:

يقول عاشق النور، وهو ينظر إلى جموع الأحبة والمريدين حول السيد الشريف، وقد حمل كل واحدٍ منهم قلباً مفعماً وعقلاً نيراً ومشعلاً مضيئاً، لينير به درب المحيطين والمحبين، وقد تم إعدادهم من قبل السيد الشريف كما أراد واحبّ.

يقول السيد الشريف مبتهجاً وهو يرى نتاج جهده وعمله الشاق والمضني ينطلق اليوم لخدمة الأمة والمجتمع: **(الطريقة اليوم، والزاوية اليوم، والمثابة اليوم، والجمعية اليوم، والدعوة اليوم، والمدرسة اليوم... كل المؤسّسات التي شكّلتها وأسّستها أراها اليوم تنطلق بالرسالة من جديد، كما رسمتُ لها... وعلى أسس متينةٍ مدروسةٍ واعدةٍ وممدودةٍ بإذن الله تعالى).**

مفاهيم الرسالة:

يقول عاشق النور وهو يشرح المفاهيم والأسس التي قامت عليها رسالة السيد الشريف، ويذكر بعضاً من منهاجه وأسلوبه المتبع للدعوة والتربية والإصلاح... لقد انطلقت الرسالة من المفاهيم التالية:

١. لا علاقة لنا بالسّياسة، ولسنا تنظيماً ولا حركة ولا حزباً، وليس لنا أي غرض سياسيّ، لا الآن ولا مستقبلاً، ونعتقد أنّ السّياسة

هي في ترك السياسة، وليس لنا أي غرض دنيوي. نحن فقط أتباع طريقةٍ، ينشدُ أتباعها صلاح الدنيا والآخرة.

٢. العمل الخالص لوجه الله تعالى في التّربية على حب الله ومعرفته ومعرفة سننه، ودلالة الخلق على ربهم، ودعوتهم إلى دفء العلاقة معه.

٣. التّركيز على تعليم القرآن وأحكام تلاوته وعلومه والعمل بأحكامه، وتمتين الصلة به، من خلال تعهده بالتلاوة المستمرة.

٤. الحرص على سنّة الرّسول ﷺ وحبّه وحب آل بيته، والتعرف على أخلاقه والتأدب بها، باعتباره القدوة الحسنة لنا.

٥. التآلف والتحابب فيما بيننا، والعمل على تزكية أنفسنا في زاويتنا، فيما يشكل مجتمعاً إيمانياً متحاباً متآلفاً، يجمع بين الإيمان والعلم والأدب في واقعية عمليّة وعلميّة.

٦. نسعى لرضا الله، ونسأله تعالى أن نكون محل نظره وأن يستعملنا في خدمة إسلامنا العظيم.

٧. نقدّر ونحترم ونُجل كلّ من خدم الإسلام بصدق وإخلاص، ولا ندّعي أنّنا وحدنا نحمل همّ الإسلام والعمل له، بل كلٌ يعمل على ثغر.

٨. نقبل المسلم الآخر أيّا كان فهمه وفكره، ولا نعاديه ولا نكفره ولا نقصيه، ونسعد بأي جهد يكون في خدمة الإسلام أينما كان.

٩. لا نهتم بالشّكل والصّور ولا بالتفاصيل الظاهرية، بل نهتم بالجوهر والوجدان لأنه محل النظر والامتحان.

١٠. ننظر بتفاؤل للأجيال القادمة، ونسعى لتعليمها وتربيتها على أخلاق الإسلام الحميدة، بعيداً عن التعصب والشحناء، وبعيداً عن الإفراط أو التفريط، ولتحقيق هذه الغاية، توجهنا لإنشاء

المدارس وقمنا بفتح أوّل مدرسة في بداية العام الدّراسي ٢٠١٠- ٢٠١١.

١١. نستخدم كل أدوات العصر المتاحة في إعداد الأجيال، ما دامت لا تؤثر في الأخلاق أو السلوك السوي.

١٢. الإصلاح يبدأ من القاعدة إلى أعلى الهرم صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، أغنياء وفقراء، والكل مدعو إلى إصلاح نفسه ومعالجة الآثام والأمراض القلبية، ليعود صفاء الإيمان للقلوب، ولتشرق هذه القلوب بحب الله وما والاه.

١٣. المسلمون في نظرنا أمّة خيرية على اختلاف مدارسهم، لا نكفّرُ أحداً منهم، ونعتقد أن الخير فيها إلى يوم الدين، لكنه يحتاج إلى عملية إزاحة غبار الزمن عنه، من دون استثناء أحد من هذه الخيرية.

١٤. أمة الدعوة هم كل خلق الله في كل أصقاع الدنيا، ندعوهم ونسأل الله لهم الهداية، وأمة الإجابةِ همُ المسلمون الذين استجابوا لله ولرسوله، نتعاونُ معهم، ونلتقي معهم فيما اتفقنا عليه، ونعذرهم فيما اختلفنا فيه. ولا نحمل للجميع إلا الحب والوداد.

١٥. دعوتنا تقوم على المحبة، لأن الكراهية لا تصنع أمة، ولا نسعى لإيجاد الخصوم أو الأعداء، بل لا حاجة بنا لأيّ خصومة، ومن أساء إلينا نكِله إلى الله.

١٦. ننبذ كلّ الدعوات الجاهليّة، من عصبية وإقليمية وقومية، ودعوتنا تقوم على الأخوّة الإسلاميّة، وفي زاويتنا الأبيض والأسود، العربي والعجمي، الأردني والفلسطيني والسوري والعراقي والمصري والسوداني، الشرقي والغربي، أكرمهم عند الله أتقاهم.

١٧. سؤالنا لكل مسلم ماذا قدّمت لدينك؟ واعمل على أن يكون لك بصمة في الكون قبل الرحيل الأبدي. واعمل للإسلام لأنه سائلك يوم القيامة ماذا قدمت لدينك. وعبادتك وتقواك خيرها لك وحدك، أما دينك فينتظر منك عملاً خاصاً له.
١٨. تركيزنا على صلاح القلب، ودعوتنا تحيا بحياة القلب والرّوح، وحب الله وذكره هما مفتاحا هذه الحياة.
١٩. نسعى للتوسّع في بناء المدارس وبمستوى علمي وخلقي مميّز.
٢٠. نستمر في أدائنا وتقديم خدماتنا من خلال مؤسساتنا القائمة: المسجد والزاوية ودار القرآن ودار الأيتام والمركز الثقافي ومركز الدّراسات والتّكايا ورعاية أبناء السّبيل والمدارس والبيوت.
٢١. نسعى لتأمين المصاريف الدراسيّة للفقراء المتميّزين من خلال المقتدرين مالياً. أو الراغبين في الصرف في هذا الباب الكبير للخير العميم.
٢٢. تشجيع المقتدرين على المساهمة في بناء مدارس، أو مصاريف البيوت السكنية لطلاب العلم.
٢٣. تدريب الكوادر من مشرفين ودعاة ومعلّمين، لحمل هذا العبء الدعوي والإرشادي والأخلاقي.
٢٤. حثّ الأجيال على كثرة الذكر وتلاوة القرآن وقيام الليل والتّضحية بالوقت في سبيل الله، وتعويدهم النفقة في سبيل الله.
٢٥. فتح بيوت لإيواء الطّلبة غير القادرين لتمكينهم من متابعة التّعليم، وتوجيههم لخدمة دينهم، وتعليمهم الدّعوة إليه، وقد قمنا بفتح البيت الأول في منطقة الجبيهة.

هذا ونسأل الله أن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يستعملنا لما فيه خدمة ديننا، وأن يرانا حيث أمرنا، إنه سميع مجيب.

البَابُ الثَّالِثُ

بعضُ الأساليب المتميزة: عند السيد الشريف

مقدمة:

قال عاشق النور: في زحمة الأحداث والروايات والذكريات، يَبْرقُ في أعماق الفكر عندي، ويَصْدقهُ في ذلك قلبي، إبداعات السيد الشريف في فنون عديدة يصعبُ حصرها، فمن أين أتيته تراه متألقاً، ومن أين نظرته تراه أجمل، واعذرني فتميزه وتألقه فجّر حبه في قلبي، أو حبي له أظهر لي تميزه، كما أبدى لي مكامن الجمال والألق فيه... هل حاولت أن تسمع صوته حين يتكلم، أو تسمع حسه حين يتنفس، أو ترى ضحكته حين يتبسم... هل رأيته متواضعاً مع الأطفال؟ هل رأيت انجذاب أطفالنا إليه؟ حاول أن تدع قلبك يصغي إليه حين يخطب أو ينصح أو يجالس الأيتام أو يصغي للمحتاج أو حين يسكت بعد ختام الأوراد...

من البدائع المتميزة فيه، إبداعه في شؤون التربية، وتألقه حين الموعظة، وروعته في الخطابة على المنبر، وإتقانه الحوار مع الآخرين...

أسلوب التربية عند السيد الشريف:

يقول عاشق النور: لأن السيد الشريف ورث المشيخة وطبّ القلوب عن أجداده، وتلقاه مجالسة ومسارقة من والده الجليل رحمه الله، فقد برع فيه، فأخرج للمجتمع مريدين صالحين أكفاء، تديّنهم ناتج عن تراكم خبرات وعلوم من مجالسة السيد الشريف وتربيته لهم، وليس تديناً للضرورة الاجتماعية أو هرباً من فشل كبير مرّ فيه أحدهم، أو نتيجة أزمة عنيفة عاشها أحدهم، بل تدينهم متوازن حصيف يقوم على الوعي الراشد والمتابعة الحثيثة لتوجيهات السيد الشريف ونصائحه وتعليمه، كما أخرج من دار الأيتام شباباً واعداً ناضجاً مستوياً، بعيداً عن العقد والمشكلات، يحملون قلوباً مفعمة بالإيمان الصادق، والعزيمة الوقادة لخدمة الدين، كما أنتج أسراً مستقرة ومتوازنة على نهج قويم وأفق للرعاية سليم، كل ذلك في متابعة السيد الشريف للمريدين بكل التفاصيل، وبمتابعة كل مريد بما يلزمه ويحتاجه كي يستقيم سلوكه، بل بمباشرة منه لكل مريدٍ أو شابٍ في محيطه أو يعيش في كنفه، فكم عالج في أتباعه من آفات نفسية وأمراض قلبية مستحكمة... وأما أسلوبه في العلاج فيقوم على المعالجة بالتوجيه والإشارة للمريد من بعيد، من دون مواجهة أو إراقة ماء وجه المريد، بل بالإشارات والتلميحات من دون التصريح، مما يجعل تنبيهاته وملاحظاته محل قبول مريح لدى السالك، وتراه يسير الهوينى مع السالك حتى يضعه على شط السلامة من دون إحراج، ومن دون أن يمنّ على أحد، بل تراه مهتماً بحل المعضلات عند السالك، ويرى ذلك جزءاً من رسالته ودوره في المجتمع، كما أنه يعالج في المريد آفة إثر آفة، مبتدئاً بأشدها وضوحاً وتأثيراً على سلوكه، ولا يفتح له كلّ الآفات حتى لا يحبطه أو يقلقه، وإذا سأله أحد من السالكين عن آفة يراها في نفسه أو أحبّ أن يتأكد من وجودها، تراه يخجل من البوح له، بل قد يشير ويقول له لعل... أو ربما... ويظهر في

وجهه حمرة الخجل... أو فلنسمه حياء الأولياء، هل رأيت يوماً حياء الأولياء؟ تعال إلى الزاوية وستراه حتماً، وستحبه تماماً كما أحببته وأكثر، كما أنه يتابع في أتباعه من حوله حسن الخلق ويحثهم على تلمسه في أدق التفاصيل، ولا يرضى بأنصاف الأخلاق، بل لا بدّ أن يكون السالك على خلق رفيع ومتميز ومن دون تكلف، بل يتابع المريدين لديه، حتى يكون حسن الخلق لديهم جبلة وتأصيلاً، كل ذلك ضمن أسلوب الوالد الشفوق والحاني، من دون قسوة أو شدة أو تعنيف، لكن بحزم في أغلب الأحيان.

أسلوب الموعظة عند السيد الشريف:

يقول عاشق النور مبهوراً بمحبوبه: الموعظة عند السيد الشريف شأن آخر، ونكهة أخرى، فهو حين الوعظ، يتكلم من قلبه ووجدانه ومشاعره، ويستحضر العلاقة مع جده ﷺ حين الوعظ، فيشعر المستمع أنه يسمع كلاماً ندياً دافئاً، تمت صياغته الآن على نار المحبة، فيدخل كلامه ووعظه في شغاف القلب، ويحرك مواجيد مستمعيه وأرواحهم للملأ الأعلى، وتغص قلوبهم التي في الصدور بلواعج الشوق والرضا، أو الحمد والشكر، أو الندم على ما فات، أو مذاهب شتى يحلق فيها المريدون والسامعون، كلٌ إلى مرتقاه، ولا تخلو موعظته عادة من تحريكٍ للذكر او تحريكٍ للقلب بالحب لله أو لرسوله أو لآل البيت أو لأوليائه، أو من حكمة جديدة تدق أسماع محبيه بالأنس وأنغام الحنان، وغالباً ما تكون الموعظة قصيرة ومركزة وسريعة الوقع ومفعمة بالأحوال، وبعد انتهاء الموعظة، يغادر السيد الشريف مجلسه، تاركاً خلفه أحباباً مشدوهين مفعمين محلقين، يغلب عليهم السكينة والوقار، وأحياناً دموعاً حرّى في الأحداق.

أسلوب الخطابة عند السيد الشريف:

يقول عاشق النور وهو جالس تحت درجات المنبر، وكعادته مشدوهاً مبهوراً: هنا! تعال معي واجلس، لترى بنفسك أجواء الخطاب، وتناثر كلام السيد الشريف على الجموع المتعطشة، حول هذا المنبر، انظر! فقد تآلف المنبر مع السيد الشريف، وتناغم معه، ويلقي جرانه في كل جمعة ليعلوه، فهو مثلنا على موعد معه... وعندما يبدأ الخطابة تصغي إليه أفئدة الناس قبل آذانهم وعقولهم، فهو ماهر في جذب القلوب والأفئدة، ويعرف كل الطرق والمسارب التي تفتح له قلوب سامعيه! وعندما يبدأ الخطاب بالحمد تفهم ماذا سيقول، وإلى أين سيأخذ مستمعيه، ويسير بهم رويداً رويداً حتى يصل بهم إلى أماكن أخرى في العالم الإسلامي حيث النزاعات أو الشدائد، فيحملون معه الهمّ، وتدق قلوبهم على نفس المعزوفة التي يعزفها، فتتناغم قلوب السامعين معه حتى يتوجهوا جميعاً معه بالدعاء لذاك البلد، أو ربما يأخذهم إلى فضاء آخر أكثر رحابة وجمالاً، فربما إلى فضاء المواسم الفاضلة كرمضان والحجّ أو الخامس عشر من شعبان، وربما حلق بهم في بعض المفاصل الاجتماعية التي تمس الناس وبعض مشاكلهم، فيصغون إليه، كيف يطرح المشكلة ثم يطرح الحل لها، كأجمل ما تكون الحلول، وقد يحملهم ويذهب بهم إلى أيام النبوة الأولى، ليطلعهم على بعض سنن الله مع أنبيائه وأوليائه، أو يحلق بهم في فضاءات الرضا والشكر والصبر والحلم والتخلق بأخلاق الله... أو يدخل فيهم في بحر التوحيد، فيطلعهم على بعض كنوزه ولآلئه، فهو خير من تكلم عن الله وعن صفاته وأسمائه، تشعر أن المعاني تفيض من قلبه مباشرة، وتأتيه من كنز ما مخبوء في ثنايا قلبه، فيسكر الحاضرون بمعاني التوحيد التي يلقيها عليهم...

وهكذا فالخطبة ميدان رحب يتقن فنها بلا منازع، ويتشوق إليها المريدون والسالكون والأحباب وجيران الحيّ، وينتظرها الجميع على أحرّ من الجمر، لأنها غدت جرعة دواءٍ قلبيّ أسبوعيّ، ضرورية لقلوب محبيه، أدمن على جرعتها الجميع، وإذا غاب عنا في أحد الجمع، ترى الجميع قلق متوتر، لأنه لم يأخذ جرعته الدوائية الروحانية الأسبوعية من الخطبة.

أسلوب الحوار عند السيد الشريف:

يقول عاشق النور وهو في نشوة من ذكريات مجالس السيد الشريف: في الحقيقة كنت سابقاً اطلعت على دروس السيد الشريف وخطبه ووعظه، وتعودت عليه بهذا النمط والأسلوب، ولم أكن أعلم أنه يجيد فن الحوار بهذه الكفاءة المتميزة، لكنه بعد أن فتح الدرب أمام إخواننا للدعوة والحوار، بدأ يُجلسهم معه حين يتحاور مع الآخر، فوجدت فيه شخصاً آخر، ونكهة جديدة أخرى، تنم عن أفق واسع وقبول للآخر فعلا عملياً، وليس قولاً فقط، فهو أثناء الحوار هادئ رزين، يسمع محاوره حتى ينهي فكرته أو كلامه، ولا يستهزء بفكرته ولا بطرحه، بل يثني عليه وكأن فكرته أمر عظيم، ثم يناقشه فيها بهدوء وروية ويناقشه في إيجابياتها وسلبياتها، حتى يتفقان على حل وسط يقبله الجميع، ولم أره يوماً متشنجاً أو معنفاً أو محقراً أحداً أبداً، ومع كل حواراته، لم أره يوماً حاد عن منهجه، أو ابتعد عن دربه الذي اختطه في دعوته، بل يحاول دوماً مع محاوره إذا لم يجذبه لصفه، أن يتلاقى معه على ما يتفقون عليه، كما أنه أثناء الحوار يملك زمام الحوار وأفكاره، فلا يدع الحوار يتشتت أو يضيع منه، بل تراه مدركاً ماذا يدور، وبأي إطار سيكون مدار الفكر، ويراقب القلوب كي لا تختلف باختلاف الفهوم، ويحرص أن تكون الجلسة هادئة ومتجانسة وبسيطة

من دون تكلف. ويراقب في الجلسة اهتمامات المحاور، ورغباته ومعضلاته، فيغوص فيها بالحوار ولا يفرض عليه فكرة النقاش، بل يدع الحوار يسير وفق متطلبات المحاور الفكرية...

وعند انتهاء جلسة الحوار، يخرج الجميع مرتاحون مما دار من نقاش، ويكون الجميع مسرورين. أسلوب جديد للحوار والنقاش يدرب عليه إخواننا اليوم، ويمنحهم فرصة جديدة للتعلم والدعوة على بصيرة، بالهدوء والعلم واستيعاب الآخر وعدم استعجال النتائج، بل يطلب من الجميع، أن ابذر بذرتك واتركها قليلاً واسقها وارعاها بين الفينة والأخرى، كي تنمو ببطء ورويّة...

البَابُ الرَّابِعُ

بعض التوجيهات القلبية: من السيد الشريف لأتباعه

مقدمة:

يقول عاشق النور: خلال فترة الإعداد والتربية والسلوك للمريدين من حول السيد الشريف، وخلال جلسات الوعظ، وهي كثيرة في هذا التاريخ، كان السيد الشريف يطرح بعض الأفكار بلون جديدٍ للعمل القلبي عند السالكين، ليساعدهم في الفهم عن الله تعالى في سننه أو لتدريبهم على أساليب الدخول على الله تعالى والتقرب إليه، أو فتح الطريق أمامهم للتواصل مع الأنبياء والأولياء والصالحين، كل ذلك للإعداد المطلوب لحمل لواء الدعوة فيما بعد...

نظرية الإحتساب:

يقول عاشق النور: من الأمور الجميلة والرائعة التي طرحها السيد الشريف على أتباعه، نظرية الاحتساب، بمعنى أن يحتسب العبد كل ما يمرّ به في يومه عند الله تعالى، وفي الحديث، أن رسول الله ﷺ قال: **(يا أبا جندل احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك في المستضعفين فرجاً ومخرجاً)**، وفي صحيح مسلم عن أبي قتادة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة، فقال: **(أحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآتية)**، وعن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾، قال في تفسير معناه: **(هو ما احتسب به من ماله، أو عملٍ بيده أو رجله، أو كَلِمه، أو ما تطوَّع به من أمره كله)**. ويقول سيدنا عمر رضي الله عنه: **(وَالشَّهِيدُ مَنِ احْتَسَبَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ عَلَى اللهِ)**، وقال رسول الله ﷺ: **(لا تبك يا أبا هريرة فإن شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب فى دار الدنيا)**.

والمسلم بهذا الاحتساب يحوّل يومه وما يمرّ به إلى عبادة، وبذلك يكون في يومه في رعاية الله تعالى وحمايته وكلاءته، ومع مرور الوقت والتدريب على الاحتساب، يرى المؤمن نفسه في مقام الصبر والرضا عن الله، ويعيش في راحة وسعادة لأنه متصل مع الله تعالى بالاحتساب، وكذلك يفتح الاحتساب للعبد باب المراقبة والخشية من الله تعالى، وباب البعد عن المعاصي والبعد عن سوء الخلق وسوء الطبع...

فيحتسب المؤمن عند الله تعالى عبادته بكل أشكالها وألوانها، ويحتسب عنده تعالى إنفاقه ورعايته لأسرته أو لمن يعول، ويحتسب عند الله تعالى ذهابه لعمله وما يكابده في يومه، ويحتسب عند الله تعالى

حسن خلقه، ويحتسب عند الله تعالى سوء خلق من حوله من الجيران أو الأصحاب، ويحتسب عند الله تعالى تنفسه وطعامه وشرابه وضحكه وجدّه، ويحتسب عند الله تعالى نومه وطعامه وشرابه وذهابه وإيابه... وكل التفاصيل يحتسبها عند الله تعالى... عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **(تَبَسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة، وأمْرُك بالمعروف ونَهْيُكَ عن المنكَر صدقة، وإرشادُك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبَصَرُك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتكَ الحجَرَ والشوكَ والعظمَ عن الطريق، لك صدقة، وإفراغُكَ من دَلْوكَ في دَلْو أخيك صدقة)**.أخرجه الترمذي. وروى الزُهريّ عن عامر بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(يا سعد إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أجرت عليها حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك)**، ثمّ فلينظر المسلم تلك السعادة والطمأنينة التي تملأ قلبه.

السنن الإلهية وضرورة فهمها وقراءتها:

يقول عاشق النور: لقد رتب الله هذه الدنيا على سننٍ إلهيةٍ ثابتةٍ، وأخذ على نفسه العهد بإنفاذها، وربط شؤون الكون وما حوى وشؤون تصريفه وفقاً لهذه السنن، وأعلم نبيه ﷺ بها، وعلمها كذلك أنبياءهُ وأولياءهُ، فهذه الدنيا تسيرُ بأهلها وفقاً لهذه السنن، ومعرفتها للمؤمن ضرورة إيمانية، حتى يفهم عن ربه ويتأدب بين يديه، ويُحسن التعامل مع سننه، وليسير في الدنيا وفق هذه السنن ونواميسهِ تعالى، فيسعد ويفوز. قال تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ الأحزاب (٦٢) ﴿ **...** سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾ الأحزاب (٣٨).

والسننُ الإلهية: هي نواميس وقوانين ثابتة، جعلها الله للخلائق كي يفهموا عن ربهم، ويسعدوا: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر (٤٣)، وكل فعل يفعلة الإنسان عموماً والمسلم خصوصاً، ينتج عنه رد فعل ناتج عن جواب إلهي لهذه السنة، لأننا في دار الأسباب. وبعض هذه السنن مرتبطٌ بالحياة الدنيا، كسنن النصر والهزيمة، والصحة والمرض، والرزق والتقتير، والرحمة والمطر، والعزة والسعادة، والراحة والضنك... وبعضها مرتبط بأحوال الآخرة كسنن النعيم والشفاعة والرحمة وشرب الماء من الحوض وصحبة الأنبياء عليهم السلام وصحبة آل البيت الأطهار والعلماء الربانيين... ومنها سنن العذاب كالظلام والغرق والأهوال والظمأ والرعب... ومنها سنن الحياة والموت والتوالد...

وإذا أدرك المرء هذه السنن، وتعرض لملاحظتها، ثم لفهمها من خلال التفكر والتأمل، استطاع ولو نسبياً أن يتناغم معها، وتاليا أن يتناغم مع نفسه وجسمه وعقله وقلبه وروحه، ومن ثَمّ كان أقرب للفطرة، وأقرب لخالق هذه الأشياء ﷻ، فملاحظة السنن الإلهية في الكون وفي الحياة ثم التفكر فيها، ثم فهمها ليفهم المرء رسالة الله إليه، ثم بالتناغم مع هذه السنن والإشارات الربانية، تجعل المرء أقرب لله تعالى، وروحه مفتوحة على إشارات السماء وبالتالي أقرب إلى الله تعالى.

الدعوة على بصيرة وشروطها:

يقول عاشق النور: مما يسجل للسيد الشريف، أنه أعدّ أتباعه ومريديه لحمل عبء الدعوة والسير بها على بصيرة، ووفق المنهج

القرآني...ولأنّ الدعوة هي عمل الأنبياء، فإنّ لها شروطاً تحكمها، ومنهجاً تستقيه من حياتهم وسيرتهم، ويكفي فخراً للمؤمن أن يدّعي أنه على قدم الأنبياء في الدعوة وهداية الناس.

وإعداد الداعية يختلف تماماً عن إعداد الصالح أو الذاكر أو الفرد المسلم، لأن الداعية من شروطه أن يكون قلبه مفعم وممتلئ بالعلم الصحيح والفهم السليم عن الله وعن رسوله ﷺ، حتى يفيض على الناس، وإلا كيف سينقل الحبّ والرحمة والحلم والهداية والرغبة في الآخرة... الخ للناس، فمن أولى الشروط أن يكون قلبه قد امتلأ حتى فاض بهذه المعاني الجمالية لأسماء الله تعالى، ولا يكفي امتلاء القلب بل لا بدّ أن يفيض بعد امتلائه بهذه المعاني، والشرط الآخر حرصه الشديد على هداية الناس وطلب المدد والعون من الله في ذلك، وهذا الحرص كلما كان شديداً كان عون الله له أكبر، ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾، ومن الشروط أيضاً أن يكون في نفسه وحياته قدوة لغيره فلا يقول غير ما يفعل وإلا سقط ومقته مولاه وأبعد عن عمل الأنبياء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾، لأن عمل الأنبياء محروس بالعناية الربانية، ولا يسلك هذا الدرب إلا من وفقه الله واختاره لهذا الشأن، ومن الشروط التواضع لله تعالى، وعدم رؤية النفس وفضائلها، لأن هناك خيطاً رفيعاً في القلب يعزف لحن العجب والرياء خفيّ، يحبط العمل وتذهب ريحه فينبغي الحذر منه، ومن الشروط طلب رضا الله تعالى في كل حين وعلى كل صعيد، وعدم استعجال النتائج، المهم التحرك بالأمر الإلهي وترك القلوب وهدايتها لخالقها، ومن الشروط مخاطبة الناس على قدر عقولها والتدرج معهم في الخطاب، لأن قلوب الناس عدوة ما تجهل، ومن الشروط الرغبة الشديدة في هداية الناس وإنقاذهم من البعد عن درب الله، لأن هذه الرغبة والإرادة عند الداعية تجعل التوفيق من الله حاصلاً بإذن الله، ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ ، ومن الشروط عدم

التطلع لما في أيدي الناس من أمور الدنيا، ومراقبة القلب كي لا يميل إليها بالإعجاب أو الفتنة بها أوالرغبة فيها، بل يراقب الداعي قلبه أن يكون متعلقاً بالله تعالى ومدده ورضاه، ومن الشروط توقع الأذى والتدرب على الصبر والمصابرة، لأن عمل الأنبياء له أعداء من شياطين الإنس يتربصون به الدوائر، ومن الشروط الشكر الدائم لله تعالى أن وضعنا على قدم الأنبياء والمصلحين في الدعوة إلى الله على بصيرة، ومن الشروط أيضاً عدم معاداة أحد من الناس، لأنهم كلهم عيال الله، ونريد لهم الهداية والرشاد والتمتع بالإيمان، و يحمل الداعية في قلبه العداء فقط للمعتدين وليس لكل الكفار، ويفرغ قلبه للحب والإصلاح والعمل لدين الله، وسلاح العمل لله في النفس وفي الناس: حسبنا الله ونعم الوكيل، كما قال سيدنا عبد الرحمن الكبير قدست أسراره:

نحنُ باللهِ عزنا والحبيبِ المقربِ
بهما عِزّ نصْرنا لا بجاهٍ ومنصبِ
كلّ من رامَ ذلنا من قريبٍ وأجنبي
سيفنا فيهِ قولنا: حسبنا الله، والنبيّ

التغيير: حتى يغيروا ما بنفسهم:

سألت عاشق النور عن الدوافع التي جعلت السيد الشريف - وهو الشيخ المربي - ينحى بأتباعه باتجاه الدعوة وآفاقها؟ وما هو الطرح الذي جاء به في هذا الزمن الصعب لإنقاذ شباب المجتمع؟ قال لي وهو يحاول أن يجمع أفكاره وينتقي كلماته: يتألم السيد الشريف من الإحباطات المتتالية في محيطه العربي والإسلامي، ويعاني كثيراً عندما يجد الفرد المسلم مهزوماً ومأزوماً من داخله، وكثيراً ما توجع لصرخةٍ مكتومةٍ هنا وهناك، ويعتبر أن مهمته لا تنحصر في التربية والتزكية

ومجالس الذكر، بل إن منهجه من بداية وعيه قام على الفكر الدعوي، وأن التربية والتزكية معناها في الأصل، إحداث التغيير نحو الأفضل عند الفرد المسلم، فكان وما يزال يوجه جهده ووقته، ليوقظ في المسلم فطرته التي فطره الله عليها، وأن يحرك من داخل الفرد المسلم نبض التوحيد والإيمان، وأن يجعل قلب المحيطين به ينبض في حب الله تعالى، وأن يشعل في داخل الفرد المسلم العزة بالله، والرفعة بالإنتماء لهذا الدين العظيم، وأن يشعر الناس أن السعادة، تكمن في البذل والعطاء والمشاركة في العمل العام. فالتربية عند السيد الشريف تقوم على إعادة صياغة المسلم من داخله، بحيث يبدأ في معالجة الآفات والأمراض القلبية، ثم بإيقاظ الوجدان الداخلي أو النبض القلبي، ثم تغيير المشاعر القلبية باتجاه الأمل بموعود الله، والأمل بأثر الفعل الجماعي للأمة، والوعي السليم لرسالة الإسلام الوسطية، في قبول الجميع وعدم الإقصاء أو انشاء العداوات، والفرح بالتغيير الداخلي الإيجابي لخدمة الأمة وصنع التغيير...

ولأننا في زمن التغيير، فإن السيد الشريف يهتم بالتغيير القائم على تغيير الفرد من داخله، وبأن يوقن المسلم بقوته، بربه وبرسوله وبدينه، وأن يعيش المسلم النصر في داخله أولاً، على ما يشعر به من ذلّ وضياع، أويأس وخنوع، وأن يوقن أن الله تعالى لن يغير حال الأمة إلا إذا تغير ما بأنفسها من هوان واستكانة وانهزام، أمام نوازع النفس أو رغباتها، أو أمام مكائد الشيطان وحبائله، أو أمام أعداء الأمة وذيولها، وما نراه اليوم في الشعوب العربية، هو تغير حالهم الداخلي وإحساسهم بالإستقواء على داخلهم، وتحولهم من الذلة إلى العزة ومن الهزيمة إلى النصر، ومن الإستكانة والمهانة إلى الفرح، ومن الأنانية إلى حب البذل والعطاء والمشاركة في صنع التغيير. وهذا ما يسعده ويسعد كل المخلصين.

ويتابع عاشق النور: كان السيد الشريف يُبشر دائماً: بأنّ الذي يسعى للمناصب لا حظّ له في التغيير، وأن الذي يُقصي الأمة، وينفرد بادعاء الصلاح، لا حظّ له في التغيير، وأنّ الأمة كلها خيرية، فالتغيير بالتالي جماعي، كما كان يؤكد دائماً أنّ الإهتمام بسفاسف الأمور بدلاً من عظائمها لا يُحدث التغيير...

خـاتمة

والآن ياصاحبي، يا عاشق النور الغالي، حان وقت الرحيل، عشنا معاً أياماً جميلة، سردنا وتحادثنا، وكثرت بيننا الآهات والغصات والمواجيد، لكنها كانت سريعة... وهكذا كل اللحظات الجميلة تمرّ سريعاً ولا يبقى في الذاكرة إلا صداها، ولا يبقى في القلب إلا أثرها وذكرياتها... أحبب من شئت فإنك مفارقه، لا بدّ من الفراق، وعذاباته الأليمة، ولا بدّ من الوداع على ألحان ناي حزين، لكن... إن اشتقت إليك أين أبحث عنك؟ قال لي وفي عينيه بعض من دموع: ستجدني هناك، في زاوية الأشراف على كتف الوادي بشارع الصفوة، بين أحبابٍ كثر، نعزفُ معاً لحن العشق والغرام، في جلسات الورد اليومية، أو خلف السيد الشريف في الصلوات المفروضة، وحتماً ستراني معتكفاً في أحد أركان الزاوية أبثها مواجيدي، وتبثني أشواقها... وقد تراني يوماً محلقاً مع الطيور في فضاء عمّان، أو مسافراً مع خليلي شرقاً أوغرباً، إلى حيث أراد...

فهرس

العنوان	الصفحة
إهداء	٥
مقدمة	٦
الفصل الأول: الولادة والإعداد	١٠
الباب الأول: السيد الشريف	١٢
الباب الثاني: النور وعاشق النور	١٣
الباب الثالث: وادي السير: بداية الرحلة	١٦
الباب الرابع: الوالد الشريف: مربياً- معلماً - ملهماً	٢١
أولاً: التعلم بالحال (باللحظ)	٢١
• الوجع للأمة	٢١
• قدر ومكانة آل البيت	٢٢
• حال الأبوة	٢٤
• حال الصبر	٢٥
ثانياً: التعلم بالحال والمقال معاً (اللحظ واللفظ):	٢٦
• القرآن الكريم	٢٦
• العبادات والطاعات	٢٨
• العلوم العينية	٢٨
الباب الخامس: مرحلة المدرسة: بداية التألق	٣٠
• تألقه في تلاوة القرأن	٣٠
• تألقه حين رفع الأذان	٣٠
• الضيافة والكرم	٣٣
الباب السادس: مرحلة الدراسة الثانوية - التكوين الفكري	٤٠

العنوان	الصفحة

- بداية خطبة وصلاة الجمعة ٤٣
الباب السابع: الوصل والوصال: الجدّ والحفيد والسند الشريف ٤٦
الباب الثامن: وآتيناه الحكم صبياً ٥٣
الباب التاسع: الخدمة العسكرية: دعوة - معاناة ٥٦
الباب العاشر: عام الحزن - فراق الأحبة ٦٤
الباب الحادي عشر: خاتمة فترة الإعداد ٧٠
الفصل الثاني: تأسيس البنى التحتية ٧٢
مقدمة ٧٤
الباب الأول: بيت من نور: في كنف الوالد ٧٤
الباب الثاني: التنصيب وتوحيد الطريق: نور على نور ٧٩
الباب الثالث: أعباء كبيرة: بدايات صعبة - وجهود جبارة ٨٣
- عبء السنّ ٨٣
- عبء المنهج الصحيح ٨٥
- عبء الإنفاق على الطريقة ٨٧
- عبء الوظيفة والتوجه للتجارة ٨٨
- اتخاذ القرار المهم ٨٩
الباب الرابع: وفود المتصوفة الأدعياء: المرحلة الأصعب ٩١
الباب الخامس: منهجية الطريق: الزاوية - المثابة - الجمعية ٩٤
- أولاً: بناء الزاوية: الركن الشديد (مركز انطلاق الدعوة) ٩٦
- ثانياً: مثابة دار الإيمان لرعاية وإيواء الأيتام ١٠١
- ثالثاً: إعداد جيل من الدعاة: ١٠٧
  ١. الإخلاص ١٠٩
  ٢. الحب والإمتثال ١٠٩
  ٣. الذكر والفكر ١١٠

العنوان	الصفحة
٤. معالجة آفات النفس	١١٠
٥. علاج أمراض القلوب	١١٠
٦. استحضار معاني العبادات	١١١
٧. الخدمة	١١١
٨. الهمّ العام وشحذ الهمم	١١٢
٩. المسارقة في الطباع	١١٢
١٠. تحويل الصفات	١١٣
١١. تفريغ القلب	١١٤
١٢. حسن الخطاب	١١٤
١٣. استعمال أدوات العصر	١١٤
• رابعاً: إنشاء جمعية دار الإيمان الخيرية	١١٦
١. التوجه نحو علوم القرآن	١١٩
٢. العلم والتحصيل العلمي	١٢٢
• خامساً: المثابة تضيء في قلقيلية	١٢٣
• سادساً: العمل السياسي ومصادر الدخل	١٢٣
١. العمل السياسي	١٢٣
٢. مصادر الدخل المالي اليوم	١٢٤
الفصل الثالث: السياحة والسفر والرحلات	١٢٦
مقدمة	١٢٧
الباب الأول: سياحته داخل الأردن	١٢٧
الباب الثاني: سياحته خارج الأردن	١٣٠
• مصر	١٣٠
• الشام	١٣٢
• فلسطين	١٣٣
• اليمن	١٣٥

العنوان	الصفحة
• تركيا	١٣٧
• لبنان	١٣٩
• المغرب	**١٤١**
الباب الثالث: العمرة والحج	١٤٣
الفصل الرابع: بعضاً من تألقات السيد الشريف	١٤٦
الباب الأول: الدعوة اليومية المباشرة في المكتب	١٤٧
الباب الثاني: العلاقة الوطيدة مع العلماء:	١٥٠
الشيخ نوح القضاة رحمه الله تعالى	١٥٠
الباب الثالث: فكرة إنشاء جامعة	١٥٥
الباب الرابع: زيارة فلسطين: وكتاب الدلالة	١٥٧
الباب الخامس: التقريب: حاجة ملحة للأمة	١٥٩
الفصل الخامس: قراءات السيد الشريف في الواقع الإسلامي	١٦٣
مقدمة	١٦٤
الباب الأول: لابدّ من الإسلام الشامل في مقابل الهجمات المستمرة	١٦٥
• أفغانستان... مصيدة أخرى	١٦٧
• ثمنٌ باهظ لبضاعة مزجاة	١٦٨
الباب الثاني: الحركات الإسلامية ودورها: مراجعة نقدية هادفة	١٧١
• أولاً: احتكار الحقيقة	١٧١
• ثانياً: الاهتمام بالشكل من دون المضمون	١٧٣
• ثالثاً: العبث بالأرواح باسم الإسلام	١٧٤
• رابعاً: السياسة والحكم	١٧٧
• خامساً: إحياء القلوب بالقرآن	١٧٧
• سادساً: تحري أشخاص الجهد الدعوي	١٧٨
• سابعاً: مراعاة الأدوات الدعوية لكل عصر	١٧٨

العنوان	الصفحة

الفصل السادس: بعض ملامح العمل ومنهاجه	١٨٠
الباب الأول: العمل التربوي أسس وقواعد البناء	١٨١
• مقدمة	١٨١
• أو أهلك دونه	١٨٢
• تحديد المقاصد	١٨٣
• صناعة جيل يحمل عبئاً	١٨٤
• الزواج والعفاف	١٨٥
الباب الثاني: الدعوة على بصيرة	١٨٨
• مقدمة	١٨٨
• مفاهيم الرسالة	١٨٨
الباب الثالث: بعض الأساليب عند السيد الشريف	١٩٢
• مقدمة	١٩٢
• أسلوب التربية عند السيد الشريف	١٩٣
• أسلوب الموعظة عند السيد الشريف	١٩٤
• أسلوب الخطابة عند السيد الشريف	١٩٥
• أسلوب الحوار عند السيد الشريف	١٩٦
الباب الرابع: بعض التوجيهات القلبية من السيد الشريف لأتباعه	١٩٧
• مقدمة	١٩٧
• نظرية الاحتساب	١٩٨
• السنن الإلهية وضرورة فهمها وقراءتها	١٩٩
• الدعوة على بصيرة وشروطها	٢٠٠
• التغيير حتى يغيروا ما بأنفسهم	٢٠٢
خاتمة	٢٠٤